

# تاريخ الأدب العربي

في

العصر الجاهلي

---

بقلم

السباعي السباعي  
مدير من دار العلوم

---

حق الطبع للمؤلف

١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م

---

مطبعة العلوم بشارع الخياج بمسكنة لاط

# فناجى الأديب العربي

فى

العصر الجاهلى

---

بقلم

السباعى السباعى  
مدرس بدار العلوم

---

حق الطبع للمؤلف

١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م

---

مطبعة العلوم بشارع الخياج بمكة

# الفهرس

أدب اللغة وتاريخه	٨ — ٣
العرب	٩
موطنها وأقسامه	٩
الحجاز	١٣ — ١٠
اليمن	١٥ — ١٣
العروض	١٥ — ١٥
نجد	١٦ — ١٥
مدن البوادي	١٦ — ١٦
أصلها وأقسامها ومشهورات قبائلها	١٧
أصلها	١٨ — ١٧
القحطانيون	٢٠ — ١٩
العدنانيون	٢٢ — ٢٠
أيامها الكبرى ذوات الأثر في الأدب	٢٢
بين نزار وبين	٢٤ — ٢٣
حروب ربيعة	٢٧ — ٢٤
بين ربيعة وغيرها	٢٩ — ٢٧
بين اللخمييين والفسانييين	٣٠ — ٢٩
حروب قيس	٣٤ — ٣٠
بين قيس وغيرها	٣٥ — ٣٤
أيام ذي قار بين العرب والفرس	٣٦ — ٣٥
أثر تلك الأيام في الأدب	٤٠ — ٣٦

نشأة اللغات وتعددتها	٤١ — ٤٣
اللغات السامية وأصل العربية	٤٤ — ٤٦
طرق فهم العربية وخصائصها	٤٦ — ٥٢
اختلاف لهجاتها وعوامل تهذيبها	٥٣ — ٦١
معارف العرب في الجاهلية ومعتقداتها	٦٢
المعارف	٦٣
السماء وكائنات الجو	٦٢ — ٦٤
البيطرة والطب	٦٤ — ٦٤
التاريخ والأنساب	٦٤ — ٦٥
القيافة والعيافة	٦٥ — ٦٦
العرافة والحكمة	٦٦ — ٦٧
الخط العربي	٦٧ — ٦٨
المعتقدات	٦٨
الاديان	٦٨ — ٦٩
الآوابد	٧٠ — ٧٢
الادب الجاهلي	٧٣
إن لنا أن نظمئن اليه ندرسه ونرويه	٧٣ — ٧٩
إنا نقول بسبق النثر على الشعر	٨٠ — ٨٥
النثر	٨٦
أقسامه من مرسل ومزدوج ومسجوع ثم أنواعه وهي :-	٨٦ — ٨٦



## تابع الفهرس

الحكم والامثال	٨٩ — ٩٠
المفاخرات والمنافرات	٩٠ — ٩٩
الخطب والوصايا	٩٩ — ١٠٤
الشعر	١٠٥
أوليته عامة ولدى العرب خاصة	١٠٥ — ١٠٩
طبيعة الشعر الجاهلي وفنونه	١١٠ — ١٣٢
تسجيده كثير من أحوال العرب	١٣٢ — ١٤٢
تأثيره ومنزلة رجاله	١٤٢ — ١٤٨
طبقات الشعراء ومنزلة أصحاب المعلقات فيهم	١٤٨ — ١٥٢
تم سبب تسميتها بهذا الاسم	
منزلة المعلقات من الشعر الجاهلي	١٥٢ — ١٧٨
معلقة امرئ القيس	١٥٣ — ١٥٦
» طرفة	١٥٦ — ١٦٠
» زهير	١٦٠ — ١٦٣
» لبيد	١٦٣ — ١٦٧
» عمرو بن كلثوم	١٦٧ — ١٧١
» عنقة	١٧٢ — ١٧٤
» الحارث بن حلزة	١٧٥ — ١٧٨
مميزات الكلام الجاهلي	١٧٩
المميزات العامة في النثر والشعر	١٧٩ — ١٨١
» التخاصة بكل منهما	١٨١ — ١٨٤

ص	س	الخط - أ	الصواب
٣	١٣ ١٤ ١٥	ذلك ذلك	ذلك
١٣	٢٢	الغربي	الشرقي
٢٤	٢١	قائه	قائه
٤٦	٨	كصرير	كصريرة
٤٦	١٢	الفاء	القاف
٥٩	١٠	انثوا	انثوا
٦٧	٥	النزري	النزاري
٧٨	٢١	ولم	وله
٨١	١٥	يقولوا	يقول
٨٣	٢٢	الشعر	الثر
٩٥	٩	كغصن	كغصني
٩٨	١٠	يتعدوا	يتعدوا
١٠٠	١٠	بعث	بعثه
١٠٠	١١	عبد الملك	عبد المطالب
١٠٥	٤	لهوى	لهدى
١٢١	٨	صرحت	حرصت
١٢١	١٩	داود	داود
١٦٦	١٣	إذا	إذ
١٧٧	٧	ابن	كأبن
١٧٧	٨	نه منهم وهم	فكأنهم
١١٠	١٣	الحقيقية	الحقيقة

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

## تاريخ الادب العربي

في العصر الجاهلي

ادب اللغة وتاريخه

انه لخرى بنا قبل التعرض لدراسة أدب اللغة وتاريخه أن نعرض لكلمة الأُدب نعالجها مفردة غير منسوبة الى اللغة معالجة تسايرها منذ الطفولة الى أن اتمل معناها وصار الى الحد الذي نعرفه لها الآن والذي عنده وقعت تلك النسبة حتى اذا ما تعرضنا لمعنى الادب نكشف عنه ونبين الغرض منه كان قولنا واقعا على أساس وأميننا ذلك المعنى سهل الأخذ على آذاننا وطيد الاستقرار في أذهاننا .

والعل أول معنى عرف الكلمة الأُدب هو وقوعها مصدرا لأُدب يَأدب اللازم من باب ضرب بمعنى صنع طعاما يحتفل به ويدعو اليه والاسم من ذلك المأدبة على أن هذا الفعل استخدم من الباب نفسه ويغلب أن يكون ذلك في الوقت عينه متعديا بمعنى دعا الى مأدبته ومن ذلك قول طرفة بن العبد ويستشهد به على المعنيين

نحن في المشتاة ندعو الجاهلي لا ترى الآدب فينا ينتقر  
يقول نحن في المشتاة أي الأدب ندعو الدعوة العامة وهي الجاهلي فلا ترى  
الآدب فينا أي صانع الأدبية أو الداعي إليها ينتقر في دعوته فيختص بها  
فريقا بحب غيره والنقري ضد الجاهلي

مكنث الكلمة على هذا المعنى بشعبيته السابقتين العصر الجاهلي كله تقريبا  
حتى إذا ما كان قبيل الاسلام تخطت متعددة ومن باب ضرب أيضا الى معنى  
آخر هو التهذيب والرياضة فقليل أدبه يأدبه بمعنى هذبه وثقفه كما قيل أدبه  
بالتشديد على سبيل المبالغة والتكثير بمعنى علمه بل وبمعنى عافيه على إساءة  
لان العتاب يحقق معنى الأدب على هذا الوجه وهو كل رياضة محمودة يتخرج  
بها الانسان في فضيلة من الفضائل . ومن ذلك قول عتبة بن ربيعة لابنته هند  
وهو يصف لها أبا سفيان بن حرب زوجها على غير تسمية « يؤدب أهله  
ولا يؤدبونه » وقولها له في الجواب عن ذلك « اني لأخلق هذا لوامقة  
واني له لموافقة واني لأخذته بأدب البهل مع لزوم قبتي وقلة تلفتي »

ولما أن جاء الاسلام بتعاليمه الداعية الى مكارم الاخلاق انتشر هذا المعنى  
وشاع وأكثر الناس استعماله أيما اكثار وبخاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم  
« أدبني رب فأحسن تأديبي » ثم توسعوا في كلمة الآدب فأطلقوها على كل  
ماله أثر في التهذيب وحضوا لذلك على التأدب بالمأثور ولا سيما الشعر لما فيه  
من الدعوة الى المكارم والتسابق الى المحامد . فمن ذلك قول عمر بن الخطاب  
لابنه « يا بني انسب نفسك تصل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك »  
وقول معاوية « اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فان فيه ما أثر أسلافكم  
ومواضع ارشادكم » وقول عبد الملك بن مروان لمعلم ولده « أدبهم برواية شعر  
الاعشى فانه قاتله الله ما كان أعذب بحرهم وأصلب صخره »

وبهذا انتقلت كلمة الأدب الى معنى الظرف في الخلق وحسن التناول للقول  
وكلمة التأديب الى العمل في سبيل ذلك وطاوعتها كلمة التأديب فقول أدب  
يأديب من باب كرم فعل السجباب والطباع فهو أديب إذا حسن أدبه ومن  
ذلك قول سالم بن وابصة وهو إسلامي من قصيدة يحضن فيها على مكارم  
الاخلاق والتظرف في القول :

إذا شئت أن تدعى كريما مكرما أديبا ظريفا عاقلا مجدا حرا

إذا ما أنت من صاحب الكزلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا

ومن هنا بدأت كلمة الادب تنحرف عن معناها اللغوي الى هذا المعنى  
الاصطلاحي ولما أخذ الغوم في تدوين بعض العلوم من دينية ولسانية آخر عهد  
الدولة الاموية انحازت هذه الكلمة الى حذق علوم اللغة لما لها من الاثر في تقويم  
اللسان واستكمال أداة البيان ثم كان تقدم العلوم وارتقاء المعارف أيام الدولة  
العباسية بما حدث من تقسيم وتمصيل واستبعاد من ترجمة ونقل فجعل التأديب  
مهنة تصدى لها المؤدبون وتصدرهم فيها الأئمة من الرواة والعلماء وقصر الادب  
على مأثور اللغة من نثر وشعر فعكف الناس على دراسته بهذا المعنى حتى وضعت  
له كتب خاصة عرفت بكتب الادب كما عرف غيرها بكتب النظم أو النحو  
مثلا. وقد جارت كلمة الادب في ذلك كلمة الأديب فوسم بها كل من حذق  
الادب على هذا الوجه وعرف من سائر العلوم ما هو للادب وسيلة أو للادب به  
علاقة وله منه فائدة إذ لا يجهل بالادب أن يكون من غير الادب عاظلا فان  
الادب ثقافة خاصة لها حاجة وبها اعتقاد الى أن ترتكز على ثقافة عامة بدونها  
يقل بهاء الادب وتذهب حاله

قلنا إن الادب صار على عهد الدولة العباسية مهنة تصدى لها المؤدبون  
وتصدرهم في ذلك الأئمة من الرواة والعلماء ولكنهم لم يتجاوزوا كثيرا

مأثور اللغة في روايته ونسبته على أيدي الرواة أو شرحه والافادة منه على أيدي الادباء فبقيت كتب الادب ما بين كتب رواية تخاص للمأثور مجردا وكتب دراية تبحث في معناه إجمالاً أو تفصيلاً على أن الأخيرة لم تخل من من أبحاث خارجة عن معنى الادب وهي بنسبتها الى العلمية أخرى كأبحاث لغوية من فقه اللغة وأخرى نحوية أو صرفية من علمي النحو والصرف وهكذا استمرت الأبحاث جامدة عند معنى الادب دون تاريخه الذي لا يتحقق غير التحليل والاستنباط وتتبع أطوار المأثور بأنواعه ضعة وارتفاعا وتامس العلل لذلك والاسباب والانكباب على دراسة البيئات من عامة وخاصة لمعرفة ما أنتجته في ذلك التاريخ من آثار. فتاريخ الادب وهو حياته يهتريه ما يهتري حياة الأمم في كل مظاهر التاريخ السياسي العام. نعم ان المتقدمين في ذلك العهد وبعده قد عالجوا أبحاثاً هي من حياة الادب في الصميم كما وازنة بين شيء في عهدين أو بين شاعر وآخر جملة أو في قصيدتين وكما الكلام فيما طرأ على اللغة بالاختلاط إلا أن ذلك لم يتناول في مجموعه كل ما لحياة الادب من أبحاث كما لم ينسجم مرتباً في سلك النظام الذي ينبغي أن تكون عليه تلك الأبحاث. ثم لم يزل تاريخ الادب على تلك الحال من النقص في بعض وجوهه وانتثاره كله على غير شخصية قائمة في بطون الكتب الى أن هب المستشرقون يضعون أسسه ويرفعون قواعده وتوافروا على أبحاثه يثبتون أصولها ويفرعون الكثير من فروعها حتى أوصلوه الى صورة متميزة قائمة فاذا هو كما نراه الآن علم ذو نظام وترتيب وتقسيم وتبويب وكان لهم في ذلك طريقان إداراسته موضوعاً موضوعاً ينتقلون بكل موضوع من عصر الى عصر حتى يستتم أطواره ويستكمل ألوانه وهذا على غنائه قليل وإما دراسته عصرًا عصرًا يتناولون في كل عصر موضوعات الادب واحداً واحداً كما هي الحال في التاريخ السياسي العام وهذا هو المتبع والكثير

فعل المستشرقون ذلك وحيثما أنشئت دار العلوم على نظارة على مبارك باشا  
للمعارف المصرية اذ ذاك كي تنهض باللغة العربية في بلد انتهت اليه زعامة الناطقين  
بالضاد كان لزاما أن يكون تاريخ الادب من أول ما يعنى بدراسته في هذا  
المعهد الجديد وفعلا كان وعهد بذلك أول الامر الى طائفة لعل أكثرهم غناء  
كما هو بلا شك أبقاهم أثرا المرحوم الشيخ حمزة فتح الله صاحب المواهب  
الفتحية با كورة ما ألف بالعربية في هذا الباب لكن الشيخ طيب الله ثراه كأنه  
نظر في الادب الى أنه فن لا يستند الى علم أو أن دراسته بعيدا عن تاريخه تكون  
الاديب فنهج في مواهبه منهجها هو الى دراسة الادب أقرب منه الى دراسة  
تاريخه اذ لم يكده ينهى على عجل منه في تصديره ببضعة أبحاث عامة على الطراز  
القديم حتى انتقل مسرعا الى المأثور يؤدب به بنيه تأديبا جعل دعائمه الاربع  
القصاصد فالمحاکمات في الشعر ثم الرسائل فالخطب في التثرف شرح عشر قصائد  
أجرى بعدها عشر محاکمات ثم ساق من بعدها عشر رسائل أتبعها مثلها من الخطب  
دون أن يتقيد في ذلك بعصر معين أو يجري على سنن خاص اذ كان مهيمه كما  
سبق الامام بطائفة من المأثور تشرح وتدرس كما يتطلب المعنى ويقتضى الاستطراد  
على أنه لا يبعد أن يكون رحمه الله قد سبق الى ما فعل لا مدفوعا بتلك النظرة  
الفنية الآتية بل بما تملكه من حب القديم يجري على سننه ويهتدى بهديه وبخاصة  
اذ وجد طريقه معبدة أمامه بينا الجديد لا يزال مغلق السبل غير واضح الاعلام .  
ولهذا لم تكدر دراسة الادب تسند الى المرحوم حسن افندي توفيق أحدا بناء دار العلوم  
الذين زاووا التدريس حقبة في ألما نيامهد الاستشراق عامة وفي العربية خاصة حتى أبرز  
لنا صورة لتاريخ الادب هي على صغرها يصح أن تكون بحق النموذج الاول فيه ويجب  
على كل دارس له من بعده مهما أبداع وفصل ان يكون موقفه منه موقف الحريرى في  
مقاماته من البديع حيث يقول على سبيل التمثيل

فلو قبل مبعكها بكيت صبيابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلى فبيج لى البكا بكاهها فقلت الفضل لله التندم

الى هنا ولنا لفظة الى ما تقدم نوضح بها أمراً جديراً بالتوضيح

ذلك أن الأدب أدخل في الفن من الهام ولذا يروى ذوى الطباع والاستعداد

أكثر مما يروى ذوى الجهد والاجتهاد وإن لنا على ذلك لآية بينة هي النبوغ في

باب عن أبوابه أو أكثر وقلنا يكون ذلك بالقليل من العمل يقـوم به اناس

دون اناس يصلون ايلهم بنهارهم كدحا ونصبائهم هم لا يخرجون بصفة الاديب

فتراهم لا يزالون بعيدين عن أن يجودوا نثراً أو شعراً في أى باب يتخيرون

على أن ملكة الادب مع هذا لا تنهياً وسائلها ولا يتم نضجها بالاعتكاف على

المأثور وحده يحفظ ويروى بل لابد من درس تاريخه والاحتكام في ذلك الى

ما تعد من قواعد ووضع من نظم بحكم الظروف وتحت تأثير البيئات مع مساهمة

عوامل النمو وطبائع الارتقاء. وإذا تكون دراسة تاريخ الأدب وسيلة الى تكوين

الأديب ويكون من وقف عند الوسيلة بعيداً عن الغاية جديراً باسم العالم

دون الأديب .

هذا وإذا قلنا ان المتبع في دراسة تاريخ الأدب لآية أمة أن يساير تاريخها

السياسى جنباً الى جنب فقد وجب اذا أن يكون أول عصر للأمة العربية

عصرها الجاهلى ومدته مائتا سنة على الأكثر قبل الاسلام غير أن كلمة عن

العرب في موطنها وأصلها وأقسامها وقبائلها وأيامها واجبة قبل ذلك

أن تكون .



## العرب

موطنها - أصلها - أقسامها - مشهورات قبائلها - أيامها الكبرى  
ذوات الاثر في الادب .

### اولا - موطنها

موطن العرب الاول الذى منه درجوا فانتشروا فى الارض هو تلك الجزيرة  
المنسوبة اليهم فى الجنوب الغربى من آسيا وهى جزيرة مقسمة الارحاء مترامية  
الاطراف يتصل بها من الغرب بحر القلزم المعروف بالبحر الاحمر ومن الشرق  
بحر فارس وعمان ومن الجنوب بحر الهند وتضرب شمالا إلى الشام والعراق  
فيدخل فيها جزء من كلتا باديتيهما وعد بعضهم منها أرض الجزيرة بين دجلة  
والفرات لسكنى العرب قديما إياها

وهى تنقسم أربعة أقسام الحجاز واليمن ومع كل تهامة ثم العروض ونجد  
ويكاد يكون ذلك التقسيم طبيعيا فان الحجاز وهو سلسلة جبالها العظيمة يمتد  
فى الغرب منها على مقربة من البحر الاحمر من الجنوب إلى الشمال بين أرض  
منخفضة غربية هي الهائم وأخرى مرتفعة شرقية هي المنجود وفى نحو الثالث  
من تلك السلسلة جنوبا تتفرع جبال تثليث قليلا إلى الشمال الشرقى. فما إلى  
الشمال منها الحجاز وتهامته. وما إلى الجنوب اليمن وتهامته غير أن اليمن تمتد على  
ساحل بحر الهند جنوبا إلى بحر عمان شرقا. ثم مالى الشرق من الحجاز نجد الى  
بحر فارس وبادية العراق شرقا وإلى بادية الشام شمالا. أما الارض المعترضة بين

اليمين جنوبا ونجد غربا وشمالا وبحر فارس شرقا فهي العروض لاعتراضها بين  
كل هذه الأقسام ما عدا الحجاز الذي ينفصل عنها بجزء من نجد يمتد من جنوب  
جبال سلسي الى شرق جبال تليلث  
وهذه كلمة عن كل قسم تنتظم حاله الطبيعية وما كان عليه سياسيا  
قبل الاسلام

## ١ - الحجاز

إقليم طيب الهواء ليس به كسائر بلاد العرب نهر يجري ولاكن فيه العيون  
المتفجرة من الجبال المعتصدة بالسيول والأمطار الممتدة من واد الى واد وعليها  
قراهم ونباتهم من حبوب وخضر وفواكه ورياحين. ومن حيوانه الخيل الجيدة  
والابل والضأن والمعز ومن وحوشه بقر الوحش وجره والغزلان والظباء  
والذئاب والضباع والثعالب والفهود والنمورة والاسود. أما طيوره فمنها الدجاج  
والحمام والرخم والنعام والحدأ والبوم والغربان  
وللحجاز حاضرتان المدينة المنورة به ومكة المكرمة بتهامته

فمكة بالميم والباء ومن أسمائها أم القرى والبلد الامين وبها جميعا نطق  
القرآن الكريم وتسمى كذلك صلاح وقد ورد كثيرا في الاشعار ولا سيما في  
القديم. وهي واقعة في بطن واد تحف به من جميع جهاته الجبال فأبو قبيس من  
الجنوب والشرق وحراء من الشرق والشمال وبه الغار الذي كان يعبد فيه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيقعان من الشمال والغرب وثور من الغرب  
والجنوب. وأول ما كانت سكنى مكة كانت لعاد ثم خلفهم عليها العماقة  
ولما عظم أمر قحطان نزلها ابنه جرهم واليه تنسب جرهم الثانية لاجرهم عاد

فلم يزل أمر مكة بيد هاشم حتى رفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل . وفي جرهم  
أصهر اسماعيل وبقي هناك فملكوه عليهم وانتقل الأمر من بعده إلى ابنه نابت  
ولكن جرهم أخذته ثانية ومنها انتقل إلى خزاعة من الأزد من قحطان أيضا  
فلم يزل فيهم مفاتيح البيت يقومون بسدانة حتى أعاده إلى ذرية اسماعيل قصي  
ابن كلاب ثم أنشأ قصي دار الندوة بمكة فكانت محل تشاور قريش وكان إليه  
أمرهم حتى مات فانتقلت الرياسة إلى ابنه عبد مناف ولكن بقيت سدانة البيت  
مع ابنه عبد الدار قيل لأنه هو الذي انطلق بمفاتيحه ففتحه لقريش حين أخذها  
أبوه من خزاعة . ومن عبد مناف انتقلت الرياسة إلى هاشم بن عبد مناف  
فإلى عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فتح مكة  
بعد الإسلام فانتقلت إليه رياسة القديم والحديث . ومما يذكر هنا إقراره صلى الله  
عليه وسلم بنى عبد الدار على سدانة البيت كما كانت لهم من قبل

هذا وقد أ كسب مكة وضع البيت بها منذ عهد إبراهيم لدى العرب عامة حرمة  
دونها كل حرمة وتقديسا ما أوغله في القلوب من تقديس فكان الملوك من حمير  
وكندة ولخم وغسان يحجون إليها ويدينون لقريش بها ويكفي من تعظيمهم  
إياها أن جعلوا حولها شقة حراما يحرم صيدها وقطع نباتها . ومما ضاعف في  
عظمتها وفي حرمة البيت بها ما فعل الله بأصحاب القيل وقد جاء أبرهة يقودهم  
يريد هدم الكعبة وصرف العرب عنها إلى حج القليس باليمن . وهي كنيسة  
ابتناها بصنعاء وبالغ في تجميلها فإرسل الله عليه طيرا أبايل ترميهم بحجارة  
من سجيل فجعلهم كعصف مأكول . ثم زادت تلك العظمة قدسا وجلالا بمجيء

الاسلام دعظما أمر هذا البيت وجاعلا الحج اليه فريضة على كل مسلم ومسألة  
استطاعا اليه سبيلا

والمدينة هي الحاضرة الثانية وقد غلب عليها هذا الاسم واسمها القديم يثرب  
وبها نطق القرآن الكريم وقد سماها الله تعالى الدار في قوله ( والذين تبوءوا  
الدار والايمان ) وسماها النبي صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة من حسن الرائحة  
أو تمام النقاء . وهي تقع في مستو من الارض شماله جبل أحد وجنوبه جبل عير  
وشرقه البقيع وغربه العقيق . وهي قديمة العمارية كمكة قيل أول من نزلها يثرب  
ابن عبيل من العالقة وبه سميت ثم خلف العالقة عليها قوم من بني اسرائيل  
نزلوا اليها على عهد موسى بن عمران . ومازالوا بها حتى كان سيل العرم باليمن وتفرق  
من أهله كثير كان منهم الاوس والخزرج الذين امتدحوها على بني اسرائيل  
فلم تزل بيدهم حتى هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكما شرف الله  
مكة بالحج الى البيت بعد الاسلام شرف المدينة بشواء جثمان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فيها ودعه كثير من جلة الصحابة والانصار

هذا وبالبحجاز غير حاضريه من المدن والقرى والاودية كثير

منها الطائف في بطن من جبل غزوان شرق مكة وهي شديدة البرودة  
كثيرة الغاكة وأهلها من ثقيف وقيل ثقيف من بقايا ثمود وبهذا كان يعبر  
الثقيفون وكان الحجاج من الذين يدفعون ذلك وهي احدي القرينتين المذكورتين  
في قوله تعالى ( وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القرينتين عظيم )  
فالقرينتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود  
من الطائف . وبين مكة والطائف واد كثير النخل هو عكاظ وبه كانت تقوم  
سوق العرب الكلامية كما سيأتي بعد .

ومنها جدة فريضة مكة على ساحل بحر القلزم ميناء عظيمة كانت تذهب اليها

المراكب من مصر واليمن وهى ميقات من قطع البحر من جهة عيذاب. «وهى المدينة التى خلفتها القصير»

ومنها خير إلى الشمال الشرقى من المدينة وهى مدينة قديمة ذات حصون كانت لبني عنيزة من اليهود قبل الاسلام والخير فى لغتهم الحصن ولبنى قريظة والنضير بعده وهى معروفة برداءة الهواء وكثرة الوباء وبجماها يضرب المثل قال الشاعر

وقفت بها أبكى وأشهر سخنة كإعتاد محموما بخير صالب  
وكانت كثيرة النخل يحمل تمرها الى الجهات القصوى وفى ذلك يقول الشاعر : —

فانك واستبضاعك الشعر نحونا كاستبضع تمرا الى أرض خيرا  
وعلى مقربة من خير الى الشمال الغربى وادى القري وبه الحجر نزل ثمود فى القديم. وبين خير والمدينة قرية فدك وفرضة المدينة الجار ومقامها تقوم ينبع الآن. وعلى مقربة منها إلى الجنوب الشرقى ماء بدر الذى تنسب إليه الغزوة الكبرى بعد الاسلام.

## ٢ — اليمن

اليمن إقليم متسع النواحي كثير الخيرات تسمى أرضه الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها يخرج من الحبوب والفاكهة ما تخرج المنطقتان المعتدلة والحارة وحيوانه حيوان الحجاز يزيد فى أهليه البقر والبغال والحمير وفى برية الزراف والقرودة فضلا على ما بأرضه من المعادن السكينة المتنوعة. وهو ينقسم بضعة أقسام. فاليمن الأصلية على امتداد الحجاز جنوبا جبالا وتهائم وإلى شمالها الشرقى نجران كما إلى جنوبها الغربى حضرموت الممتدة

طويلا على ساحل بحر الهند وعلى هذا الساحل يمتد الشجر شهرة فظنار ثم عمان المتصلة بساحلى عمان وفارس . وفيما بين هذه الافسام كلها غربا وجنوبا وشرقا والعروض شمالا توجد صحراء الاحقاف المعروفة بالربع الخالى وبها كان أصل منازل عاد ولا يعرف عنها الا ن سوي القليل.

وقد شهدت اليمن حضارة قديمة تضارع فى جلالها وعظمتها أقدم الحضارات وأول ما عرف فيها الملك للعرب كان لعاد وهذه هى الطبقة العادية وخلفها القحطانيون وعظم ملكهم فى الحيريين والتبابعة من بعدهم ومنهم بلقيس ولم يزل ملكهم فى سلطان وعتاد حتى جاء السيل فتنفرق كثير من شعوبهم فى سائر أنحاء الجزيرة وضعف أمر من بقي منهم باليمن ومن ثم تمكنت الحبشة من امتلاكها ثم الفرس من بعدها وبها كانوا الى الاسلام .

واليمن (شأن كل بلاد كثيرة الخيرات قديمة العمران) ملائى بالمدن التاريخية ذات الحصون المنيعة والقصور المنيفة والآثار التى تشهد على رقى عادى له فى التاريخ مقام كبير وقد بدأت المكشوفات الحديثة تخبر عما هو هنالك دفين .  
فماضيتها صنعاء فى جنوب اليمن الاصلية وهى من أحسن البلاد سكنا وأطيبها هواء تكاد تحاكي دمشق فى كثرة مياهها وأشجارها وبظاهرها قصر غمدان الكثير ذكره فى الاشعار .

ومن مدنها ما رُب الى الجنوب الشرقى من صنعاء وكانت من أجمل بلاد اليمن حسن تربة واطف هواء وهى الموصوفة فى القرآن بالبلدة الطيبة وتسمى أيضاً سبأ نسبة الى بانيها وبنو سبأ هذا هم الذين أخبر القرآن أن كان لسكنهم فيها آية جنتان عن يمين وشمال فأعرضوا فأرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل

ومنها عدن وهى فرضتها على ساحل البحر المحيط وكانت أعظم المراسى

ومحط التجار من عامة الاقطار « الحجاز والحبشة والسند والهند وجزائر المحيط والصين »

### ٣ - العروض

والعروض على ما تقدم من موقعها تنقسم قسمين داخلي هو اليمامة وساحلي هو البحرين. فاليمامة أكثر بلاد العرب نخيلاً ومنها في القديم زرقاء اليمامة المضروب بها المثل في حدة البصر وفي الحديث مسيلمة الكذاب وقصبتها اليمامة. والبحرين كثيرة الدخل كذلك وفيها غيره الحب والفاكهة ومن مدنها الداخلية هجر المضروب بها المثل في تصدير التمر ومن الساحلية القحطيف.

وكانت اليمامة في القديم لجديس وطسم والبحرين لعاد وجاء من بعدهم في الاثنتين القحطانيون ومن كان بعدهم على اليمن الى أن جاء الاسلام إلا أن اليمامة وحدها آخر عهد الفرس كانت لبني حنيفة وآخرهم هوذة بن علي الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم كما كتب الى الملوك

### ٤ - نجد

أما نجد فكان الحجاز نباتاً وحيواناً إلا أنها أحسن أرض في جزيرة العرب هواءً وأطيبها شمساً ولذلك انبرى الشعراء قديماً وحديثاً يلهمجون بذكرها ويتزعمون برأيها وشدائها قال الشاعر

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة والقضار  
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار  
ألا يا حبذا تفحات نجد وريا روضه بعد القطار  
وأهلك إذ يحل الحى نجداً وأنت على زمانك غير زار  
شهور ينقضين وما شعرنا بانصاف لهن ولا سرار

وهي تنقسم قسمين نجد السافلة وهي ما وليت العراق وبها صحراء الدهناء  
ونجد العالية وهي ما ولي الحجاز وفيها أجأ وسلمى جبلا طي<sup>١</sup> الوارد ذكرها في  
كثير من الاشعار ومنها أرض العالية التي كان يحميها كليب التغلبي ومن أجلها  
قتل فنشبت حرب البسوس من بعده أعواما طويلة بين بكر وتغلب ابني وائل.  
هذا ولا تعلم لنجد سكنى في القديم قبل ولد عدنان ومن خالطهم من  
القحطانيين بعد السيل

### مدن البوادي

ومن المدن العربية ببادية الشام تيماء بالغرب منها وكانت حاضرة طي<sup>٢</sup> وبها  
الابلق الفرد حصن السموعل بن عاديا ثم دومة الجندل بالوسط وكانت لبني  
كلب وفيها كان التحكيم بين علي ومعاوية.

ومنها ببادية العراق الحيرة مقام الملوك اللخميين وفيها الخورنق والسدير  
المعروفان ثم الانبار وكان الاكاسرة يدخرون بها الحبوب كيلا تسوس .  
ومنها بالجزيرة ديار بكر وريبعة ومضر الثلاث نسبة الى من سكنها من أبناء هؤلاء  
على أنهم سكنوا معها غيرها هناك كالموصل ونصيبين كما نرح الى الجزيرة غيرهم  
من القبائل الاخرى كالطائيين .

هذا ومما كان يدور على ألسنة الشعراء كثيرا ذكر الدارات والبرق كدارة  
جابل وبرقة ثم يدقصدون بالاولى كل أرض مستديرة بين جبال تكون ذات  
سهولة ورياض وبالثانية ما كان فيها غلظ وبريق من حجارة ورمال تختاطان  
بالطين . وقد ذكر صاحب القاموس أن البرق تنيف على المائة وعددها منسوبة  
الى ما أضيفت اليه مرتبا على الحروف كما ذكر أن الدارات تنيف على المائة والعشر  
وذكرها كلها كذلك بعد أن قال رحمه الله انها لم تجتمع لغيره مع بحثهم وتنقيحهم  
فجزاه الله خيرا .



## ثانياً - أصلها وأقسامها ومشهورات قبائلها

العرب ذاك الجيل من الناس الذين كان لسانهم العربية وكانت سكنهم الأولى تلك الجزيرة المنسوبة إليهم سيان في ذلك الحضر سكان المدن والبدو الرجل الذين اختصوا باسم الأعراب فأطلق اسم العرب لذلك علي الحضر أو كاد. والعرب أمة سامية ترجع في أصل نسبها إلى سام بن نوح عليه السلام وقد اعتاد المؤرخون تقسيمها قسمين عرباً بائدة وهم الذين بادت ذرايرهم وانقرضت تفاصيل أخبارهم قبل مجيء الإسلام بقرون وأخرى باقية وهم الذين جاء الإسلام والجزيرة العربية تعج بأبنائهم وتضيق عن أخبارهم

فالعرب البائدة وقد يقال لهم العاربة أو العرباء يرجعون عن قرب إلى إرم ابن سام والمشهور من قبائلهم عاد بن عوص بن إرم وثمود بن جاثر بن إرم وعبد ضخم وجديس ابنا إرم وطسم وعمليق ابنا لاوذ بن إرم .

فعاد كانت منازلهم الأولى بالاحقاف وهم الذين بعث الله إليهم نبيه هودا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم بالريح العقيم سيخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما أخبر القرآن وكانوا قد بلغوا من القوة واتخاذ الصانع لاخلود مبلغاً عظيماً ولذلك يقال للشيء يكون قديماً وعظيماً عادى نسبة إليهم

وثمود كانت منازلهم الحجر بوادي القرى وقد بعث الله إليهم نبيه صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كما جاء بذلك أيضاً القرآن ولم يكونوا أقل من عاد قوة وعتاداً فقد جاءوا الصخر بالواد وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا فارحين

وعبد ضخم كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك ويقال لإنهم أول

من وضعوا الخط العربي كما يقال إنهم يرجعون الى ثمود ولذلك قد تنسب  
ثقيف بالطائف الى بقايا ثمود التي كانت بعيدة عن مهاكلهم

وجديس وطسم ويقال إنهما من عاد كانت منازلهم باليمامة فأباد بعضهم  
بعضا بالحرب في أخبار طويلة يذكرها القصاصون ليست محل ثقة واعتقاد

وعمايق كانت أمة عظيمة يضرب بها المثل في الطول وتفرقت منها شعوب  
سكنت عمان والبحرين والحجاز والعراق والجزيرة والشام ومصر ومنهم بالاخيرة  
فراعنة الرعاة وقد بادوا جميعا أو اختلفت شخصياتهم في أمم غيرهم

ومن القبائل التي تنسب إلى البائدة أيضا جرهم الاولى تميزا لها عن جرهم  
الثانية وقد يكون التمييز بجرهم عاد وجرهم قحطان وكذلك أميم وجاسم ووباربل  
ومدين أبناء مدين بن ابراهيم تلي بعض الانوال وهو ضعيف

والعرب الباقية قسما قحطانيون ويقال لهم المتعربة أو المستعربة عندهم وسم  
الاولى بالعاربة والعرباء كما يقال لهم العاربة أو العرباء عندهم قصر على الاولى  
لفظ البائدة وهم منسوبون إلى قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام

وعدانيون ويقال لهم المتعربة أو المستعربة كالقحطانيين كما يقال لهم المستعربة  
فقط عند من خص القحطانيين بالمتعربة وهم منسوبون إلى عدنان بن أدد بن

مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن اسماعيل بن ابراهيم  
عليهما السلام وأبو ابراهيم آزر أو تارح بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ  
ابن أرفخشذ بن سام وليس الى النسب فيما خالف عدنان طريق صحيح انما

المجمع عليه أن اسماعيل ابن ابراهيم وابراهيم يرجع الى سام فهذان الشعبان الباقيان  
ساميان كالشعب البائد واذا تكون الامة العربية جمعاء سامية من غير ما خلاف

فيلتقي العدنانيون بالقحطانيين في عابر والقحطانيون بالبائدة في سام

## القحطانيون

ولد قحطان يعرب وجرحم فانتقل جرحم الى الحجاز كما سبق ولما جاء اسماعيل مكة خالطه بنوه بها واستوطنوها معه وهم جرحم الثانية وبقي يعرب باليمن فولد يشجب وولد يشجب سبأ وأنجب سبأ في اثنين حمير وكهلان واليهما ترجع جميع قبائل اليمن

فالي حمير ترجع قضاة والمشهور من أحيائها سبعة جرم ونهد وبقيتا باليمن وعذرة بمجنوب الحجاز وجهينة وبلى شماله بالترتيب وبهراء شمالهما فيه وعلى شاطئ الفرات تم كلب بدومة الجندل وتبوك وأطراف الشام. والى عذرة ينسب العشق والتيم ومما يحكى في هذا أنه قيل لرجل منهم يا بال العشق يقتلكم يا بني عذرة فقال لان فينا عنة وجالا وقيل لا خير منهم يا بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة انما ذلك ضيف فيكم يا بني عذرة فقال أنا والله لو رأيتم النواظر الدعيج تحتها المباسم الفاج فوقتها الحواجب الشرج لا تخذموها اللات والعزى

وذكر بعض النسابة أن قضاة من العدانية والصحيح ما تقدم ذكره قضاة واسمه عمرو هو ابن مالك بن عمرو بن مرة بن زبد بن مالك بن حمير ولعل ذلك شبه عليهم من أن أم قضاة ذات عنها مالك وهى حامل فيه فتزوجها بعد بن عدنان فولدت قضاة على فراشه فتبناه فنسب اليه ثم رحل قضاة الى اليمن فكان له ذلك بالشعر ويقال ان له تبرا معروفا بجبل هناك

والى كهلان ترجع شعوب كثيرة كانوا يتداول الملك وبني حمير باليمن ثم انفردت بنو حمير به وبقيت بطون كهلان على كثرتها تحت إمرتهم الى أن تقاصر ملك حمير فكانت الرياسة بالبادية لبني كهلان. وأشهر أحياء كهلان أحد عشر «١» طيء وهم أكثر أحياء اليمن بطونا فاليهم يرجع خمسة عشر بطنا نزع

منهم كثير الى الحجاز ونجد فغلبوا بنى أسد على أجدأ وسلمى فعرفا بجبلى طيء  
 وخرج بنو أسد الى الشرق من ذلك والى بولان أحد بطون طيء ينسب  
 الرجال الذين قيل فيهم إنهم أول من كتبوا بالخط العربى بعد العرب  
 الأولى «٢» الازدوهم بطون كثيرة باليمن وعمان ومنهم خزاعة بمكة والاولس  
 والخزرج بالمدينة والغسانيون آل جفنة بالشام «٣» لخم ومنهم المناذرة ملوك الحيرة  
 بالعراق «٤» كندة وكان لهم ملك قديم بحضرموت وآخر بعده بنجد ودومة  
 وكان آخر ملوكه حجير والد امرئ القيس «٥» عاملة بشمال الشام . ثم مذحج  
 وهمدان ومراد وجذام وأشعر وأنمار ولم تعرف لبطونهم فى القديم خارج  
 اليمن ديار

وبعض النسابين يقولون إن أنمار اليمن أولاد أنمار بن نزار العدناني  
 ولاكنهم أقاموا بها فنسبوا اليها والصحيح أنهم من اليمن وجاء اللبس من أنه  
 كان لأنمار بن نزار بنت زوجها من أراش بن عمرو الكهلاني فولدت له ولدا  
 أسماه على اسم جده لأمه. فأنمار اليمن إذا هم بنو أنمار بن أراش وأنمار الحجاز  
 بنو أنمار بن نزار على أنه قيل إن أنمار بن نزار لا عقب له إلا هذه البنت  
 والآنمار فى قحطان دون عدنان وفى هذا وجهه .

### العدنانيون

ولد عدنان معدا وولد معد نزارا وأنجب نزار فى أنمار وإياد وريعة ومضر .  
 فأنمار سبق القول فيه والراجح أنه لم يعقب الا فى تلك البنت التى زوجها من  
 أراش الكهلاني كما سبق وأنمار لليمن دون الحجاز .  
 وإياد فارق الحجاز وسار بأهله الى أطراف العراق وبها أقام ولم يزل النسب  
 راجعاً إليه فى كل بنيه اذ لم يصلوا الى كثرة على تطاول الايام .

وربيعة أعقب في ضبيعة بالحجاز ولم تكثر بطونها وفي أسد ربيعة وفيها  
كثرة فتمها عنزة بنخير وجديلة ومن جديلة عبد القيس بتهامة نجد والبحرين  
والنمر بالجزيرة ووائل ومن وائل تغلب والبحرين ونجد والحجاز والشام .  
وبكر ومن بكر بنو حنيفة وبنو عجل باليمامة وبنو شيبان والبحرين ومنهم سدوس  
ومضر أعقب في قيس عيلان والياس

ومن قيس عيلان جاءت الكثرة التي لم تبين معها بطون ربيعة فغلبت قيس  
على سائر العدنانية حتى قيل قيس ويمن فتمها عدوان بالطائف وسليم بمالية نجد  
قرب خيبر ومازن وباهلة باليمامة وغطفان بين جبلى طيء ووادي القرى الى  
المدينة ومنها أشجع وعبس وذبيان ومن ذبيان فزارة ومن فزارة بدر ومازن  
الثانية ثم من قيس أيضا هوازن وهي أكثرها بطونا فتمها ثقيف على الاصح بالطائف  
وبنو سعد بالحجاز وبنو جشم بالسروات وهي تلال تفصل بين نجد وتهامة من  
البحرين الى الشام ثم بنو عامر باليمامة والبحرين ونجد والحجاز والشام والجزير  
ومنهم على التسلسل بنو كلاب فبنو هلال فبنو نمر فبنو عقيل

أما الياس فاليه يرجع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أعقب في قعدة وطابخة  
ومدركة . فقعدة لم يشتهر عقبه وطابخة منه مزينة بشمال الحجاز وضبة بشمال نجد  
وبالعراق وتميم بشرق نجد وشمالها ومن تميم العنبر وحنظلة ومن حنظلة يربوع ومن  
يربوع العنبر الثانية . بقي مدركة ومنه هذيل بالطائف وخزيمة ومنها الهون بين مكة  
والمدينة ومن الهون عضد والديش المعروفان بالقارة وكانوا رماة ومن خزيمة أيضا  
أسد وفيها كاهل ودودان وكانوا بأجأ وسلمى الى أن أجالتهم عنها الى الشرق طيء كما  
سبق ثم كنانة بمكة وتهامة الحجاز ومنها عامر وعمر وملك وملك وعبدمناة  
والنضر ومن مالك فراس ومن عبدمناه غنار وبكر وليث والحارث ومدلج وضمرة أما  
النضر وهو قریش فابنه مالك وابن مالك فهروا بناء فهير غالب والحارث ومحارب وابنا

غالب لؤى والادرم وأبناء لؤى كعب وسعد وخزيمة وعامر وأبناء كعب مرة وعدي  
وأبناء مرة كلاب وتيم ويقظة وأبناء كلاب قصى وزهرة وأبناء قصى عبد مناف  
وعبد الدار وعبد العزي وأبناء عبد مناف هاشم عبد شمس ونوفل والمطلب وأبناء هاشم  
عبد المطلب ونضلة وأسد وصيفي وأبو صيفي وأبناء عبد المطلب عبد الله والدر رسول  
خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والعباس والدا خلفاء العباسيين وأبو طالب والد أمير  
المؤمنين علي بن أبي طالب وحمزة وانقرض عقبه وأبو لهب والحارث أعقبا ولم  
يعرف عقبهما ثم الزبير وعبد الكعبة وضرار وحجل وقثم والغيداق ولم يعقبوا

### ثالثا - أيامها الكبرى ذوات الاثر في الادب

لعلنا لا نغلو إذا قلنا إنه لم تتوافر لدى أمة ما أسباب التناحر والتقاتل والتنابد  
والتطاحن بقدر ما توافرت لدى أمة العرب في جاهليتها وبخاصة الشعوب العدنانية  
منها فقد انتشر وافي أنحاء الجزيرة العربية يطلبون لما شيتهم كلاً هاويين تتجعون لارتداد  
مواقع الغيث أنحاء ها فاذما محل بقبيلة موطن طابوا آخر ينزعون ندهن غيرهم انتزاعا  
بأسنة الرماح وظلمات السيوف وما أسرع ما يهرعون الى الغارة على عدوهم يلهبونها  
والى ظهور خيولهم يعتلونها فيكون الطعن والنزال والضرب والقتال ويكفى أن تكون  
غارة بين قبيلتين أسا تقوم له الحرب على قدم وساق فتبقى أما اذا و آجالا يشب أو ارها بين  
آونة وأخرى طلبا للثأرات أو انتقاما بما ل يغصب وقد يستجير المطلب بقبيل يائي الا  
أن ينصره قياما بحق الجوار ويدافع عنه كما يدافع عن نفسه فيغزى لذلك ويقاتل  
وتكون هناك حرب أخرى وغالبا ينضم فيها حليف الحليف على أنه لم تخل الجزيرة  
العربية من حروب حفز اليها الدفاع عن ملك أو الانتصار لمتبوع أو التعصب على  
عمومه أو في خصوصه ولا نظن أن أيام العرب الكبرى الى غير ذلك ترجع فطلب  
العيش والاخذ بالثأر وحماية الجار وساعدة الحليف ثم ما قفينا به من الدفاع عن الملك

ونصرة المتبوع والتعصب كل أولئك كان من أجله تقوم الحروب  
وإذ سبق هنا أن العدائية كانت المسعر لهذه الحروب وتقدم في ذكر الانساب أن  
كثيرتها كانت تزخر بتغلب وبكر في ربيعة وبهوازن وغطفان وجشم وسالم في قيس  
وبتميم في طابخة ثم بكنانة وقريش في مدركة فانا سائقون لذلك أشهر حروب  
هذه القبائل مسبوقة ببعض ما كان بين نزار واليمن ومتلوة ببعض آخر هو  
ما كان بين العرب والفرس مع ذكر بعض ما كان لليمن خلال ذلك لمناسبة

### بين نزار واليمن

يوم الكلاب الثاني — بين مذحج وتميم وسببه أن تهما نزات الكلاب وهو  
ماء بين اليمن والبحرين طوله مسيرة يوم فعلمت مذحج فأغارت عليها فدارت الدائرة على  
مذحج وكان رئيس تميم قيس بن عاصم ورئيس مذحج عبد يغوث وقد أسروا في أسره  
هذا قال قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيما      فلا تكما في اللوم خير ولا ليا

قالها يلوم قومه على هزيمتهم ويعتذر لنفسه عن أسره ذا كرا ما كان له قبل من  
بلاء ومعددا بعض مفاخره الماضية كما لبني تميم مفاخرته بهذا اليوم الذي نادى فيه  
قيس وقد وات مذحج الادبار يا آل تميم لا تقتلوا الا فارسا فان الرجال لكم  
ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولوا عصبا هو اربا      أقسمت لأطعن الا راكبا

إني وجدت الطعن فيهم صائبا

يوم خزازي — ويقال له خزاز جبل يتوسط الطريق بين مكة والنصرة  
وهو من أقدم الايام بين نزار واليمن وكان رئيس نزار فيه على غلبة الظن كليب  
التغلي أو هو قد أبلى فيه بلاء بينا وهزمت اليمن فيه هزيمة نكراء

وبعده خرجت نزار عن سلطة اليمن ونقضت جيمية تباعته بعد أن كان رسولهم يأتي  
ومعه كاتب وطفنسة يجلس عليها فيأخذ من أموال نزار ما يشاء وليس بمعروف  
عن هذا اليوم شعر يعاصره ولا كنهه ذكر على ألسنة الشعراء بعد كهمل بن  
كلثوم التغلبي حيث يقول :

ونحن غداة أوقد في خزازي      رفدنا فوق رفد الرافدين  
فكنا الأيمنين إذا التقينا      وكان الأيسرين بنو أئينا  
فصالو صولة فيمن يليهم      وصلنا صولة فيمن يلينا  
فآبوا بانهاب وبالسبايا      وأبنا بالملوك مصفدينا

### حروب ربيعة

أشهر البسوس بين تغلب وبكر ابني وائل وذلك أن تغلب أخذت بعد  
خزازي مكانا عليا في العرب وملك كليبها فعظم شأنه وعلا علوا كبيرا وبلغ من  
كبريائه أن صار يحمي مواقع الفيت والوحش فيقول كلاً كذا في حمى  
ووحش كذا في جوارى وحدث أن كانت البسوس بنت منقذ خالة جساس  
ابن مرة عند ابن أختها هذا وكانت لها ناقة رأت أبل كليب ترد فوردت  
معه فرماها كليب بسهم خرم ضرعها فوات وهو شيخ لبنا فلما رأتها البسوس  
قذفت خمارها عن رأسها وذهبت إلى جساس صائحة واذل جراه فأحسبه ذلك  
على ما كان من ظلم كليب وحسد بكر لتغلب فذهب إلى كليب مسرعا فطعنه  
فقصم صلبه وكان معه عمرو بن الحارث الشيباني فطعنه فقطع بطنه فوقع  
يفحص برجله وقيل في مضرب المثل ( تجاوزت شبيثا والأحصى ) وهما ماءان  
إن قاله جساس إذ قال له كليب حين وقع أغثنى بشربة من ماء وفي تصدق ذلك  
يقول عمرو بن الهم



وان كلييبا كان يظلم قومه فادركه مثل الذى تريان  
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكر ظلم الاهل أى أوان  
وقال لجساس أغثنى بشربة والا فخير من رأيت مكاني  
فقال تجاوزت الاحص وماءه وبطن شبيث وهو غير زؤان  
فهاجت بمقتل كليب حرب البسوس التى مكثت طويلا من الدهر بين تغلب  
وبكر ابني وائل وكان المهمل أخو كليب المعروف بالزير لما كان عليه من اللهو  
واستدامة التحدث الى النساء حامل لوائها على بكر وشيبان ومن والاهما لا يقنعه فى  
ذلك مقنع ولا يقف فى القتال عند حد . يدل على ذلك أمثال قوله

أكثر قتيل بنى بكر برهم حتى بكيت وما يبكى لهم أحد  
آليت بالله لا أرضى بقتلهم حتى أبهرج بكرا أينما وجدوا

وقوله

قتلوا كليبا ثم قالوا أربعوا كذبوا ورب الحل والاحرام  
حتى تبعد قبائل وقبيلة ويعض كل مشقف بالهام  
وتقوم ربات الخدور خواسرا يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

يال بكر أنشروا لى كليبا يال بكر أين أين الفرار  
ولما أسرف مهمل فى الدماء وكانت لتغلب على بكر أيام كثيرة كالذئاب  
وعنيزة والخنو ثم واردات الذى قتل فيه بجير بن الحارث بن عباد أو ابن أخيه  
وكان الحارث اعتزل تلك الحروب فلما بلغه قتل بجير هذا قال نعم القتل قتيلا  
أصلح بين ابني وائل ووطن أن المهمل أدرك به ثار كليب وجعله له كفؤا  
فوقيل له إن مهمل لما قتل بجيرا قال له « يؤشسع نعل كليب » فغضب الحارث وتولى

أمر بكر ولم يزل يقتل تغلب حتى تفرقت وهرب المهلهل وفي ذلك يقول الحارث  
وكانت له فرس تدعى النعامه

قربا مربوط النعامه منى إن بيع الكريم بالشسع غالى  
قربا مربوط النعامه منى لقحت حرب وائل عن حيال  
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرهما اليوم صالى  
قرباها فى مقربات عجال عابسات يشن مثل السعالى  
لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـ طكليب تراجروا عن ضلال  
يا بجير الخيرات لا صلح حتى نملأ اليد من رعوس الرجال  
وكان اليوم الذى انتهى بتفرق تغلب وهرب مهلهل يوم قضية وهو يوم  
تحلاق اللحم وبه تفخر بكر. ولما هرب مهلهل انتهى الى جنب وهم بطن من  
مذحج وكانت دعه ابنته فخطبوها فتمنع فاجبروه وأمهروها جلودا وفي ذلك  
يقول متحسرا على عزفات

أعزز على تغلب بما لقيت أخت بنى الاكرمين من جشم  
أنكحها فقدھا الاراقم فى جنب وكان الحباء من أدم  
لو بأبانين جاء يخطبها زمل ما أنف خاطب بدم  
ولمهلهل فى رثاء كليب وبكاءه القصائد الطويله  
منها التى مطلعها

أليمتنا بنى حسم أنيرى اذا أنت انقضيت فلا تحورى  
والتي مطلعها

بت ليلى بالانعمين طويلا أرقب النجم ساهرا أن يزولا  
والتي يقول فيها

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها اذا أنت خليتها فيمن يخليها

ومما يذكر من شعر العاطفة المتجيرة هنا شعر جلييلة أخت حساس وامرأة  
كليب إذ قالت لها أخت كليب يا هذه اخرجي عن مأتمنا فانت أخت وابرنا  
وشقيقة قاتلنا وشيعتها بقولها حين خرجت « رحلة المعتدي وفراق الشاهت » فقالت  
جلييلة وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أفلا تقولين « نفرة الحياء  
وخوف الاعتداء » ثم أنشأت تقول

يا بنة الاقوام ان شئت فلا	تهجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذي	يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان تكن أخت امرىء ليمت على	شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل حساس فيا	حسرتى عما انجلى أو ينجلي
فعل حساس على وجدى به	قاصم ظهري ومدن أجلى
يا قتيلا قوض الدهر به	سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته	وانثنى فى هدم بيتى الاول
يا نسائى دونكن اليوم قد	خصمنى الدهر برزء معضل
خصمنى قتل كليب بلظى	من ورائى ولظى من أسفلى
ليس من يبكى ليوميه كن	إنما يبكى ليوم مقبل
يشتهى المدرك بالثار وفى	دركى ثارى ثكل انشكل
انى قاتلة مقتولة	ولعل الله أن يرتاح لى

### بين ربيعة وغيرها

من أعرف الحروب بين ربيعة وغيرها ما كان بينها وبين تميم وذلك أن  
بكرًا اعتادت أن تلتجع أرض تميم ترعى بها فاذا ما أرادت الرجوع لم تدع  
عورة تصيبها ولا شيئًا تظفر به الا اكتسحتته وكان ذلك منذ القديم فاجعت

تميم رأيها على مدافعة بكر وبهذا كانت لا تنطفئ بينهما نار حرب ولهذا كانت تميم تنضم الى تغلب على بكر في حرب البسوس ثم إن الغلبة اكثرا الايام كانت لتميم وان كانت الايام حافلة بالمفاخر اكثرا الطرفين فمن أيام بكر على تميم يوم الزورين وهما جملان أنت بهما تميم مقرونين مقيدين وقالوا لا نولى حتى يولى هذان «والبعير اذا قيد فهو زور أو زوير ماء حوذ من الزيار وهو ما يزر به البيطار الدابة» فاخبرت بكر رئيسها وهو عمرو بن قيس بن مسعود الاصم بذلك فقال وأنا زويركم إن خشوها فخشوني وإن عقروها فاعقروني ثم التقوا فاقتتلوا قتالا شديدا انهزمت فيه بنو تميم وقتل منهم أبو الرئيس النهشلي وغيره كثير وأخذت بكر الزورين وفي ذلك يقول الاغلب العجلي

جاءوا بزورهم وجئنا بالاصم شيخ لنا قد كان من عهد إرم  
فكر بالسيف اذا الرمح انحطم كهمة الليث اذا ما الليث هم  
كانت تميم معشرا ذوى كرم مخلصه من الغلاصم العصم  
قد نفخوا او ينفخون في فيحم وصبروا لو صبروا على أمم  
اذ ركبت ضبة أعجاز النعم فلم تدع ساق لها ولا قدم  
ويقول رجل من بني سدوس

ياسلم إن تسالى عنا فلا كشف عند اللقاء واسنا بالمقاريف  
نحن الذين هزمنا يوم صبيحنا جيش الزويرين في جمع الاحاليف  
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسطهم بالشيب منا وبالمرد الغطاريف

ومن أيام تميم على بكر يوم بلقاء الحسن «والحسن جبل» وفيه قتل بسطام بن قيس سيد بني شيبان قتله عاصم بن خليفة الضبي فقال ابن غنمة الضبي يرثيه وكان

مجاورا اذ ذاك في بني شيبان وخاف أن يقتلوه

لا تم الارض ويل ما أجنت بحيث أضر بالحسن السبيل

يقسم ماله فينا ويدعو أبا الصهباء إذ جنح الاصيل

فان تجزع عليه بنو أبيه فقد فجعوا وحل بهم جليل

بمطعام إذا الاشوال راحت الى الحجرات ليس لها فصيل

ومنها البيت المشهور مخاطبه فيه

لك المربع منها والصفايا وحكك والنشيطه والفضول

ومما يعد من حروب ربيعة وان كان الباعث فيه لا يعدو الدفاع عن ملك

ما كان بين شرحبيل ومسامة ابني الحارث بن عمرو الكندي وكان قد ملك

على بكر بن وائل برضاهم من قبل أحد التباينة لما تقاطعت أرحامها وغلبتها

سفهاؤها فأحسن قيادها وغاب بها على كثير مما كان في أيدي ملوك الخيرة

الليخمين وملوك الشام الغسانيين فلما مات اختلف ابناه هذان على الملك فكانت

بكر مع شرحبيل أكبر الاخوين وانضمت تغلب نكاية في بكر الى مسامدة وكان

يوم الكلاب الاول وفيه قتل شرحبيل

### بين الليخمين والغسانيين

وعلى ذكر الدفاع عن الملك وذكرا لليخمين والغسانيين نقول إن من الحروب

العربية الكثيرة الوقائع الشديدة الايام ما كان بين هذين الجذمين من اليمن لان

ضلع الغساسنة كان مع الروم وضلع الليخمين كان للفرس فسلطت كلتا الدولتين

تبيعها على الآخر ومن أشهر ما كان بينهما من أيام يوم حليلة وهذا يوم

حليلة بسر ارتفع فيه من العجاج ما غطي عين الشمس حتى ظهرت الكواكب

وكان بين الحارث بن أبي شمر الغساني والمنذر بن ماء السماء اللخمي وحليمة هذه ابنة الحارث ونسب اليوم اليها لانها أخرجت لابن بطال أبيها مكرنا به طيب تطيبوا منه والمركن الاجانة

### بين الاوس والخزرج

وقل أن توجد حرب داخل الجزيرة لليمن غير ما تقدم الا ما كان بين الاوس والخزرج وهو قليل وأشهر أيامه يوم بعاث وهي مزرعة في ديار بني قريظة من اليهود وكانت لهم رهائن عند الخزرج فغدر بها عمرو بن النعمان البياضي رئيسهم فاعانوا عليه حضير الكتائب رئيس الاوس وفيه انهزمت الخزرج واكن أصيب حضير بجراح مات متأثرا بها وفي ذلك يقول خفاف بن ندبة وكان له صديقا يرثيه

أتاني حديث فكذبته وقيل خليك في المرمس  
فيا عين بكى حضير الندى حضير الكتائب والمجلس

### حروب قيس

#### ١ - بين عبس وذبيان

أهمها داحس والغبراء بين عبس وذبيان وكان سببها أن قيس بن زهير العبسي وحمل بن بدر الفزاري « وفزارة من ذبيان » تراهننا على مائة بعير يأخذها من يكون له سبق وكان داحس فحلا لزهير والغبراء حجار الحمل وكان في طرف الغاية شعاب كثيرة فأكن فيها حمل فتينا وأمرهم أن يردوا وجه داحس اذا جاء سابقا فلما برز داحس قال قيس « جرى المذكيات غلاء »

فذهبت مثلاً وإلى كنف لما شارف الفاية وثب الفتية في وجهه فردوه عنها فسبقت الغبراء وامتنع قيس أن يدفع الرهان لما كان من عمل الفتية وكاد الناس يسكنون لولا أن حذيفة أخا حمل بعث ابنه مالكاً إلى قيس يشدد في طلب الرهان فقتله قيس فاجتمع الناس واحتملوا ديته مائة عشرة وأكن حدث أن علم حذيفة بنزول مالك بن قيس بعيداً عن قومه فعدا عليه فقتله فقاتل عيسى مالك بمالك وردوا علينا مالكاً فإني حذيفة فقال الربيع بن زياد العبسي وكان الذي احتمل الدية عن قيس ولم يكن في العرب مثله ومثل إخوته وكان يقال لهم الكلمة لبئساً فعلمهم بقومكم قبلنا الدية ورضيتكم بها ثم غدرتم ردوا الدية فلم يسمعوا فنهض بعيس وحلفائها إلى فزارة وذيبيان ورئيسهما حذيفة وبدأت حرب داحس التي مكثت طويلاً حتى كاد ينقرض لها الطرفان وأيامها دامية كثيرة منها المريقب لعيس على فزارة وفيه قتل عنزة الفوارس ضمضم المري أبا حصين وهرم الذين توعدا عنزة فقال فيهم من معلقته

واقعد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم  
الشامي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم آلقهما دمي  
إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم  
ومنها الهباعة لعيس على ذيبيان وفيه قتل حمل بن بدر وأخوه حذيفة ومثل بهما  
فغظم على غطفان قتلهم وكذا سائر قتلى الهباعة وتجمعت على عيس فعرفت  
عيس أن ليس لها مقام بارض غطفان فخرجوا إلى اليمامة فنزلوا ببني حنيفة  
ثم غادروهم إلى بني سعد فغدروا بهم ولم تزل الأرض بعيس نائمة وذيبيان  
ومن تحمس لنصرتهم من غطفان ينالون منهم حتى أصابح بينهما هرم بن سنان  
والحارث بن عوف المريان وتحملا الديات وإلى ذلك يشير زهير وكان منقطعاً

الى مدح هرم في مهلقته حيث يقول  
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم  
يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم  
تداركما عيسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم  
وقد قالتا إن ندرك السلام واسعا بمال ومعروف من القول نسلم  
فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأنم  
عظيمين في عليا معد هدينا ومن يستبح كنزا من المجد يعظم  
الى آخر ما أفاض في هذا الموضع . وفي قتلى الهبأة كثير من المراثي والاشعار  
لما أصابت من سادة وما وقع فيها من تشف وتمثيل

## ٢ - بين هوازن وغطفان

ومن حروب قيس أيضا . ما كان بين هوازن وغطفان وذلك أن هوازن  
كانت تؤدي إتاوة الى زهير بن جذيمة العبسي فأتته عيجوز من كلاب بسمن  
في نحى واعتذرت اليه وشكت سنين تتابعته فذاقه فلم يرض طعمه فدعس  
المرأة بقوس في يده فاستلقت على قفاها منكشفة فتألى خالد بن جعفر الكلابي  
ليجعل ذراعه في عنقه حتى يقتل أحدهما ثم استقل زهير عن قومه بابنيه ورقاء  
والحارث فخرج خالد ومعه معاوية الاخيل جدليلي الاخيلية وأحس زهير  
فركب فرسه القعساء ولكن معاوية وخالدا أدركاه فطعن معاوية القعساء  
فقلبت زهيرا وخر خالد فوقه فرفع المغفر عن رأسه وضربه معاوية على مفرقه  
ضربة بلغت الدماغ وانصرفا دون أن يغنى فيهما ضرب ابني زهير اكمال  
عدتهما وفي ذلك يقول خالد



بل كيف تكفرني هوازن بعدما أعتقتمهم فتدوا أحرارا  
 وقتلت ربهم زهيرا بعد ما جدع الانوف وأكثرا الاوتارا  
 وجعلت مهر بناتهم ودياتهم عقل الملوك هجائنا وبكارا  
 ثم حدث أن خالد بن جعفر هذا انتقص الحارث بن ظالم المري الذيباني  
 وكان رئيس غطفان بعد زهير بقوله ألا تشكر يدى عندك أن قتلت عنك  
 سيد قومك زهيرا وتركتك سيدهم فقال سأشكر وحقد عليه وقتله منصرفهما  
 من لدن الاسود بن المنذر أخى النعمان وكان الانتقاص بمجلسه ثم هرب  
 فكانت لذلك أيام بين هوازن وغطفان وكان للحارث في هربه هذا أخبار طويلة  
 وأحاديث شتى ذات ضروب وألوان ثم كانت منيته على يد يزيد بن عمرو  
 الغساني وكان جارا له فقتل في قومه وهو مستجير فعفا عنه ثم قتل ثانية فلم  
 يتركه دون قصاص وقتله

ومما كان بين هوازن وغطفان غير هذه أيام تلت اغارة عبد الله بن الصمة  
 الجشمي على غطفان يوم اللوى واستياقه سرحهم ثم لحاق غطفان به وهو  
 مقيم ينتقع وقتلها لياه في وقعة جرح فيها أخوه دريد صاحب القصيدة التي  
 منها البيت

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصيح الاضحى الغد  
 والتي يرئى فيها عبد الله ويذكر ما كان من خلفه له في الاقامة للاتتماع  
 وكان من أشد الايام بعد ذلك يوم الصلعاء وفيه قتل دريد هذا

### ٣ — بين سليم وغطفان

ومن حروب قيس أيضا ما كان بين غطفان وسليم على أثر نزاع قام  
 م ه أدب

بمكاظ بين معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي وهاشم بن حرهالة الغطفاني  
تهياً معاوية بعده وغزا هاشماً على كره من أخيه صخر فقتل هاشماً وتتابعت  
لذلك أيام لم يقفها الا إصابة صخر بطعنة اعتل بها طويلاً ثم مات وليس  
يجهن أحد ما كان للخنساء أختها في هذا الباب من بكاء ورثاء .

### بين قيس وعيرها

ولم تك الحروب في قيس قاصرة على بطونها بل كن بينها وبين غيرها  
أيام أشمها : —

#### ١ - بين عامر وتميم

فمنها ما كن بين عامر وتميم وسببه أن الحارث بن ظالم المري الذبياني  
قاتل خالد بن جعفر الكلابي العامري على مامر أنفا التبعاً الى معبد بن زرارة  
التميمي شطراً من أيام هربه فأجاره وعلمت بذلك عامر فغزت بني تميم يوم  
رجحان وفيه أسر معبد وأبت عامر فيه الادية الملوك وأبى أخوه لقيط دفعها  
عملاً بوصاة أبيهما زرارة حتى لا تذؤب بهم ذؤبان العرب ومات معبد في أسره  
هز الا لحده نفسه عن الطعام والشراب. ثم انضمت ذبيان لتميم وغزوا عامرا  
وقد انضمت اليها عيس لما كان بين عيس وذبيان في داحس والغبراء فالتقى  
الجمعان في شعب جبلة وهو من أعظم أيام العرب ولكن دارت الدائرة على تميم  
أيضا فقتل لقيط ولحق تميما من ذلك الضعف الكبير

#### ٢ - بين سليم وكنانة

ومنها ما كان بين سليم وكنانة وسببه أن ربيعة بن مكدم من بني غراس بن

غنم وهو فارس الظهينة قتل ثلاثة فوارس من قيس أرادوا استلابها منه وادى  
الاخرم وهو كنانة وكانوا مغيرين عليه مع دريد بن الصمة فاغارت سليم  
بعدئذ على كنانة يوم الكديد وفيه قتل ربيعة فتبع ذلك أيام من كنانة على  
سليم كانت الغلبة فيها دولة بين الطرفين . وفيها وفي يوم الظهينة كثير من  
رائق الشعر وجيل الرثاء والفخر

### ٣ - بين هوازن وكنانة

ومنها ما كان بين هوازن وكنانة وأشهرها الفجار الرابع . وسببه أن  
البراض بن قيس الكنانى وعروة الرحال رجل هوازن كانا عند النعمان وقد  
جهز غير اللطيمة وهى إبل تحمل تجارة لكسرى الى أسواق العرب من البر  
والطيب فقال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها على بنى كنانة فقال النعمان  
ما أريد الا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة فقال عروة أكاب خليع يجيرها  
لك أبيت اللعن أنا أجيرها فقال البراض أعلى بنى كنانة يا عروة قال وعلى  
الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة وحنق عليه البراض فتبعه وهو لا يخشى منه  
شيئا فقتله واستاق اللطيمة الى خيبر فقامت لذلك حرب بين هوازن وكنانة  
تشيب لهولها الولدان وجعلت تتجدد كل عام فى ميعادها من الأشهر الحرم  
حتى كانت خمسة أيام فى أربع سنين تداعى الناس بعدها الى السلم بدافع من  
أنفسهم كأَنَّ العرب كانت تستعد لحدث جديد هو حلول الوفاق محل الخلاف  
قبيل مجيء الاسلام الذى ألف بين قلوبهم فاصبحوا بنعمته اخوانا .

### أيام ذى قار بين العرب والفرس

وذو قار ماء قريب من البصرة وكان سببها أن كسرى غدر بالنعمان بن

المنذر وقتله في المدائن وكان النعمان قد أودع سلاحه هانيء بن قبيصة بن هانيء  
ابن مسعود الشيباني وجعل عنده ابنته هنداء وهي حرقه فطاب كسرى السلاح  
وأن هانيء فكانت الحرب وفيها تضامت العرب وانتصرت نصرا مبينا قال  
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد بعث « اليوم أول يوم انتصفت فيه  
العرب من العجم وبني نصرنا ». ولأيام ذى قار في نفس كل عربي مقام يعتز  
به ولذلك أكرمت العرب جميعا من التفاخر بها والتباهي بذكرها وفيها كانت  
خطبة هانيء المذكور يحرض قومه بكرا على القتال ومنها  
يا هشر بكر هالك معذور خير من ناج فرور ان الحذر لا ينجي من القدر  
وان الصبر من أسباب الظفر المنية ولا الدنية . استقبال الموت خير من استدباره  
الطعن في ثغر التحور أكرم منه في الاعجاز والظهور ياكل بكر قاتلوا فما  
للمنايا من :

## رابعاً - اثر تلك الايام في الادب

تقدمنا آنفا بطائفة من أيام العرب ذكرنا بواعثها ووضحنا أسبابها لتكون  
تمهيدا لما نعالجه الآن من أثر تلك الايام في الادب . واذ كانت تلك البواعث  
وهذه الاسباب متصلة بعيشهم وان شئت فقل هي نفس عيشهم وكان الشعر  
ديوانهم الذي اليه يحتكمون وبه يفتخرون فقد فاض عليه من الايام ما لولاه  
لغاض معينه وصوح نبته فلم نره كما نراه الآن تلك الروضة المعطار ذات  
الغصون الناضرة والاطيار الشادية

حببت الحرب الى نفوس العرب وهي طبيعة فيها صفة الشجاعة والنجدة  
والبأس والقوة بقدر ما بغضت اليهم الخور والضعف والجبن والهلع فكانوا في  
حضهم عليها واصطلائهم نارها وانتشائهم بلذذ الظفر فيها يقولون الشعر شعر

الحماسة والفخر فيصدر منهم جزل الالفاظ شريف المعاني نيل المقاصد يحرك  
من القلوب الضعيفة ويهون الموت على الاعزة الاحياء ثم يفتنون الى بكاء تلامهم  
وتعداد بلائهم تخليدا لما آثرهم وذكر اعم فاذا شعر الوجدان الباكي وال عاطفة  
الاليمة ممزوجة بما يخفف على الحى رزء المفقود ويجعله يأنف أن يموت حتف  
أنفه ويعد من النقيصة والعار ألا تكون منيته بطعنات الرماح وضربات السيوف  
وأى أمر غير هذا جعل أباتمام الطائي يسمى ما اختاره من شعرهم ديوان  
الحماسة ويجعل أكثر من نصفه خالصا لها ولما كان حتما مقضيا بعدها من الموت  
فالتأبين فالثناء .

تأمل عيون الشعر الجاهلى حيث ترى العين قذافة لا ينقطع مأوها لا تنق  
ترمى بكل مقطعة منه مما سكت الالفاظ متعاشقة المعاني تجدها من هذين البابين  
وهل اغبرها ومنشؤها ذكر الفجيعة فى الميت واستخلاص الحياة للحى من  
الاتصال بقرارة النفوس وتحريك ما كن فيها مثل ما لها اللهم لا . ثم يتصل  
بهذين البابين عن قرب التناخر باجارة الجار واغاثة الملهوف ونصرة المظلوم  
وعن بعد التمدح بقري الاضياف وايواء الطارقين وما لنا نبعث بالقرى والايواء  
عن مواطن الشجاعة والاقدام وهما راجعان الى الكرم والكرم والشجاعة  
صنوان ومن أصل واحد ينبتان هو السماحة وما تقتضيه من بذل يقع فى المال  
فيكون سخاء وكرما ويرتفع الى أقصى غاية الجود تضحية بالنفس فيكون  
شجاعة واقداما . أفلا نحس اذن أن الشعر العربى اذا تجرد مما أثر فى هذه  
الناحية الواسعة الاطراف يصبح قاعا صنفصفا أو يعدم أقل ما يصاب جواهر  
تاجه ووسائل عقوده فيذهب مأوه ويضيع بهاؤه

ثم كان من عادة العرب فى الحروب أن يسيروا ليلا ليدهموا بالغارة صباحا  
فكان من هذا سرى الليل وتعريسه وهول ذلك وخوفه وما اتصل بالسرى

من ذكر الليل نفسه في دجنته وظلماته أو في سمائه بما يسطع فيها من بدر أو يهدى من نجم وهذا منجى آخر من القول بين التأثير في اللغة والتأثر بالايام وحتى اذا هدأت الحرب ووضعت أوزارها كانت تفيض على اللغة بالمتع الكثير منها ففي الدعوة الى السلم ونفعها والتكيب عن الحرب وضررها من الخطب والوصايا والحكم والمواعظ وضرب الامثال والشواهد ما استنفد جملها وأخذ كثرتها ولو تتبعنا هذه الناحية نخصيها مع ما اتصل بها من صالح ووثام ومغارم ومحامل وديات يفرق فيها بين عربي صريح وآخر مقرف أو هجين لوجدنا الشطر الاكبر في النثر الجاهلي الى هذا ينسب كما نسب نظيره في الشعر الى الحماسة والرتاء وما تعلق بهما أو انشعب منها

وان لنا أن نعتبر عناية العرب بانسابها وحفظها لمفاخرها وأحسابها الى ذلك الحد الذي لم تعرفه أمة غيرها راجعة الى ولعها بالحرب أيضا حتى اذا مادهمت داهية كان كل اعرف بقبيله وعشيرته وناصره ومولاه واذا ما طلب ثأر كان معروف المحل ومن هو منه قريب أو بعيد فاذا ما حانت المفاخرة والمنافرة كانت الاصول التي تقع عليها معروفة غير مجهولة لا تطاوع عربيا أن يدعى غير أبوته أو ينتسب الى غير قومه ولذا كان الادعاء نورة في العرب محل ضعة منهم وتهجين

ثم ما نضن عناية العرب بالخيال تلك العناية البالغة مبالغها الدقيقة في تناولها الا منسوبة الفضل الى الايام : لما تستتب شجاعة الشجعان فتري منهم البلاء والغناء الا بالخيال عليها يكرون وبها يقتحمون وهل أدل على شدة التلازم بين الشجاعة والخيال من تسمية الرجل على الفرس فارسا فاذا ما كان على بغل او حمار قيل بغال وحمار وألا يكون أخذ الفرس من الفرس وهو المصير والسكر والخيال من الخيلاء وهي الدل والعجب آية أخرى على هذا التلازم

واذن فما تبع تلك العناية من الاكثار الكثير في أسماء الخيل ونتاجها وعتقها وصفاتها مما ألفت فيه كتب ولم يسعه كتاب ثم ما كان من تفضيل العربي لجواده على نفسه في الزاد وجعله وإياه جزءا لا ينفصل منه في التفاخر بالاستبسال إن هو الا من الحرب نشأ ولا أجل القتال كان .

أوليس على أيام العرب وحروبها قامت صناعة السيوف والرماح وسائر عدد الحرب والقتال من مغافر ودروع ولجم وسروج وهذا ضرب آخر أفاض على اللغة الغنى والثراء مفردات وتراكيب وأخيلة وأوصاف . فالسيف في صقاله ولعانه وحدثه ومضائه والرمح في اعتداله واستوائه وصلابته وملدانه ثم غيرها مما تقدم فيما لها من صفات وأحوال وليس ذلك بالتخفى المجهول قد فتح في اللغة فتحة مبينا ونماها نموا كبيرا .

على أن العرب لم تقف عند الخيل ووصفها والآلات ونعتها بل تلتفت الى ما حولها من حيوان غير أليف فاذا بالاسد قد امتلك عليها لبها وشغل منها قلبها وفؤادها فلم كان الشاغل دون غيره ألا إن ذلك لما جبل عليه العربي من الروع بالقتال وتمجيد الجرأة على المقارعة والنزال فأخذ يعنى بهذا الحيوان يبحث عن أحواله ويتشبه به في صفاته وأفعاله حتى أحله من نفسه محلا رفيعا وجعله على سائر الوحش سلطانا ومليكا وليس بخاف على أحد ماورد باللغة عن هذا الحيوان من أسماء ونعوت وما قذفت به ألسن الحمية والنجدة عنه من آيات اكبار واجلال . ثم لم يعدم غيره من الحيوان الضاري أن ينال من ذلك بقدر ضراوته كالتمورة والفهود والضباع والذئاب وان كان فيما اختص به الاسد دونها من نبل وكرم وعلو وترفع فوق ما تقدم عنه من قوة وجرأة ما جعله المقصود لدى العرب بالتجلة والاعظام والمتشبه به في كثير من الصفات والخلال وصرفهم عن غيره الى القول فيه اكثر ما يقولون

وهل أقدمت العرب على تسمية قبائلها وبطونها وأولادها وفتيانها بالكرية من أسماء الحيوان كأسد وفهد ونمر وذئب ثم من غير الحيوان كحجر وصخر وجشم وعبس إلا محبة لتلك الاسماء وتفاؤلا لبنيهم أن يكونوا من صفات ذواتها على كمال فيحموا الحوزة ويدافعوا عن العشيرة ويكونوا للحروب أهلا ولمقارعة الأبطال كفاء .

وهل اذ انطوى بساط الجاهلية بما كان عليه من شجار وعراك واشتباك وقتال بما قد نشر الاسلام من لواء سلامه ومد من ظل عدله ووثامه انقطع مدد الايام للادب أو وقفت حركتها الدافعة له كلا فقد مكثت أيام الجاهلية الاولى مددا للشعراء غير مقطوع ومفاخر يبتعثون ثرائها غير خاق ولا مجدوع نقرأ ذلك مستجيدين ولا آثاره حامدين مستكثرين من لدن صدر الاسلام في مفاخر الفرزدق وجريير الى حيث قطع العصر العباسي عهد شبابه وصباه على أيام البيهقي وأبي تمام .

واذن فهذه كلمة انتظمت أثر الايام في الادب وما كان لها عليه من فضل ونماء وهي على ما ترى تتناول الشعر والنثر كليهما أمثلة لها وشواهد عليها الا ما قل منهما ومن ثم يسوغ لنا أن نقول غير مبالغين ولا متجنين إن أيام العرب وأدب العرب يكادان يكونان شيئا واحدا لا شيئين ولذا كان الخس على تعرف أيامهم في القديم بمثابة الوصاة على تعلم آدابهم لا لبس في ذلك ولا كبير افتراق .



## اللغة

نشأة اللغات وتعددتها — اللغات السامية وأصل العربية  
طرق نمو العربية وخصائصها — اختلاف لهجاتها  
وعوامل تهذيبها

### أولا — نشأة اللغات وتعددتها

احتاج الانسان إلى التفاهم وكان التفاهم بالالفاظ ليسرها وعمومها أفيد  
أنواع الدلالات فاستعملها فنشأت اللغات والكن في كيفية هذه النشأة خلافا  
طويلا دب بين العلماء الأقدمين ولا زال جاريا منهم إلى المحدثين  
فعباد بن سليمان الصيمري يقول إن دلالة الألفاظ على معانيها ذاتية  
لا توقيف فيها ولا تواضع مستدلا على ذلك بوجود مناسبة بين كثير من الالفاظ  
ومعانيها وبأنه لولا هذه العلاقة الذاتية لكان اختيار لفظ دون آخر ترجيحا  
بلا مرجح . وهذا القول مردود في جملته وتفصيله وإلا لزم أن يفهم الانسان  
اللغة بل اللغات جميعا دون تعليم وهذا مالا يكون . أما تلك المناسبة فمع ثبوتها  
لبعض الألفاظ وخصوصا الصوتي منها لا تنهض دليلا لانعدامها في الأعم  
الأغلب ويكفي أن يكون مجرد خطوط اللفظ دون غيره على الذهن مرجحا  
له ودافعا إلى اختياره على أن تلك المناسبة لو كانت الأساس لما كان في لغة  
من اللغات لفظ يستعمل في المعنى وضده كما هو مشاهد وكثير .

وأبو الحسن الأشعري يقول انها توقيفية أتت بوحي من الله سبحانه وتعالى

وتبعه في ذلك أبو علي الفارسي محتجا بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها »  
ولكن الآية ليست بالدليل القاطع في الموضوع إذ يجوز أن يكون المراد  
بالأسماء أسماء الملائكة أو بالتعليم الاقدار على المواضعة لا التعليم المباشر.

والذي عليه الجمهور وبه قال ابن جني في خصائصه هو أن اللغة تواضع  
واصطلاح وجدت المناسبة أم لم توجد تحقق القصد في التواضع أم جاء عفوا  
بالارتجال . وأن الإلهام من الله سبحانه وتعالى بمعنى الاقدار ثابت في الحالين  
وبيان ذلك أن الحيوان يعبر عن وجدانه بأصوات تختلف باختلاف مطالبه كما  
نراه ولما كان الانسان لابد أن يفضل في ذلك لما فيه من قوة الإدراك ومطاوعة  
الصوت فقد استغل مطاوعة الصوت في تنويع الحروف وقوة الإدراك في  
ارتجال بعض اللفاظ فكان بهاتين القوتين عندما يريد أن يفهم أو يستفهم  
يصيح لغيره بصوت محكي أو مرتجل يتوسم فيه الإفصاح عما يريد مضيفا إليه  
ما يزيد أيضا من إشارة حسية أو قرينة حالية فاذا ما فهم غرضه منه كرره  
وكرره حتى يستقل بأداء معناه دون حاجة إلى إشارة أو قرينة وعلى هذا  
النحو منه ومن غيره تكونت النواة الأولى للنفاهم الضروري ثم أخذت تتسع  
وتنمو بما يتفقون عليه من غير تعمل ولا قصد حتى كانت لغة الانسان الأولى.  
وبقياس نشأة هذا الانسان على ما هو مشاهد في نشأة الطفل وما هو معروف  
عن لغات الشعوب الهمجية التي لا تزال في حدود الطفولة يمكن القول بأن  
نطقه كان أولا بالأصوات الدالة على الانفعالات النفسية أو على محاكاة الطبيعة  
ثم بالالفاظ المسمي بها بعض المحسوسات حوله وتلا ذلك النطق بالمصادر ثم  
الأفعال وأسبقها المضارع وهكذا انتقل التدرج إلى أسماء الإشارة والضائر  
والموصولات ثم المشتقات وبعد ذلك كله جاءت الحروف .

تلك هي نشأة اللغة أما كيف تعددت إلى لغات فمنشأ ذلك حتما هجرة طوائف الانسان وابتعاد بعضها عن بعض حيث رأت كل طائفة في بيتها ما لم يره غيرها فاضطرت إلى وضع كلمات لم يضطر اليها سواها . ثم ان عدم اتفاق الخواطر على فرض تماثل البيئة في بعض الاحيان جعل الخلاف واقعاً لا محالة في التعبير ولو إلى درجة غير بعيدة . فالى البيئة والخواطر معا يرجع تعدد اللغات ومن هنا كانت تتقارب اللغتان وتتباعدان قربا وبعدا كما كانتا قد تختلفان عن قرب أو تشابهان على بعد ويغلب أن يكون ذلك قد حدث قبل نوح عليه السلام ولكن حادثة الطوفان عفت على ما سبقها وجعلت الناس لا يعرفون تعدد اللغات إلا بعدها فنسبوا أصولها إلى أبنائه الثلاثة حام ويافث وسام كما فعلوا في ارجاع أنساب الانسان فارضين أن لغة نوح ومن كان معه في السفينة كانت واحدة ولكن بنيه لما انتشروا في الارض بعد ذلك اختلفت لغتهم لما تقدم في أسباب نشأة اللغات ونسل من كل منهم شعوب وقبائل ذات لغات متعددة والكنها ترجع في اصلها إلى أبيهم وإذن فأصول اللغات ثلاثة

١ — اللغة الحامية نسبة إلى حام ومنها معظم لغات أفريقية كالحبشية

والمصرية القديمة

٢ — اليافثية نسبة إلى يافث وتعرف بالآرية نسبة إلى آر بن يافث وهي

لغة أوربة وكثير من شعوب آسية في غير الغرب

٣ — السامية نسبة إلى سام وهي لغة غرب آسيا مهد النبوة والرسالة وبها

نزلت الكتب المقدسة فأثرت بهذا وبتوسط موطنها في كثير من فروع اللغتين السابقتين حتى إن بعضها قد عد منها كما سيأتى في السكتانية بعد .

ولما كانت العربية « وهي لغتنا وموضوع بحثنا » أحد فروعها ناسب أن نذكر كلمة عنهامع أصل العربية من باب التوطئة والتمهيد

## ثانياً — اللغات السامية وأصل العربية

لقد وجد تشابه كبير في لغات الأمم التي سكنت في القديم غرب آسية من العراق والشام وجزيرة العرب فانها فوق اشتغالها على حروف تكاد تكون خاصة بها كالحاء والصاد والطاء والعين وغيرها قد جاءت كثيرة الاشتراك أو شديدة التشابه في الالفاظ والمعاني وفي كثير من الخواص كمميزات التأنيث وكيفية اتصال الضمائر بجميع أنواع الكلمات . ولما كانت تلك الأمم في غالبيتها من أبناء سام وكانت هذه اللغات قاصرة عليهم دون غيرهم الا من خالطوهم كالكنعانيين أبناء كنعان بن حام سكان لبنان ثم لم تعرف خارج تلك الجهات الا منقولة معهم فقد سميت هذه اللغات بالسامية وقسمت في أصولها إلى أروميتين عظيمتين .

الأولى : وهي أقلها شأنًا الكنعانية وكان أولى بها أن تكون من الحامية كما تقدم لولا أنها جاءت شديدة التشابه بالفروع السامية لطول ما أقام أهلها مع الساميين وأشهر فروعها ( ١ ) الفينيقية لغة أهل لبنان قديماً وقد بادت ( ٢ ) العبرية وقد دخلها كثير من فروع الآرامية الآتية فصار يقال العبرية القديمة والعبرية الحديثة وقد بادت القديمة وبقيت الحديثة

الثانية وهي أعظمها الآرامية الأولى نسبة إلى إرم بن سام وأشهر فروعها ( ١ ) الآشورية لغة أهل نينوى وقد بادت ( ٢ ) البابلية لغة أهل بابل وقد تغيرت إلى الكلدانية ومن الكلدانية تفرعت السريانية والآرامية الثانية ومكثتا إلى مجيء الاسلام ثم بادت الآرامية قطعاً والسريانية إلا على ألسنة القليل ( ٣ ) العربية القديمة وهي لغة العرب البائدة ذات الاتصال القريب بأرم وقد عاصرت قدامى أخواتها وقبيل أن يبید أهلها انتقلت إلى اليمن وعرفت بها على

أيام يعرب بن قحطان ولاكنها تأثرت باليمنية القديمة وتأثرت اليمنية بها  
 فنشأت العربية الوسطى أو القحطانية التي تمثلت بعد في السبئية والحميرية وبقيت  
 حتى غلبت عليها العربية الحديثة وهي العدنانية أو المضرية وان كانت تأثرت  
 بالسبئية والحميرية جنوبا وبالعبرية والسريانية شمالا ثم استمرت في طريق  
 النضوج والتهذيب إلى أن قاربت فيه الذروة قبيل الاسلام فنزل بها القرآن  
 الكريم فأتمه عليها ونشرها على لسان من آمن به في مشارق الارض ومغاربها.  
 من ذاك يتبين أن اللغة العربية أصل من أصول الارمية القديمة التي هي  
 منشأ اللغات السامية جميعا ماعدا الكنعانية أو بفير استثناء لما سبق من أن  
 الكنعانية ليست أصلا فيها بل كثيرة الشبه بها ثم مع فضل اللغات السامية  
 على غيرها كما يقول علماء اللغات بكثرة الكلمات وتنوع الاساليب واطراد  
 القياس ووضوح مخارج الحروف وعدوبة المنطق قد فاقت العربية أخواتها  
 جميعا في ذلك وفي غيره حتى رأى كثير من العلماء قديمين وحديثين شرفيين  
 وغربيين أنها أصل اللغات السامية جميعا بما عقده من موازات بينها وبين  
 السريانية والعبرية وهما أغنى الساميات بعدها إذ اتضح من هذه الموازات  
 أن العربية أصل لها بدليل أن الكلمات المشتملة على حرف الضاد وهو خاص  
 بالعربية دونهما تنقل اليهما جعل الضاد صادًا في العربية وعينا في السريانية  
 باطراد ولو كانت العربية ناقلة عنهما لما كان ثمت داع لجعل هذين الحرفين  
 ضادا لوجودها فيها وبدليل فقدان كثير من أصول الكلم فيهما مع وجوده  
 في العربية هذا الى ما هو ثابت للعربية من مميزات أوجدها التقدم الفطري في  
 بقائها بحزيرتها قرونا طويلة بعيدة عن الاختلاط وآمنة شر المغيرين حتى  
 اكتسبت بذلك مناعة جعلتها أقوى على مدافعة الغير وأبقى على مطاولة الزمن.

## ثالثا — طرق نمو العربية وخصائصها

نشأت اللغة العربية على النظام الذى أسلفناه فى نشأة اللغات فتكونت النواة الاولى من ألفاظها بعامل المحاكاة والارتجال ولا بأس من ذكر شىء عنهما الآن حيث يساق الكلام خالصا لطرق نموها وخصائصها

### ١ — المحاكاة

فألفاظ المحاكاة أنواع : منها ما حوكى به أصوات الحيوان كهواء الكلب ومواء الهر وخوار العجل مما أصله الحرف الاول محركا بحركة . وكرغاء الابل وأصله الحرفان الاولان وكنيب التيس وأصله الباء مكررة وكصرير الجندي وأصله الحرفان الاولان مكررين

ومنها ما حوكى به أصوات الانسان الفطرية كالشهيق والزفير والشخير والزحير مما أصله الحرف الثانى وكالتأوه وأصله الهمزة والهاء والتأفف وأصله الفاء مكرره والقهقهة وأصلها القاء هو الهاء مكررتين

ومنها ما حاكى أصوات الطبيعة وتفاعلهما كخزير الماء وحفيف الاشجار وهبوب الريح وكالدق والصك والهد والقط والمص والرش ونحو ذلك مما بين حروفه وصوته تشابه

وقد تلاحظ المحاكاة فى وضع أسماء لبعض الذوات من صوتها كالانف والقم وأصلهما الفاء وكالحاق والحلقوم والخنجرة وأصلها الخاء

ومن هذه الاسماء الصوتية نشأت أفعال إما بالمد كخار العجل أو بالتكرير كخزير الماء ونحوها مما جعل التولد والإزدياد عن طريق الصوت فعالا مستمرا .

## ب — الارتجال

والألفاظ المرتجلة هي أكثر ألفاظ اللغة فقد خص الله الإنسان بالنطق والفكر فاقدر بهما على وضع ألفاظ كان ينطق بها كلما دعاه داعي التفهم أو التفهم ومن العسف أن ننكر عليه الارتجال كما فعل بعض المكابرين ونحن نرى الأطفال ولما يبلغ فيهم النطق والفكر مبلغهما في الكبار كثيرا ما يرتجلون كلمات مركبة من بعض حروف يدلون بها على مرادهم ويستعينون في تفهيمها ببعض الاشارات وقد لا يستعينون ومع ذلك تفهم عنهم بالتكرير فمن الطبيعي والمعقول أن يكون الكبار أقدر منهم على الارتجال ولا سيما إذا ساعدتهم عليه استخدام عوامل النمو على ما سيأتي بيانه :

### عوامل النمو

هي الابدال والقلب والنحت والاشتقاق والتجوز

#### الابدال

هو جعل حرف مكان آخر يقرب منه في اللفظ كأن يكونا من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين وقد تناول كل الحروف تقريرا ولكن أشهر أنواعه ما يأتي : —

١ — تبادل الهمزة والهاء مثل أيتها في هيات وهيا في أيا من قول

الراجز : —

فانصرفت وهي حصان مغضبه ورفعت من صوتها هياأبه

كل فتاة بأبيها معجبه

٢ — تبادل الهمزة والياء مثل ألملم في يللم ويلمعي في ألمعي

٣ — تبادل الهمزة والواو عند الحجازيين كوكد في أكد وإشاح

في وشاح

٤ — تبادل الهمزة والعين عند قيس مثل

أعن تو سمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم  
والأصل أن ومثل

أريني جوادا مات هزلا لاني أرى ماترين أو بخيلا مخلدا  
والأصل لعاني وابدال الهمزة عينا هو عنمة قيس

٥ - تبادل التاء والطاء كسلطان في سلطان من قول الشاعر  
فقي زاده السلطان في المدح رغبة إذا غير السلطان كل خليل  
وطرياق في ترياق

٦ - تبادل التاء والذال مثل سبنتي في سبندى ومد في مت بمعنى اتصل  
٧ - تبادل الحاء والعين عند هذيل مثل ضبيع في ضبيع وبحر في بحر  
ويسمى الفحفة

٨ - تبادل الحاء والهاء مثل تفيحق في تفيحق وكده في كدح  
٩ - تبادل الضاد والطاء كقول أعرابي لسيدنا عمر «أيظحي بضبي» يريد  
أيضحي بضبي

١٠ - تبادل النون واللام مثل أصيلان في أصيلا وهتل في هتن  
١١ - تبادل النون والميم مثل غين في غيم وامتقع في انتقع  
١٢ - تبادل الميم والباء عند مازن كبكة في مكة وامني في ابني  
١٣ - ابدال التاء كافا مثل «يابن الزبير طالما عصيكا» يريد عصيت  
١٤ - ابدال الضاد لاما مثل

لما رأى أن لادعة ولا شيع مال إلى أرطاة حقف فالطجع  
يريد فاضطجع

١٥ - ابدال القاف كافا عند حمير مثل يارفيك في يارفيق  
١٦ - ابدال لام التعريف عندهم ميا مثل اسفر في اسفر ويسمى الطمطماني



- ١٧ - ابدال السين تاء عندهم مثل النات في الناس ويسمى الوتم  
١٨ - ابدال الكاف شينا عندهم مثل منش في منك ويسمى الشنشنة  
١٩ - ابدال العين الساكنة قبل الطاء نونا عند أسد مثل أنط في أعط  
ويسمى الاستنطاء

- ٢٠ - ابدال الياء المشددة جيمًا في الوقف عند قضاة ويسمى العجعة مثل  
خالى عويف وأبو عالج المطعمان اللحم بالعشج  
يريد «على والعشى» وقد يحدث هذا الابدال من غير تشديد وفي غير الوقف  
٢١ - ابدال كاف المؤنث شينا في الوقف عند تميم وتسمى الكشكشة مثل  
قرى في بيتش أى في بيتك وقد يكون هذا الابدال في غير الوقف مثل بش  
تقتدى النساء أى بك كما قد تضاف الشين الى الكاف من غير ابدال مثل قرى  
في بيتكش

- ٢٢ - ابدال كاف المذكر سينا في الوقف عند بكر وتسمى الكسكة  
مثل احمد ريس أى ربك وقد يكون هذا الابدال في غير الوقف مثل ريس  
احمد أى ربك كما قد تضاف السين الى الكاف من غير ابدال مثل احمد ريس  
وباب الابدال واسع المدى كثير المثل ولذا كان من أكبر العوامل في  
اختلاف اللهجات

#### القلب

هو تقديم حرف أو تأخيره في الكلمة بحيث تنشأ كلمة أخرى متحدة المعنى  
مع الاولى أو مختلفته يسيرا كبعض وبضع وجذب وجبذ ويغلب أن يكون سببه  
خطأ أتى من سبق اللسان أو محاكاة لمسموع مع سوء الاستماع ثم تكرر استعماله  
فثبت

### النحت

صوغ كلمة من بعض حروف كائتين أو أكثر إيجازاً في النطق كبسمل  
وحمدل وسبعل وحوقل وطابق ودمعز وعيشمي وعبقسي وبعضهم يغالى فيقول  
إنه قد يأتي في الكلمة فتصفو على حرف واحد وأن من ذلك حروف المضارعة  
فالهمزة من أنا والنون من نحن والتاء من أنت والياء من هي .

### الاشتقاق

أخذ كلمة من أخرى مع تقارب في المعنى واختلاف في اللفظ وهو باب  
واسع النطاق كثير التقاسيم وقد تكفل به علم الصرف  
التيجوز

استعمال اللفظ أو التركيب في غير ماوضع له لهلاقة هي المشابهة أو غيرها  
وبقرينة مانعة أو غير مانعة وهو باب حافل وضع من أجله علم البيان  
الترادف

وهذا عامل سادس هو الترادف ويكون بأن يوضع للمعنى الواحد أكثر من  
لفظ وهو شائع في العربية وقد تصل كثرته الى مئات الالفاظ ومنشؤه  
اختلاف الخواطر في وضع الاسماء أو في التعبير عن المعاني على أن بعض علماء  
اللغة يقول انه لا بد أن كانت هنالك فروق دقيقة بين المترادفات تنوسيت على  
تداول الزمن ولكن في هذا القول بعض مغالاة ولعل القصد في التعليل أن يقال  
إن الترادف لم يظهر الا حين اشتد الاختلاط وعرف كل قبيل ما كان يستعمله  
الاخرون فتبادلوا يوم هذا الاستعمال

### الخصائص

تلك هي طرق نمو اللغة وزيادتها ما خصائصها فمع صعوبة إثبات شئ من الخصائص  
للغة ما على اطلاق اللفظ يمكن أن نسند الى العربية من الميزات ما اذا لم يكن

خاصة من خواصها لا يعدم أن يكون فيها أفضل منه في غيرها وأهمه  
١ — الأعراب ولا يكاد يشارك العربية فيه من اللغات الا القليل كالحديثية  
على ضعف وقلة تصريف بينا هو في العربية كثير التنويع والتفريع وبه يكون  
التمييز بين المعاني والوقوف على مرامى المتكلمين فوجوده في العربية دليل على  
قدم أهلها في البيان وألمعيتهم في تفهم الأغراض فان اختلاف حركة فيه قد  
يقلب المعنى ويغير من نوع الكلمة

روي أن رجلا من الخوارج قال وخليفتمهم إذ ذاك شبيب  
فمنا يزيد والبطين وقعب ومنا أمير المؤمنين شبيب  
بضم الراء فامر عبد الملك بطلبه ولما وقف بين يديه قال له أنت القائن وروي  
البيت كما ذكر فقال لم أقل هكذا إنما قلت « ومنا أمير المؤمنين شبيب » وفتح  
الراء فضحك عبد الملك وخلي سبيله لتخلصه بفطنته  
وروي أيضا أن الوليد بن عبد الملك وكان لحانة قال لا أحد أشرف قریش  
من ختنك بفتح النون وهو يريد الضم فقال فلان اليهودي فقال له ما تقول ويحك  
قال لعلت تسأل عن ختنى يا أمير المؤمنين هو فلان

٢ — عدم الابتداء بالساكن وعدم جواز التقاء الساكنين الا بضوابط  
تجعلها على قلته غير ثقیل وهذا خاص بالعربية وقد يجتمع في غيرها من اللغات  
الآخرى أكثر من ساكنين

٣ — الدقة في استعمال الالفاظ وتتضح في العربية في أمرين أحدهما  
تفصيل الالفاظ بقدر تفصيل المعاني حتى ليكاد يوجد لكل جزئية من المعنى  
الواحد كلمة خاصة بها وهذا كثير فصلته مخصصات اللغة في أجزاء الانسان  
والحيوان والطير والنبات والجماد والزمان وغيرها مما هو موطن التسمية ثم في  
تفرع الافعال للشيء الواحد فالقتل مثلا للمعنى الكلى وتحتة من الالفاظ ما يبين

كافة أنواعه . والثاني عدم العدول عن اللفظ المناسب للمعنى ما وجدت تلك المناسبة فان ملاحظة المناسبة ان هي الا من تلك الدقة وهذا مستفيض في اللغة قد تناول الالفاظ الموضوعية بالمحاكاة كلها وأتى على كثير من المرتجلة عن طرق النمو السابقة وما نطن الكثير من اللغات مثل هذا

٤ - الدقة في استعمال التراكيب ومن أجل هذه الدقة الكلامية وعليها قامت علوم البلاغة الثلاثة بفصولها الضافية وأبحاثها الوافية التي يبعد أن تضارع بمثلها في غير العربية

٥ - الإيجاز وليست هناك أمة تبارى العرب فيه فقد بلغ من إيجازها أن كان الكلام على غنائمه في المعنى يقع في الجملة والجلتين. وما الامثال والحكم وجوامع الحكم الا آيات شاهدة على هذا ثم لعل في اكثار العرب من استعمال الائماء والاشارة والتعريض والكناية واللحن الصارف الى غير المتبادر أحياناً ما يرينا مبلغ مقدرتها على الإيجاز ومهارتها فيه

٦ - خضوع عوامل النمو السابقة في جملتها الكثير من الاقيسة والضوابط مما لا يوجد بعضه في غيرها ألبته أو يوجد بقدر ضيق يجعل الشاذ أكثر من المقيس.

٧ - هذا وبالعربية خاصة قيل إنها لا تعتبر من آيات الكمال والمدح بل من بقايا النقص والعيب وهي الاشتراك ويكون بأن يطلق اللفظ الواحد على أكثر من معنى وبخاصة اذا كان في بعض دعائيه التضاد مما يؤدي الى التعمية والابهام إذهذا يتنافى مع الغرض المفروض في اللغة من أنها وسيلة الى الايضاح والبيان ويغلب أن تكون الالفاظ المشتركة من بقايا اللغة التي لم يأت عليها الزمن بعوامل الاختصاص ولكن مما يهون الامر فيها بالعربية وجود كثير من الكلمات المختصة ازاء اللفظ المشترك فان في ذلك غناء للقائلين وفراراً مما فيه تلبيس على السامعين هذا الى ما قد يفرض به المقام اذا استعمل اللفظ المشترك من قرائن تتطلب المعنى المراد دون لبس ولا ابهام على ان الابهام قد يقصد في بعض الاحيان.

## رابعاً — اختلاف لهجاتها وعوامل تهذيبها

عرف مما سبق بيانه في اللغات السامية وأصل العربية أن العربية اجتازت ثلاثة أطوار طور أول هو نشوءها على لسان العرب البائدة الذين هم أقرب الشعوب العربية إلى سام لانهم إلى ابنه إرم ينسبون وطور ثان هو ما كان من اختلاط هذا الشعب الأول باليمنيين القدماء اختلاطاً جعل لغة كل فريق تؤثر في لغة الفريق الآخر ولكن يظهر أن الغلبة كانت للغة العرب البائدة على اليمنية القديمة فصارت أوضح منها في العربية الثانية لما هو متفق عليه من أن اليمنيين تعربوا على عهد يعرب بن قحطان ومن ثم عرفوا بالعرب المتعربة ثم كان ما كان من انقراض العرب البائدة وبقاء العربية ممثلة على لسان القحطانيين وحدهم أما الطور الثالث فهو ما كان من نشوء شعب عربي جديد حيث نزل إبراهيم وادى مكة على مقربة من جرحم الثانية وهي قحطانية فرفع قواعده البيت ثم عاد تاركاً هناك ابنه اسماعيل الذي أصبح في تلك القبيلة فكان له بنون نشئوا يتكلمون لغة جديدة تأثروا فيها بلغة أبيهم وبلغت هؤلاء القحطانيين حتى إذا ما انحدر التناسل إلى عدنان ثم ظهور شعب ثان هو الشعب العدناني الذي عرف باسم العرب المستعربة وبذلك كانت هناك ائتان قحطانية في الجنوب وعدنانية في الشمال ولكن مهما قلنا في التفرقة بين اللغتين فلن تبلغ التفرقة جعل كل واحدة منهما تامة الاستقلال عن الأخرى لأن تكوين الأخيرة يأبى هذا الاستقلال كما يابى إلا أن تكون الأولى أغلب عليها عملاً بتغلب الكثير على القليل وكذلك مهما قلنا في التقارب بينهما فإن يبلغ التقارب درجة الاتحاد وبخاصة إذا علمنا أن معظم الشعوب القحطانية حين نشوء العدنانية كانوا يعيدون في الجنوب عن الاختلاط بالعدنانية في الشمال وعلى هذا الأساس سيكون قولنا في اختلاف

لهجات العربية وعوامل تهذيبها وكان ظاهر العنونة يقتضى أن نقدم القول فى اختلاف اللهجات عليه فى عوامل التهذيب لولا أن ما سندسوقه بعد من اختلاف فى اللهجات هو بقايا ما مكث منها على الرغم من تلك العوامل حتى جاء الاسلام وفى هذا ما يدعوا الى عكس الترتيب

## عوامل التهذيب

يقصد بالتهذيب الذى حدث فى اللغة الى أمرين أحدهما السير بها فى طريق التحسين والترقى بمجهود كل قبيل على حدة وبقطع النظر عن أن يتقرب فى ذلك الى لهجات غيره من القبائل الاخرى والثانى العمل على تقريب تلك اللهجات بعضها من بعض تقريبا ينتهى كما انتهى بما هو أشبه بالتوحيد ولكل من هذين الأمرين عوامل هى المجتمعات الخاصة للاول والعامة للثانى على أنه من الطبيعى أن تكون المجتمعات العامة مع اختصاصها بالتهذيب من ناحية التوحيد عاملة عليه أيضا من الناحية الاخرى فما هى اذن تلك المجتمعات

### ١ - المجتمعات الخاصة

كان للعرب مجتمعات خاصة كثيرة دفعتهم اليها أحوالهم وشهدت بها الفاضلهم وكلها كان يستدعى منهم أن يقولوا ويتكلموا محاورين فى ذلك تجويد قوْلهم وتحسين كلامهم ما أمدتهم القرينة وطاوعهم البيان وفى هذا من العود على اللغة بالتقدم والترقى ما نريد أن نقول

فمن المجتمعات ما كان للمذاكرة والمشاورة فى تدارك حرب أو غارة وكان يقع غالبا فى قبة ينصبها من تكفل بأمرهم فيجتمع فيها أهل الحل والعقد منهم ثم تدور أقداح القول ويجرى النقاش فيه تأييدا أو نقضا حتى يصلوا الى رأى يستقرون عليه ويعزمون العمل به ومن هنا نشأ ما يذكرونه عن رأى المبيت والاقبال عليه والرأى الفطير والانصراف عنه

ومنها ما كان للحكومة والفصل في الدماوى والمنازعات فيستعد كل فريق للدلاء برأيه والدفاع عن وجهة نظره أمام حكم يرضونه ويدعون لحكمه وقد كان هؤلاء الحكم يختارون ممن عرفوا بحصافة الرأى وحضور البديهة وقوة البيان حتى يكونوا قديرين على مناقشة الخصوم واستجلاء الحقيقة من تلك المعجزة الكلامية التي يريد أن يخرج منها كل طرف في الخصومة فائزا على خصمه منصورا

ومنها ما كان للاتعاظ والاعتبار فما خلا قبيل من ذى بصيرة نافذة ونفس طاهرة يجتمعون اليه بعض أيامهم لاستماع ما فيه ترغيب أو ترهيب كما تروحي عقائدهم وتنطق فطرتهم ومن هذا النوع ما كان من اجتماع قريش حول كعب ابن لؤى كل يوم عروبة يعظمهم ويذكركم ويقال إنه لذلك سمي يوم الجمعة وإن ذلك أيضا واسبقه يومى السبت لليهود والأحد للنصارى اختاره الاسلام بعد جعل صلاة الجمعة فيه

ومنها ما كان للتحالف والتعاقد على الدخول فى أمر أو الكف عن أمر مما يتطلب من ذوي المكانة والزعامة قبل الدعوة اليه قولاً وبيانا ومن السامعين مدافعة وحوارا حتى تستقر الاشياء فى أنصبتها وتطمئن النفوس الى الايمان بها. ومن ذلك حلف المطيبين حين أراد بنو عبد مناف أن يأخذوا من بنى عمهم عبد الدار ما أعطاهم إياه أبوها قصى بن كلاب من أمور البيت فأبوا عليهم وكاد يقع الشر لولا هذا الحلف الذى قسم الامور بينهما وانما سمي بذلك لانهم غمسوا أيديهم حين عقده فى طيب مسحوا به الكعبة وكيد اله وتوثيقا وكثيرا ما كان يقع التحالف اذا تسافه أفراد القبيلة تسافها يقتحم الحد ويتهمج على العرف فيهب أشرافها يتعاقدون على التآمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما

فعلت قريش في حلف الفضول على يدى العباس بن عبد المطلب وسفيان بن حرب  
ورسول الله يومئذ ابن خمس عشرة سنة وهو الحلف الذى قال فيه صلى الله عليه  
وسلم « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به سمر النعم  
ولو دعى اليه فى الاسلام لاجبت »

ومنها ما كان اذا خلوا من تلك المشاغل لمحض الانس وترويح النفس بذكر  
ما سلف من الحروب والوقائع وقص ما دضى من السير والاخبار وتناشد ما  
حلا من الرجز والقريض الى غير ذلك مما تنشرح له الصدور وتنتعش به الافئدة  
وكان هذا النوع من المجتمعات لا يقع غالبا الا ليلا ولذا سمي حديثه بالمسامرة  
والسمر وهما فى اللغة حديث الليل وكانت عاداتهم فيه أن يتحلقوا وفى وسطهم  
من ينتهى اليه أمرهم وأحيانا كان يتحمس المتكلم اذا أراد ذكر قصص غريب  
فينهض لاقائه واقفا كما يفعل الخطيب

هذه هى المجتمعات الخاصة وقد قطعت فى تهذيب اللغة بالمعنى الاول شوطا بعيدا  
ولها أسست الاندية ومن أقدمها دار الندوة التى أسسها قصى بن كلاب فكانت  
تجتمع اليه فيها قريش للامور السالفة ليلا ونهارا ولهذا سمي مجعاعلى أن الاجتماع  
بها لم يقتصر على تلك الامور بل تعداها الى غيرها كالاملاك والاعذار فكان  
يقع من الكلام ما يلائم الموضع وعو من الخطب ما يناسب المقام

#### ب — المجتمعات العامة

أما المجتمعات العامة فنعنى بها ما أدى الاجتماع فيها الى الاختلاط بين  
قبيلتين أو أكثر أيا كان الدافع الى هذا الاختلاط ونقصد منها أكثر ما نقصد  
العمل على التقارب والتوحيد بين لغات القبائل وبخاصة بين يمن ودضر وإن  
كانت تؤدى مع هذا الى ما سبق ذكره من الحسن والارتقاء وقبل أن نتكلم  
على عوامليها وهما قريش والاسواق لابد لنا من القول بأن العامل الاساسى قبل  
هذين كان اختلاط القحطانية بالعدنانية حيث غادرت كثيرتها اليمن منذ القديم



لسيل العرم أو للعيش أو لغيرها من أى شىء تشاء فملاّت من الجزيرة العربية وسطها وشمالها وما بعد من أطرافها وبذلك كان تخالط وكان امتزاج ذهبت به الفوارق اللغوية الجسيمة بحكم الطبيعة وعلى توالى الايام ثم كان ما سذكروه عن قريش والاسواق فضعفت كل الضعف وزال ما بقى من فارق أو كاد

### قريش

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك » رفع ابراهيم قواعده وابنه اسماعيل فأقاما أركانها وأتما بنيانه وتقبل الله دعاءهما الذى حكاها سبحانه يقوله عنهما « واذيرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » فكان بيتا محجوجا يقصده العرب من كل مكان قصى ويأتون اليه من كل فج عميق يطوفون به ويقضون مناسكهم فيه ولقد كانت أفئدتهم تهوى اليه استجابة لدعاء نبيه وخليله حيث يقول « ربنا انى أسكنت من ذرىي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » وما زال هذا البيت محل وفادة لجميع العرب من لدن اسماعيل حتى جاءت قريش فكانوا جيره الاّ دين يقيمون حوله ويقومون بسدائنه توفيراً لراحة زائريه وعملا على ارضاء قاصديه يستمعون جميع لهجات العرب اذا دعوا ولبوا أو تضرعوا وتوسلوا وإذا أرادوا أمراً أو قصدوا شيئاً فلا يزالون موسم الحج على طوله وإذا لم يك حج كان اعمار ينقلون إلى لغتهم ما يستحسنون من ألفاظ وعبارات وينقل الوافدون اليهم عنهم إذا قفلوا أكثر مما ينقلون هم فينشرونه فى أرجاء الجزيرة ونواحيها وهكذا دواليك بقيت قريش أداة أخذ وإعطاء تعمل بمجهود جبار على التوحيد والتهذيب حتى تهذبت عبارتها وترقى أسلوبها واتسعت

اختارها وصارت أوفى بتأدية الزاد من غيرها وأصبحت لهجة مكة وهي حاضرة العرب وبلدة قريش أوضح اللهجات بيا ناولاً عذبتها أسلوباً وأخفها منطقاً وأوسعها فهماً شأن اللهجات في حواضر المدن وقواعد الممالك تجدها من الخلوة والطلاوة مالا تجد غيرها من سائر مدنها وجميع قراها ثم لم تك قريش محل وفادة فحسب بل كانت بحكم عملها التجاري لا تزال تقطع بلاد العرب برحلة الشتاء والصيف إلى اليمن جنوباً والشام شمالاً فتغزو بهاتين الرحلتين وبغيرها إلى غير هذين الاقليمين ما تصادفه من خلاف غزوا يكسر من حدته وينقل من غربه فإذا هو مستكين ضعيف يتوارى ثم لا يلبث أن يزول

الأسواق

جمع سوق وهي مجتمع الناس أصلاً للبيع والشراء وكانت للعرب أسواق عامة يبدأون التنقل إليها من أوائل سنتهم بالشمال ثم لا يزالون يسرون إليها شرقاً فجنوباً حتى ينتهوا من سوق صنعاء بانتهاى رمضان فتعتمد جميع القبائل إلى الاستعداد خلال شوال للرحلة إلى سوق عكاظ فيعمرونها من أول القعدة إلى عشرين منه ثم يغادرونها إلى مجنة قرب مكة بقية القعدة ومن مجنة يذهبون أول الحجة إلى ذي المجاز بجانب عرفة لا يبقى كما قد يقال ومنها يكون المنصرف إلى الموقف الأعظم في عرفات وبالصدور منه ينفرط عقد الناس

ولما كانت هذه الأسواق الثلاث قريبة المكان من مكة والزمن من موسم الحج كانت أعظم الأسواق جمعاً لقبائل العرب المتباعدة مقاماً ونسباً وكل مجتمع كهذا لا يخلو والناس يزحم بعضهم بعضاً من بادرة غضب أو ساقطة قول وما أسرع تجمع الناس والتفافهم حول المختلفين فيرى كل من المتنازعين حوله من الخلطاء والبعداء ما يطلق من لسانه ويثير من انفعاله فيقول ويفخر والجموع مشار الفول والفخر ثم ينصرفان وفي نفس كليهما موطن لم يبلغه فيعود هو

أو أحد عشيرته إلى السوق من عامة القبائل وقد أعد قولاً يرد به على منازعه ويستكمل به نقصه وهكذا بدأ الاتجار بالكلام في الاسواق وما زال آخذاً في الازدياد حتى كان خير بضاعة أو هو البضاعة النافقة في هذه الاسواق وأخصها عكاظ فقد اعتادت القبائل أن تعد للقول بها عدته وللغفار آيته فيستمع المحكمون ويقدمون أو يؤخرون وفي هذا من الباعث على الروية في القول والتخير للنظم مارفع من صناعة الكلام وجعل التروىء من عادة الكثيرين وقد كانوا من قبل ينطقون دون سبق روية أو تفكير وشتان ما بين البديهة وإن وافقت الصواب وسداد البصيرة وهدى التفكير

وإذ كان الشعراء والخطباء وكل ذى كلام يريد له سعة فهم وكثرة ذبوع ولا بد أن يريد يرون لغة قريش أو في اللغات بهذا فقد انشأوا إليها جميعاً يستوحون فصاحتها وبيانها ويستمدون قوتها وسلطانها حتى غطت على جميع اللهجات فأصبحت العلم الذى بنوره يهتدى والامام الذى بقوله يقتدى عرف العرب لها ذلك واعتقدوه فى المحاكاة والتقليد فأخذوا يتقربون بلغاتهم إليها وكانت الاسواق من أقوى العوامل على هذا التقريب حتى قارب توحيد اللهجات التام واستعد العرب لفهم القرآن الكريم الذى نزل بلغة قريش ولمعرفة مواطن الإعجاز فيه فلم يبق بعد نزوله إلا القليل من اللهجات

### اختلاف اللهجات

ليس أماناً من قول فى اختلاف اللهجات بعد الذى قدمناه من أن عوامل التهذيب قد تغلغلت فى اللغة فنقتها وهدبتها ووحدتها فى مجموعها وقربتها وجعلت لغة قريش معروفة للجميع يمتلكون زمامها ويفضلون القول بها على غيرها سوى أن نذكر بعض هذه اللهجات لتضم إلى ما قدمناه منها فى الابدال

١ - لليمن

١ - تلتلة بهراء . وهى كسر حروف المضارعة إلا همزة إخال فانها عامة

الكسر لدى الجميع

٢ ، ٣ - وهم كلب ووكها . والاول كسر هاء الغائب دون أن يسبقها

كسر ولا ياء ساكنة . والثانى كسر كاف المخاطب بعد الكسرة

والياء الساكنة وقبل ميم الجماعة

٤ ، ٥ - استعمال ذو وفروعها بدل الذى وفروعها عند طي . وفتح عين

الناقص المكسورة عندهم أيضا

٦ - حذف نون اللذين واللتين رفعا عند بلحارث من مذحج

٧ - اعراب المثني بالالف عند بطن من كلب يدعى ربيعة

٨ - حذف بعض الحروف دون علة عند أزد الشحر وعمان مثل مشالله

فى ما شالله وتسمى اللخلخانية

ب - للمضر

١ ، ٢ - ضم هاء الغائب بعد كسر أو ياء ساكنة عند الحجازيين . والزاهم

ما النافية عمل ليس

٣ ، ٤ - عدم اعمال ما عمل ليس مطلقا عند تميم . وقصر أولاء الاشارية

ومد إلى الموصولة عندهم أيضا

٥ - اختلاس هاء الغائب أو تسكينها بعد حركة عند بنى كلاب وبنى عقيل

٦ - اجراء الذين مجرى جمع المذكر رفعا عند بنى عقيل وهذيل

٧ - قلب ألف المقصور ياء إذا أضيف إلى ياء المتكلم مع ادغامها فيها

عند هذيل

ج - لهجات غير مقيدة يمين أو مضر

١- اعراب الاسماء الخمسة بالحركات مقدرة على الالف أو ظاهرة على عيبتها

٢- اعراب المنقوص نصبا كاعرابه رفعا وجرا

٣- الحاق الضمائر بالفعل على أنها علامات تثنية وجمع

٤- زيادة حروف لين باشباع الحركات في المد

٥- ترقيق المفخم بطريق الامالة من الفتح الى ما بين الفتح والكسر

٦- تسكين بعض المتحرك بدون علة كالعين في معكم

٧- الاختلاف في نوع حركة أحد الساكنين حين التخلص من التقاءهما

٨ - » » التذكير والتأنيث حيث لا يجب أحدهما

٩ - » » الهمز والتسهيل

١٠ - » » الفك والادغام

١١ - » » صيغ جموع التكسير للكلمة الواحدة

هذا ومن اختلاف اللهجات أيضا اختلاف القبائل في معاني الالفاظ اختلافها

نشأ عنه الترادف والاشتراك والتضاد وقد تقدم وجه الرأي فيه

## معارف العرب في الجاهلية ومعتقداتهم

ينبغي لمن يتعرض لهذا الموضوع بالكلام أن يصدره بأمرين جديرين  
بالعناية هما: —

أولا أن المقصود من كتمى معارف ومعتقدات ليس ما يفهم من كتمى علوم  
وأديان بالمعنى الذى يعرفه الناس لان الحياة البدوية الجاهلية تأبى هذا الاطلاق  
فما كان علم من غير حضارة ولا كان دين بغير دعوة وكلا الامرين لم يك  
موجودا فى الجزيرة العربية قبل الاسلام الا فى أجزاء قليلة من أطرافها لا  
يصح تغليبها على المجموع الكثير ولهذا اختيرت الكلمتان السابقتان فى العنونة  
له دون أختيهما اللاحقتين

وثانيا أن ما عرف عنه لم يك مرجعه الاثر والحفر أو التدوين القديم كما  
هى الحال فى بعض التواريخ فان العرب كانت بعيدة اذ ذاك عما تستلزمه هذه  
الاشياء من تقدم فى الصناعة ومعرفة بالكتابة اتماما كان مأخوذا مما نطقوا به  
فى أشعارهم وما قصه القرآن من أحوالهم وهو لا يعدو فى المعارف نتيجة  
التجربة وفى المعتقدات أثر العادات الا ما أخذوه فى النوعين عن غيرهم من  
الامم ذات الحضارة أو الدين أو الاثنين معا كالروم والفرس واليهود بحكم  
المخالطة والجوار كما سنقصه بعد بالاجمال .

### اولا — المعارف

#### ١ — السماء وكائنات الجو

لعل خير معارفهم فى الجاهلية علمهم بالسماء وكائنات الجوالارتباط ذلك بمعاشهم  
من حيث توقف حياتهم على المطر وهدايتهم على النجوم وقد استعانوا على كثير من

هذا العلم بالكلدانيين وهم بقايا كهنة بابل عباد الكواكب ذوي المهارة فيه ويعرفون عند العرب بالصابئة والى هذا يرجع السبب في اشتراك كثير من الفاظه ومصطلحاته بين العربية والكلدانية

وقد عرف العرب الافلاك وهى مدارات السيارات وكثيرا من الكواكب والنجوم وعرفوا السيارات السبعة وهى الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل وكذا البروج الاثني عشر وهى ما يقع من الكواكب والنجوم فى سمت مدار الشمس وسموها بأسماء الصور التى تشابهها من بعض الحيوان أو النبات أو الادوات وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كما عرفوا منازل القمر الثمانية والعشرين وهى الكواكب والنجوم التى تقع فى سمت مداره ويقطع كل منزلة منها فى ثلاث عشرة ليلة وقسموها على الفصول الاربع الشمسية فجعلوا لكل فصل سبع منازل وهى بالترتيب السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهقعة والذراع للربيع ، النثرة والطرف والجهة والزبرة والصرفة والعواء والسمك الاعزل للصيف ، الغفر والزبانى والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة للخريف ، سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرغ الاول والفرغ الثانى والريشاء للشتاء .

وهم يسمون هذه المنازل بالانواء والنوء عندهم النجم يسقط تحت الافق الغربى مع الفجر ويطلع رقيبته فوق الافق الشرقى من ذلك الوقت

ولما كان الذى يهمهم هو المطر وما يتبعه من رياح وحر أو برد قسموا السنة من حيث المطر سبعة فصول سموها بأسمائه وهى بالترتيب البدرى وأنواؤه ثلاثة تبدأ بالفرغ الاول ويليه الوسمى أربعة أنواء والولى عشرة والغمير

أو المد أربعة والبسرى اثنان وبارح القيظ ثلاثة ثم احراق الهوى وهو اثنان وعلى ترتيبها هذا يبدأ المطر ضعيفا ثم يأخذ في التزايد حتى يبلغ أشده في الولى ثم يعود الى التناقص حتى يكون الجفاف .

## ٢ - البيطرة والطب

ومن خير معارفهم بعد النجوم البيطرة وهى تطبيب الدواب من ابل وخيل لشدة حاجتهم اليهما وبخاصة الخيل فقد بلغوا درجة كبيرة فى تعرف أمراضها وعوارض هذه الامراض وكيفية معالجتها وساعدهم على ذلك واسع علمهم بصفاتها وطباعها وعيوبها مما استفادته بحوثه وأمد الرواة بالتأليف فيه ويغلب أن يكون علم البدو بكثير من ذلك الى الآن موروثا عنهم .

أما طب الانسان فلم يك عندهم فيه شىء ذو بال الا ما كان من الحكى والبر والكن فى أواخر الجاهلية ظهر فيهم بعض الاطباء كالحارث بن كلدة الذى تعلم الطب فى فارس وزاوله ببلاد العرب وهو صاحب المحاوره الطبية المشهورة مع كسرى وقد سأله فيها عن كثير من قضايا الطب فجاءت إجابته عنها أشبه برسالة طبية ذات قيمة. هذا على أن جهل العرب بالطب لم يمنعهم أن يعرفوا كثيرا من أسماء العلل وسماتها والامراض وعوارضها كما تدل على ذلك ألفاظهم الموضوعة فى هذا الباب

## ٣ - التاريخ والانساب

لم يك عندهم شىء ذو نظام من علم التاريخ انما كانت لديهم أخبار مقتضية متوارثة وقفوا عليها بمجاورتهم للفرس والروم ومخالطتهم لليهود وبما أسس فى أطراف جزيرتهم من ملك وبعث هناك من أنبياء وبالرغم من أنهم بكروا فى وضع شهورهم القمرية وفى علمهم بالسنة الشمسية لم يستخدموا التاريخ بالسنين كما فعلت الامم حولهم مكتفين بقواهم للزمن القديم عادى وللاقدم



منه زمن الفِطْحِ والمستغلين عظام الحوادث للتأريخ وكلما جددت حادثة عفت على سابقتها وهكذا بقوا حتى جاء الاسلام .

وبمقدار اضطرابهم في التاريخ كانت دقتهم في الانساب فقد كانوا يلمون بها الماما لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكان أعلى النسب عندهم الشعب ومنه تنشعب القبائل ومن القبيلة تكون العائر فالبطون فالأنحاذ وليس بعد الفخذ إلا الفصيلة . ولقد كان فيهم نسابون تعيا الدفاتر ولا يعيرون وتضل الكتب ولا يضلون ساقهم الى ذلك حرصهم على سلامة أنسابهم ونقاء أحسابهم لحاجتهم الى النسب في المقاتلة والمناصرة والى الحسب في المفاخرة والمنافرة مع شدة طابعهم للنار وعدم التواني في أخذه ممن هو محله أو هو منه قريب

#### ٤ - القيافة والعيافة

القيافة أصلاً الاهتداء بآثار الاقدام على أربابها غير أنهم توسعوا فيها فجعلوا منها الاستدلال بهيئة الانسان وأعضائه على نسبه وتسمى الاولى قيافة الاثر والثانية قيافة البشر وقد كانوا في الاولى يميزون بين أثر الرجل والمرأة والشيخ والشاب والبصير والاعمى والاحق والكيس وكذلك كانوا يفعلون في الحيوان . وكانوا في الثانية ينظرون عدة أشخاص مجهولي النسب لهم فيلحقون كلا برهطه وعشيرته فاذا كانوا من رهط واحد ألحقوا الابن بأبيه والأخ بأخيه والقريب بقريبه وقد اشتهرت بهذا النوع قريش وبالنوع الاول بنو مدلج وهم بطن من كنانة كما اشتهر من غيرها في النوعين أفراد كثيرون . وكلاهما ضرب من الفراسة بقوة الحدس وصدق الخيال أوجدته في المستعدين منهم حاجتهم الى تعرف الآثار وحقيقة الانساب والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة بل هي أم الاختراع وان المطلع على ما روى من هذا عنهم أينا له الدهش الكبير . أما العيافة فأصلها الاستدلال باسماء الطيور وسقوطها وارتفاعها على ما يتفاءل

به أو يتشاهم منه. ولكنهم توسعوا فيها أيضا حتى تعدت الطير إلى غيره من حيوان ونبات وجماد وتعدت ما تقدم من الاسماء والسقوط والارتفاع إلى الاصوات والحركات وسائر الاحوال والصفات. وهى كالقيافة ضرب من الفراسة بقوة الحدس وصدق الخيال وقد اشتهرت بها قبائل اخصهم بنو طب وهم بطن من الازد وأفراد آخرون. وكان من عادتهم فى عيافة الطير أن يزجروا على السائح ريتبر كوا به وهو ما أراكم مياسره فأمكن الصائد منه ويكرهوا البارح وويتشاهموا منه وهو ما أراكم ميامنه فلم يمكن الصائد منه وهذا من زجر الطير سقوطا وارتفاعا. وكثيرا ما كانوا يزجرون بالاسماء فيجعلون المدهد هدى وهداية أو يأخذونه من الهد والالتلاف كما يأخذون الحمام من حم اللقاء أى قرب أو من الحمام وهو الموت ويجعلون العقاب عقي خيرا وعقي شرا وكذلك فى سائر الطير إلا الغراب فانهم لا يخرجون فيه عن التطير والتشاؤم فيجعلونه من الاغتراب ويسمونه غراب البين كما يسمونه حاتما لانه يحتم عليهم بالفراق والاعور تطيرا عليه إذ كان أصبح الطير بصرا ولعل ذلك أتاه من تعوده الوقوع فى مواضع الدور يتلمس إذا بان أهلها للنجعة وبعضهم كن يضم اليه فى الرحلة والنوى التطير بالابل لانها المنترقة للالاف ولكن ذلك لم يك بالكثير المقبول إذ أنها من جانب آخر آلة الوصلة واللقاء

#### • - العرافة والكهانة

العرافة هى القضاء بالغيب وكذلك الكهانة لا فارق بينهما غير أن من الناس من قصر العرافة على تعرف ما خفى من حوادث الماضى وجعل الكهانة للتكهن بما عسى أن يكون فى المستقبل ولكن لم نجد أثرا بينا يسمح بهذا التخصيص وكل ما يمكن أن يعد فاصلا بين النوعين هو أن العراف كان دائما أقل من الكاهن وكان يستخدم خبرته غالبا فى معالجة بعض الامراض ولهذا كان

مقصد المرضى وذوي الاستقام يؤيد ذلك ماورد من أشعار ومن أشهر العرافين بالتطبيب والغالب عليه التطبيب الروحاني رباح بن عجلة باليمامة واللاق السعدي بنجد . أما الكاهن فكان يفرع اليه في تعرف الحوادث ويقصد في تفسر والخصومة للقضاء فيها بالحق من إدراك غيبه وكان من أشهر الكهنة في العهد الجاهلي سطيح بن مازن الغساني وشق بن أنمار الأزرى وسواد بن قارب الدوسي والكتب الادبية والتاريخية ملأى بحوادثهم وحكاياتهم . هذا .

ويعمل العلماء الآن لحداث الكهانة التي لاشك في صدق بعضها لدى العرب وغيرهم من الامم القديمة في مصر واليونان والرومان والهند والصين بارجاعها إلى ما أثبتته العلم الحديث من السبات المغناطيسى وهو عبارة عن تخدير يحدث في الجهاز العصبي الحسى تنفصل على أثره النفس من الجسم فلا تبقى مرتبطة به إلا ارتباطا خفيفا لانها بهذا الانفصال تعود إلى جانب من حريتها الاصلية فتبدو منها تلك الادراكات الغريبة التي عجز الماديون عن شرح علمها والتي نسبتها الاديان في رأيهم لتقريبها لاذهان الناس إلى الملائكة أو الشياطين ويقولون لما كان انفصال الروح عن الجسم لا يبلغ منتهاه مهما كانت درجة السبات إذ نهايته الحققة لا تكون إلا بالموت كان من الحتم أن يبقى شيء من الرابطة يعكر صفو هذا الانفصال فيتسرب الكذب إلى كثير من مدركات النائم ومنهم الكهنة والعرافون الذين كانوا يلقون أنفسهم في السبات لما ثبت من أن الاستعداد الشخسى في النائم والمنوم قد يجتمع في بعض الناس ومن ثم نهت الشرائع عن الركون إلى الكهنة وكانت العقيدة الحققة أن الله سبحانه هو وحده المستأثر بعلم الغيوب

كانوا أميين في عموم البدو ومن قرأ أو كتب في حصرهم كان خطه قاصراً  
وقراءته غير نافذة ولكن وجوده فيما تحضر من دولهم قديماً باليمن والحيرة  
ولحيجهم في لغتهم بكثير من الالتاظ الموضوع له ولادوات الكتابة ولو لم  
يعرفوها الى ما كان لهم فيه من شأن بعد الاسلام ارتكز على الخط الحيرى القديم  
كل هذا جعلنا لا ندعه دون كلمة عنه تعتبر تاريخية في هذا الموضوع فنقول:

لا خلاف في أن منشأ الخط العربى القديم كان ببلاد اليمن فى الخط المعروف  
بالمسند الذى ساد بها على عهد السبئيين والحميريين وهذا المسند يرجع الى الارامى  
وهو خط المعينين أقدم الاعم الارامية نزوحا الى هذه البلاد والارامى مقتبس  
من القينيقى المأخوذ من الخط المصرى القديم ولما انتقلت كندة وهى من كهلان  
الى شمال الجزيرة العربية انتقل معها المسند فعرف بالكندى ثم بالنبطى نسبة  
الى جيل عربى عرفه منها هناك ومن كندة والنبط أخذه أهل الحيرة والانباء  
فنسب اليهما وعنه نقله الى مكة بالحجاز حرب بن أمية قبيل الاسلام فتعلمه  
عدد من أهلها كان منهم كتاب الوحي بعد على عهد رسول الله وبعد تأسيس الكوفة  
على مقربة من الحيرة عرف الخط الحيرى باسم الكوفى ثم أخذ يزاد زخارف  
وأشوا على توالى الحضارات الاسلامية حتى وصل الى ما نراه الآن

## ثانياً — المعتقدات

كان للعرب فى جاهليتها معتقدات شتى بعضها يجرى مجرى الشريعة والمذهب  
هى الاديان وبعضها يجرى مجرى العرف والعادة هى الاوابد .

### ١ — الاديان

فى الاديان كانوا كثيرى المذاهب الى الحد الذى

١ - عبدة الاصنام وهم الغالية العظمى وعقيدتهم الاقرار للخالق بكل شيء  
وانكبتهم ينكرون البعث وارسال الرسل ويعبدون الاصنام لتقربهم الى الله زلفى  
٢ - عبدة الشمس أو القمر أو النجوم وعقيدتهم كعقيدة عباد الاصنام  
وكذلك موقفهم في عبادتها فهم يتخذونها قربى الى الله لانها من دلائل  
عظمته وباهر آياته .

٣ - عبدة الملائكة طمعا في خيرها والشياطين خوفا من شرها على أنها جند الله  
وهم في العقيدة كالسابقين . ومثلهم عبدة الجن على أن فيها الخير والشرير  
٤ - عباد النار كالمجوس وقد سرى اليهم ذلك من الفرس وبيوت النار عندهم  
كبيوت الله عند ذوى الكتاب

٥ - الصابئة وهم عباد الفلك الذين يعظمون بروج الشمس الاثنى عشر  
والكواكب السبعة السيارة ويشبتون لها ما يشبهه الموحدون لله وقد سرى  
هذا المذهب اليهم من سكان بابل القدماء هذا على أنه قد كان في الصابئة قبل  
الاسلام من عدل عن هذا الى دين ابراهيم كما كان فيهم بعده من هو شديد  
الميل الى دين المسلمين ولذلك ذكروا في بعض الآيات على أن منهم المؤمنين  
٦ - الشنيون وهم القائلون بان الاله اثنان الله خير هو النور والله شر هو الظلمة وأنهما  
قديمان ثم يشبتون لهما من الصفات ما يشبهه المؤمنون لله وهؤلاء هم الزنادقة  
٧ - الدهريون ومذهبهم إنكار الخالق والبعث على أن الطبع يحيى والدمر ينفى  
٨ - اليهود وكانوا في يثرب واليمن

٩ - النصارى في الشمال من ربيعة وغسان وفي الجنوب في نجران  
١٠ - الموحدون وكانوا آحادا يدينون بما تسرب الى العرب من ملة أبيهم  
ابراهيم والمعروف منهم قليل .

ب — الاوابد

وكذلك كانت لهم أوابد كثيرة ينزلون على حكمها ويعملون بها وأهمها .  
١ - استقسامهم بالازلام وهي قداح مكتوب على كل اثنين منها الامر وضده  
كسافر أولا تسافر مثلاً فاذا ما أراد أحدهم شيئاً ذهب الى سادن الوثن  
فأخرج له أحدها فعمل بما فيه

٢ - تفاخرهم بأعب الميسر وهو المقامر قبالقداح وعددها عشرة الفذ بنصيب والتوأم  
بائنين والضربب أو الرقيب بثلاثة والجلس بأربعة والنافس بخمسة والمسبل  
أو المصلح بستة والمعلب بسبعة ثم السفيح والمنيح والوغد ولا أنصبه لها  
انما كانت تخرج فتزد تضليلاً لذوات النصيب فكان من عادتهم اذ أرادوا  
اللعب أن ينحروا جزوا يقسمونها عشرة أقسام ثم يأخذوا في استخراج  
القداح بعد تقسيمها عليهم وكلما خرج قدح أخذ صاحبه نصيبه وعمدوا  
إلى النحر اذا قلت الانصبه الباقيه عن إيفاء اكبر قدح لم يخرج وفي هذه  
الحالة يكون الغرم في ثمن ما نحر على ذوى السهام الباقيه وهكذا حتى  
تنتهى جميع القداح فتنتهى النوبه

٣ - حمايتهم البحيرة ببحر أذنبا أى شقها وهى الناقه تنتج البطن الخامس  
وكذلك كانوا يحمون السائبة وهى التى يسبونها لنذر أو شبهه والوصيلة  
وهى أنقى البطن السابع للشاة واذا كان معها ذكر وصلته بالحمايه وكذلك  
الحام وهو الفحل يخرج عشرة أبطن

٤ - إغلاق الظهر وهو جب سنام الفحل اذا بلغت الابل مائة ليمنع عنها  
العين ومثل ذلك التفقئة وهى فقء عينه اذا بلغت الفأ اذا زادت عنه  
كانت التعمية وهى الذهاب بعينه جميعاً .

٥ - ضربهم الثور لتشرب البقر على زعم أن الجن تركبه فتخيف البقر فاذا

ضرب ذهبته عنه ومثل ذلك كي السليم من الابل أمام الاجرب ليبراً  
٦ - ومن عقائدهم في الميت أن يحتبسوا على قبره ناقة يربطون عنقها الى  
ذنبها مع تغطية رأسها فلا تزال كذلك حتى تمك أو تنتجو باعتدال عنقها أو  
افتكاك رباطها وكانوا يسمونها البلية ويسمون الغطاء الحشية ومن ذلك  
قولهم «رأس البلايا في الحشايا». وكانوا يزعمون أن القتل اذا قتل  
يخرج من رأسه طائر يدعى الهامة فلا تزال تقول «اسقوني اسقوني»  
طلباً لثأره حتى يدرك ومن عادتهم هنا عدم البكاء على القتل ما لم  
يؤخذ بثأره

٧ - ومن عقائدهم في المداواة تعليق الحلى على السليم وتسميده سبع ليال ووضع  
منخل على رأس من تصاب شفته بالحلى مع المرور به في الحلى قائلين  
«الحلى الحلى» وكذا تعليقهم للصبي سن الثعلب والهررة وكعب الارنب دفعا  
للنظرة أو الخطف ورميهم سن الاثقال في عين الشمس لتأني بخير منها  
٨ - ومن عادتهم أيضاً وأد البنات للعار والاولاد للفقر وقد شدد الاسلام  
النكير عليهما في ذلك

٩ - ومنها ايقاد النيران وأشهرها نار القرى ونار الحلف ونار الهداية ونار  
الحرب ونار الفداء وهذه للنساء خاصة

ومنها غير ذلك كثير كوطء المقلاة دم الشريف ليعيش ولدها. وشق الرجل  
برقع محبوبته والمرأة رداء حبيبها لكيلا يفسد العشق وكى الاليتين  
ليذهب. وذكر الرجل أحب الناس اليه ليذهب خدر رجله. ومسح الطارف  
العين المطروفة سبع مرات لتسكن وهكذا مما يضيق المقام عن سرده فضلاً  
عن شرحه فليرجع اليه في مظانه على أنه سيأتي في تدوين الشعر لاحوال  
العرب الاستشهاد على كثير من هذا بعد إن شاء الله

### وبعد

فقد آن لنا أن نشرع في الادب الجاهلي بعد الذي ذكرناه بمثابة المقدمات له .  
غير أن ما جرى عليه بعض الباحثين في هذا العصر من التشكيك في وصوله  
اليتنا تشكيكا جعله في نظرهم بعيدا عن الثقة والاطمئنان حملني أن أصدر  
القول فيه بكلمة ترد عليهم شكوهم وتبرهن على أنه محل ثقة واعتقاد كما حملني  
هذا الاغراب منهم في التفكير طمعا في الاتيان بجديد وان لم يك ذلك الجديد  
بالمقبول أن أتبعها للرد عليهم أيضا بكلمة أخرى عن بحث لهم ثان ارتكبوا فيه  
مثل هذا الشطط وأشد ذلك زعمهم أن الشعر أسبق الى الوجود من النثر .  
فها تان كلمتان جعلتهما في صدر الموضوع وان كانتا من أبحاثه في الصميم .



## الادب الجاهلى

أَلْنَا أَنْ نُنْظِمُ مِنْ إِلَيْهِ نَدْرَسُهُ وَنَرْوِيهِ

ان لنا ان نطلمئن

كانت العرب فى جاهليتها أمة فصاحة وكلام ولسن وبيان لامطعن هنا  
لطاقن ولا جدال ساقهم الى ذلك فطيرة فطروا عليها من صفاء خاطر وذراية  
لسان وحفزهم اليه طبيعة عيش اقتضت منهم أن يتغنوا ويرجزوا ويتناخروا  
ويتعاكفوا حتى كان الكلام بضاعتهم النافقة به تعمر أسواقهم ويتناقله عنها  
حدائقهم وركبانهم فيدوى فى أرجاء جزيرتهم دوياتهم به رمالها ويضطرب له  
كل ذى حياة يعيش فيها ثم لا يلبث أن تضيق به جوانبها فإذا هو قد جاوزها  
الى الامم الاخرى وقديما كان لكل أمة سمة تعرف بها فى غيرها وسمة العرب  
الكلام.

كان طبيعيا اذن أن تقول العرب وأن تكثر من القول وأن يتناول ذلك  
عضوى الادب اللتين عليهما نهض من نثر وشعر كل فى الغرض الذى من أجله  
كان وله درج ولكل مقام مقال. وكان طبيعيا مع هذا أن يتناقل السامعون كلام  
القائلين خلفنا عن سلف ابقاء للاغراض التى قيل فيها ومحافضة على المآثر  
التي سجلها فإذا ما ضممنا الى هاتين الطبيعتين ميزتين أخريين هما القدرة الفائقة

التي كانت معروفة للعرب على الحفظ واعتزاز كل قبيلة بمواد حجبها ومفاخرها  
ضمنتها أن تدول مضافا اليهما ما كانوا عليه جميعا من أمة جعلت دفاترهم  
رءوسهم وودعوا بينهم حفظ أقوالهم كان لنا أن نطمئن الى أن هذه المناقلة الكلامية  
تبقى ما بقيت هذه العوامل ذات كون وثقة وتأيد حتى يطرأ على العرب ما يغير  
هذه النواميس ويطبعها على غيرها وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم  
ولكن شيئا من ذلك لم يكن حتى جاء الاسلام

جاء الاسلام والجزيرة العربية تدوي دوى النحل قد ضل غيرانه بكل  
مأثور من القول اعتز به حافظه وحرص عليه ساعده الى درجة لم يلهم عنها  
الاسلام بحديث الاجل رده شتته العظمى فاستمروا من بعده طويلا يعقدون  
عكاظهم ويسترسلون في مناقرتهم ومناقرتهم وهل كان الاسلام الامتداد لهم  
في بابهم ومنازلا اياهم من راديتهم وقد جعل آيته الكبرى القرآن الكريم يساجلهم  
في الفصاحة ويحاجهم بالبلاغة ثلاثا وعشرين سنة حتى امتلاك عليهم ناصيتها  
واستل من ايديهم زمامها فألقوا اليه بقياد النثر وعكفوا هم على الشعر وهذه  
احدى الدواعى التي جعلت مأثور الشعر أكثر من مأثور النثر كما سنذكر  
في محاکمتهم قللة وكثرة الى الطبيعة بعد

قد يقال كان للاسلام أن يفتى على القديم ويخذل الناس عن روايته  
ولكن كيف وقد أودع تعاليمه وأحكامه كتاب الله وهو الذروة في البلاغة  
وحديث رسوله وهو المقي له من بعده وليس من سبيل الى استمرار فهمهما  
والحرص على عدم استغراق معناها الا برواية لغة العرب والمحافظة على تفهم  
مأثورها وهذا لعمرى داع دينى دعا الى الرواية والمدارسة منذ فجر الاسلام  
وناهيك بالوازع الدينى وبخاصة فى ذلك العهد من حاث للهمم الى العمل ونائل  
من النفوس مكانة التقديس والاجلال

حرص المسلمون اذن منذ جاء الاسلام على أدبهم حرصهم على دينهم وهما عرفنا  
عبد الله بن عباس رضي الله عنه في تفسيره القرآن الكريم كان يجلس له  
ولدراسة الادب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتضرب اليه أكباد  
الابل من أقصى الجزيرة وأبعد منه لسؤاله عن معاني كثير من مفردات  
القرآن ومحامته في منهاها الى المأثور من كلام العرب فيروى في ذلك الكثير  
من الاشعار وما بغائب عنا ما كان لنا في بن الاذرق أحد رؤساء الخوارج إذ  
ذاك في هذا الباب . ومن ثم كانت مذاكرة للادب القديم على عهد الخلفاء  
الراشدين بل وبالسنة بعضهم ثم هذا جذوعهم في هذا وبشكل أوسع دائرة  
وأبعد مدى ملوك بني أمية فكانت مجالسهم مثارا للادب يسوق اليه الاستمتاع  
واللهو والتسلي والتفحص أو المتاعفة والمنافرة والتسوية واللهد الى ما كان  
قائما بجوار هذا في البادية لما استمر تظاهر صورته فكأظ طويلا ويبريد البصرة  
الذي خلقها إذ ركبت ريحها بل بسائر المجالس والمنتديات ومن هنا نشأت  
الرواية بالمعنى الاصطلاحي وكثير الرواة ولم يكمل كمال هؤلاء يشغل بالحفظ  
والتعليق حتى انتشرت الكتابة وكان التدوين فرغ عنهم ما أثقلهم وجعلهم  
يوجهون جهودهم الى ما بعدوا له بعد من البحث والتحقيق

هذه طريق لا عوج فيها ولا أعت درج فيها الأدب الى ما حتى رعته  
بطون الكتب فاذا بالكم الذي وصل اليها منه خاضع في مقاديره لما يقتضيه  
العمل وتطلبه سنة البقاء . فالشعر وقد صار هم العرب وحده لما تقدم من غزو  
القرآن النثر غزوة فلما من شأنه وصرفت الاذان عنه قد حفظ منه أكثر  
ما حفظ من النثر الذي درس معظمه قبل أن يتحول بطبقات الرواة والاولاد وحصلنا  
منه ما تنفذ دونه المصحف وتنف الجواهر لانه للجاجة والشعر لافراد على أن

من الاسباب الداعية الى قلة مأثورة أيضا ما هو سابق للإسلام اذ لا شك أنه أصعب من الشعر حفظا وأبعد استذكارا وهذه نظرية خضع لها النثر في أقسامه كما خضع لها أمام الشعر في جملة فمكان أكثره رواية أيسره حفظا إنما لقلة ألفاظه وصغر صوره كما في الحكم والأمثال التي سهل على الالسنه تردادها وكانت الحوادث تدعو الى استعمالها فوصل منها أكثر مما وصل من غيرها بينما يحزم العقل أنها لا بد كانت قلة في كثرة ونقطة في لجة الصعوبة معالجتها وندرة الاشخاص القديرين عليها وأما لانه مع طوله تقرب الى الشعر قليلا بالازدواج أو كثيرا بالسجع فكان في ذلك الاتزان في التقسيم والتوافق في التقنى ما جعله سهل الحفظ على الذهن شديد الاعتلاق بالنفس ومن ثم نجد المروى من المسجوع أكثر من المزدوج وهذا أكثر من المرسل مع أن الطبيعة التي يخضع لها صدور الكلام تأبى إلا العكس ولكن ما قيل شيء والذي روى شيء آخر ومن ثم أيضا لم يصلنا عن الجاهلية من الكلام المرسل إلا القليل مع أنه كان الغالب السكثير ولولا أسباب خارجة عن كنهه الواصل قد حملت على روايته لباد كما باد سائر فتنزية أكرم بن صيفي حكيم العرب لا أحد ملوكها في أخيه وهى رسالة وكلمة قبيصة بن نعيم رئيس وفد بني أسد الى امرئ القيس عقب مقتل أبيه وهى رسالة أيضا وفيها بعض ازدواج لولا مكانة الحادثين ومن قال ومن قيل له لغتنا فيما عفا وزالتا فيما زال ولمثل هذه الاسباب الخارجة كان المأثور في السجع عن السكبان أكثر من غيره لغرابة موضوعه واتصال بعضه بالعقيدة مع ما فيه من اطالة التقفية وهذا حكم فيه ان لم يصدق كما صدق نسبة .

أبعد هذه الطريق التي تكنفها الطبيعة ويسايرها العقل يطعن في الادب

الجاهلي ويرمي كله بالوضع والاختلاق لتوافقه زاده فيها بعض الدسائس  
 وأساطير وضعها عليه بعض التمساحين ومطاعن وجهت الى آحاد في جمهرة  
 الرواة ثم يدعى بجرأة الى دراسته في صدر الاسلام وعصر بني أمية كأن الزمان قد  
 وقف وكأن شيئا من احداث الاسلام المزلزلة لم يك كان . ان هذا لاجحاف  
 بالتشكيك وظلم للعقول فالادب الجاهلي كثرة تنضاهل أمامها تلك الزمانف الموضوعه  
 وصغيرة تتكسر عليها هذه التفاحات الطائرة على انها اذ ألصقت به وهو منها  
 براء لم يتلبس الامر فيها على روايته بل مازوها ميز الخبيث من الطيب ووسموها  
 بميسم الزيف أمام الجيد الصحيح عرفوا ذلك شفاها حيث كان مرجع الادب  
 الحفظ ثم دونوه واضعين أمامه أدلة التزييف حين التدوين فما بال المدعين هذه  
 الدعوى ينسبونها اليهم تجديدًا ويدعونها ابتكارًا وآثار أقلام الاقدمين من  
 أكثر من عشرة قرون تكاد تخرج اليهم من بطون الكتب ففسود عليهم صفحات  
 وجوههم من هول ما يقولون

أكان ما يقولون حقًا ولم تظن اليد الشعوبية في القديم وقد مكثت قرونا  
 تعير العرب ما شاء لها التمييز فتتلبس في كمالها نقصًا وتجعل ما تظفر به من الحقيقير  
 عظيمًا ثم لا تهتدي الى أن خير ما تفخر به العرب وهو قديم أدبها ليس لها وإنما  
 هو شيء انتحلته زورا وادعته جهتا بالفتقف أمام ذلك لا تقدم رجلا ولا تحير  
 جوابا بينا يكفيها نقضه وحده مئونة الكد المتعب والكدر المضي ألا انها  
 وثقت لآسن خفاء وغيب واكن أمام نور بهرها وساطان قهرها لم يكدي لصق  
 به كلف دن ظلام أو ينسب اليه زيف من ضلال حتى ديزه ذووه ورموا به  
 بعيدا مزجر الكلب ومنبذ النواة ولقد كان من الرامين النابدين بعض  
 الشعوبيين .

وأكان ما يقولون حقاً ويتركه في الحديث جمهور المستشرقين دون أن  
 يخوضوا فيه بالتجريح والتخديش فيسودوا ناصع بياضه ويصيبوه في قدسه  
 وجلاله بدل أن يرووه ويخدموه ويعترفوا به اعتراف من قهره الحق وأنطقه  
 الواقع ثم يخرجوا من هذا بنتائج عن العرب قد يسوءهم تدوينها أولاً يرتاحون  
 إلى اثباتها فعلوا ذلك ولم يشذ عنهم إلا من أضله الله على علم فشايع التعصب  
 الديني وزحف إلى الطعن في دين العرب من طريق الطعن في أدب العرب فأخذ  
 ما ميزه الرواة لينبذ فأتبته وما فخصوا عنه ليستبعد فقره ومع ذلك لم يشايعه  
 بنوجنسه ومنهم بعض رجال الدين وإن للحق لأنصاراً حيث تظن الظنون  
 وتتوقع الخصوم

وإذا كان الأدب الجاهلي كله دساً وتخيلاً فما هو إذن الأدب الذي كان  
 يروى في صدر الإسلام والدولة الأموية قبل أن يخاق الدساسون أمثال حماد  
 الراوية في النصف الأول من القرن الثامن وخلف الأحمر من بعده في نصفه  
 الأخير. وهلا إذا كان الدس يقع جزافاً وبغير حساب كان الأولى بالداسين  
 أن يستكملوا لنا مواضع نقص في أدبنا كانت ولما نزل فاغرة فاهما حتى يكون  
 ذلك أسوغ لقولهم وأستر لدسهم كأن يدسوا بعضاً من خطب علي رجال  
 جاهليين ضرب المثل بفصاحتهم في الخطابة وكانوا فيها حكماً وعلى أهلها  
 قواماً وليس للواحد منهم في المأثور شيء أوله مالا يتعدى الكلمة والكلمتين ليس  
 لأن الأمر لم يك كما يتخرون فوضى سبب اللالاضابط له ولا رادع عنه. وهل  
 يقبل منا أن نمرر المدسوس على رجال النقد وآرباب الكلام في عصور التدوين  
 والتأليف ثم نزعم لا نفسنا الآن أنابه أعرف ولم<sup>له</sup> أميز وهل ميزنا غير ميزوا  
 إلا ماسقناه قولاً بلا حجة ونتيجة من غير مقدمة

ثم يقولون إن اختلاف الرواية دليل على الدس والله نشهد أن الروايات في عهد يقع الاعتماد فيه على الحفظ وحده دون كتاب يسند أو نقش يؤيد لو اتحدت ولم نر فيها ما رأينا من خلاف هو الطبيعي المعقول لكان لنا أن نتخذ الاتفاق دليل الدس فكيف يتخذ الاختلاف دليلا علينا وهو لنا ويساق ضدنا وهو حجتنا

آن للمجددين بالمعنى الذى يقيمون فيه كلمة التجديد بالمعنى الذى نحترمه نحن أن يرعوا للقديم عهدده ولحق البحث حرمة وألا يتجاوزوا فى الأدب الجاهلى ميز المدسوس عنه الى نقضه من أساسه فانهم اذا نقضوه وما هم بما لغيه ثم عادوا بعد ذلك يبنون وقع بناؤهم على غير أساس فاذا ما تفخروا فيه وصوروه وتساندوا اليه فأقاموه لا يلبث أن ينخونهم وينهار « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال »

## المنثور والمنظوم

أيهما أسبق إلى الوجود

أنا نقول بسبق النثر على الشعر

أظنه من الملائم في هذا المبحث أن يعرض المتصدي له أولا وقبل كل شيء للمعنى العام الذي يفهم من كلتا كلمتي نثر ونظم حتى إذا ما جلاه وأبان عنه وجعل الفارق بين المعنيين واضحا ملموسا عمد إلى هذا الفارق يشاكره إلى الطبيعة ويستهديه القول فاذا هو الحكم الفصل والحق المبين . وأظنه من السهل محاولة ذلك مادامت كل كلمة في ظاهر لفظها تمدنا بالمعنى الذي ينبئ أن يكون الوجه في التفرقة والعامل على التمييز وأن ماعداه من مدلولات ليس إلا ضمايم متممة مهما انحازت الى أحد الجانبين وظهرت فيه بمظهر المختص الملازم لا تعدو أن تكون شركة بينهما غير ناهضة وحدها أن تصالح فصلا . فما هو ذلك المعنى البارز الذي تحمله كل كلمة والذي من أجله قدمنا تلك المقدمة وله صدرنا هذا التصدير هو بلا اجتهاد في الفكرة ولا اطالة في التعبير أن ياتزم الشاعر في شعره وزنا وقافية يجعلانه مقيدا متظوما ويتحرر منها الناثر فيجنى كلامه مطلقا منثورا . واذن النثر أبسط من الشعر وفي الشعر كلفة ليست في النثر والنثر أقرب منا لا ورجاله أكثر عددا والشعر أصعب محاولة والشعراء آحاد في أوساط الناس وهنا نسأل نوايس الطبيعة والكون وعوامل النشوء والارتقاء أيهما لذلك يجب أن يكون أسبق كونا وأقدم وجودا فيكون الجواب لاحالة ما أجبنا به آنفا من أن النثر أسبق من الشعر



وليس الخيازنا في التفرقة بين النثر والشعر الى جانب اللفظ دون المعنى لانا  
 لانهبأ بالمعنى أو لانا نسوى بينهما فيها فها يجهل أقل المامين بالا أدب أن الشعر  
 يعتمد على الخيال أكثر مما يعتمد على الحقيقة وأنه يستوحى الشعور أكثر مما  
 يستوحى الفكر على عكس النثر فيهما ولكن مهما أغرقنا في التفرقة المعنوية  
 فليس في استطاعتنا أن نباعد بين الخيال والنثر ولا بين الشعر والحقيقة فكم  
 نثر أوغل من شعر في التخييل والتصوير والتعبير عن الوجدان والشعور وكم  
 شعر هو وعاء الحكمة والفلسفة وأدخل في باب التفكير منه في باب الخيال انما  
 انحزنا إلى جانب اللفظ اللابانة عن وجه التسمية بالنثر والنظم وأنها لم تك عبثا  
 ولم تأت اعتبارا انما وضعها الواضعون عن بصيرة وفكر لتكون خير دهر عن  
 الفارق وأوضح مترجم عن التمييز نعم عطف الواضعون على النظم فوضعوا له  
 اسما آخر هو الشعر اشارة منهم إلى أن الوزن والتقفية وان وقعت بهما المتداصلة  
 والمخالفة ليسا وحدهما المكونين للشعر بل لا بد أن يغلب على دعنادالشعور حتى  
 يكون اغترافه من ينابيع العاطفة والخيال أكثر مما يغترف من ينابيع الحقيقة  
 والتفكير .

يقولون المخالفون في الفكره إذا كان النثر أسبق من الشعر فبالنا نجد للادم  
 القديمة شعرا ولا نجد لها نثرا ولكن فاتهم أن تلك قضية لا نفهمها كما أصدروها  
 ولا نستطيعها كما هيئوها الا إذا سلمنا لهم بقضية آخرتين كلتاها أبعد عن  
 العقل من الاخرى

فأما أولاهما فاتهم يعنون بالاثم القديمة أول ما يعنون اليونان والرومان  
 فينفنون عنهما النثر ويستيقنون الشعر كأنما كل افراد هاتين الامتين أو أفذاذها  
 كانوا شعراء وكانما لم تهيه أحوالها الطبيعية — والاثم أولى أمة فلسفة ومنطق

والثانية أمة تقنيين وتشريع ثم هما دعا أمتاحكم وفتوح — أحدا من رجالتهما  
ليدافع عن فكرة أو يعال لقانون أو يدعو إلى حرب وقنال. فلا كان الأسير  
مع العقل والاطوع للفكر أن يقولوا كان لما نشر وشعر والكن الشعر كان  
قليلا والليل محروص عليه فوشته الأفهام وتناقلته الرواة في وقت تنشو فيه  
الامية وتندر أو تنعدم الكتابة التي لا يتسع لقيد النثر سواها ثم الشعر مع ذلك  
أسر حفظا وأكثر ذيوغا نعم كان لهم أن يقولوا ذلك فيقبل القول ويستقيم  
الاستنباط ويكونوا منطقيين كما يدعون

وأما الثانية فأنهم يريدوننا على أن العرب في جاهليتها لم يك لها نثر وأن  
ما أئرها موضوع محتاق وهذا المعنى تهجم على العقل ومطالبة لنا أن نكون  
أمامهم أشباح أناسي لا أناسي ذوي عقول والا فكيف لم يك للعرب في جاهليتها  
نثر وقد تحداهم القرآن الكريم في النثر ووصفهم بأنهم كانوا قوما لدا واللد في  
اللغة شدة الخصومة والمحااجة تشيا مع ما هو مقرر معروف من أن التحدى  
لا يحتفظ بكيانه ولا يكون له قوامه الا اذا وقع لكل أمة في الباب الذي تزعم  
فيه نبوغا وتدعى لنفسها عليه قوة واقتدارا وإذا كان الامر هنا كما يقولون  
أفما كان الاجدر بالقرآن أن ينزل كما نزلت سائر الكتب قبله بلغة لا يرتفع  
فيها الى ذروة الفصاحة كما ارتفع حتى يكونوا أفهم لمعانيه وأقدر وقد نزل لهم  
على الانتفاع بما حواه ثم يلتمس النبي للتحدى منحنى آخر غير الفصاحة والبيان  
وإذا أبي المخالفون إلا الفصاحة والبيان فان في مقدورنا مجارة لهم أن نقول  
كأن ينبغي لذلك أن ينزل القرآن شعرا لا نثرا لانهم لزالوا يدينون لبعض  
الجاهليين بالقدرة على قول الشعر لولا أن في تلك المجارة هدم لما لا نرتضى ولا  
يرتضون فتمد جرد الله نبيه من أن يكون شاعرا كما جرده من أن يكون قارئا  
وباعد بين القرآن والشعر فأعجز به منشورا أمة ذات قدرة فائقة على النثر

وقد أثر عنها فيه ما يؤيد تلك القدرة ويشهد بها ولا يمكن ضاع معظمه وبقي القليل  
خضوعا لسنة الكون في الاضاعة والابقاء فلا محل اذن للشك في هذا القليل  
انما الوجه في الشك يكون إذا كثر أو باد

ويقولون أيضا إن في عوام الأمم الحديثة من يقول الشعر بلغاتهم بينما  
لا يحسن أحد منهم النثر وهذا قول نسلم بشرطه الاول دون الثاني فان من  
يختلط بطبقات العوام ويرقب عن كتب مجرى أحاديثهم ومحاوراتهم يجد فيهم  
كما نشهد في عوام المصريين مثلا سمارا تدار حولهم الحلقات وترهف اليهم  
الاسماع فلا يزالون يلقون من عذب الحديث وجميل القصص ما لو كان هناك  
تدوين للغة العامية لكان في الذروة من نصوصها والقمة من آدابها . وان في  
تراشق امرأتين تحتضمان في أحقر الازقة وأدنى الحارات لروعة لهذا الخصام  
وقوة بيان لمناحيه لا تقل عن مثيلاتها في محاورة أو منافرة مما دون اللغة مثلا  
لقوة العارضة وآية تلى الاقتدار . وهل تجردت حياتنا العامة من حوادث  
تدفع ذا رعاية ورياسة أن يحرض ويستنهض أو يخوف ويسترجع وذا قرابة  
ولحمة أن يوصى ويرشد ويعظ ويذكر أم هل خلت عاميتنا من حكم وأمثال  
تضارع في قوة المعنى وشدة الایجاز نظائرها القديمة وتحتل من قلوب السامعين  
الآن ما كانت تحتله تلك في التقديم إلى لم تخل في نثرها من شيء هو لنراختها  
العربية ولا يمكن كثرة وانتدار السواد عليه صرف الالذهان عن تناقله وروايته  
إلى شعرها الذي خلا من كثير مما حواه الشعر الصحيح فقل قائلوه واستخدم  
دون النثر فيما كان أبقى له وأدعى إلى حفظه من حذاء وغناء مع ما في طبيعته  
فضلا عن تلك الحاجة وهذه القلة من سهولة الحفظ وسرعة الاستدكار

ثم هم يقولون ان الشعر وجد قبل النثر وحين ضاقت أوزانه عن مظاهر  
العقل تحول الانسان منه إلى الشعر ومعنى هذا ان كانت لنا عقول ان العقل  
الشم

الانساني في طفولته كان قديرا على أن يعبر عما يريد بهذا الكلام الموزون المقفى ولا يمكنه بعد أن ترقى وجاوز دور الطفولة والأدوار التي أعقبته، فتم نضجه واستوى ارتد عاجزا عما كان عليه قديرا ولجأ في تعبيراته إلى الكلام المطلق من قيد التنقيص والوزن . ياله حكما عليه من أولئك المخالفين إلا أن يعاند الطبيعة وما اتفق عليه الناس مرغمين دون أن يكون لهم إلى الخلاف فيه لو أرادوه سبيل ولسنا ندرى أئذكرون نتيجة لهذا أن الانسان خاق متحضرا ثم تبدى أم يزعمون أن اللغة وحدها شذت عن هذا الناموس العام أو أن الشعر تلى فرض سهولة التنقيص والوزن خلو من كل منطق وتفكير . الحق أنا لا ندرى عنهم ماذا نقول . فالشعر بالغا ما بلغ من تصور وخيال لاغنى له في ذلك وفي مراعاة وزنه وقافيته عن عقل يسدى وفكر يهدى فما بالنا اذا كان بالفلسفة ناطقا ولادق نزعات العقل مصورا وقديما شبهوه بالدر المنظوم وما كان النظم بغير مجهود وتدبير وقالوا ان من الشعر لحكمة وما خلا منها منذ عرف في سالف الحقب وسابق الزمان

بقيت قالة أخيرة حملهم عليها التسليم ببعض الواقع هي قولهم إنا نقصد بالنثر المسبوق بالشعر النثر الفني ولا يمكنهم في عجز أو تعاجز عن تحديد هذا النوع الذى يريدون لانهم ان أرادوا بالفنية الاجادة التي نطالعها في أنواع المنثور من حكمة ومثل وخطبة ووصية ومفاخرة ومنافرة تلى أن يسلموا للجاهليين في ذلك بما هو مأثور قلنا لهم إن النثر قد بلغ اذن قبل الاسلام درجة لا تقل في مداها وقوة فصاحتها عما وصل اليه الشعر إذ ذاك وأن تلك الدرجة ما كانت لتكون دون أن يضرب النثر في القدم إلى قرون ينعدم فيها الشعر أو يكون طفلا يحبو بينا النثر قائم يجرى على قدمين هذا إلى ما قدمنا من السنة القاضية بسبق البسيط على المركب والبسير على العسير وما تلا ذلك من مناقشة ما يقولون

فان انكروا هذا المأثور كما يدعون رددنا عليهم ذلك الانكار بما لا سبيل لهم معه إلى كلام لانهم يعترفون بما ورد عن صدر الاسلام من كل هذه الانواع ثم يعترفون مع ذلك بما لها من فنية فائقة على هذا الاعتبار ضاربين المثل بكلام رسول الله والصحابة وكثير من المخضرمين فهل كان هؤلاء جميعا قبيل الاسلام من الفهاة بحيث يزعمون ثم اقلبوا بين عشية وضحاها نثرين مهمين ؟ انا ننتظر منهم الجواب. أما إذا حددوا الفنية بالكتابة وأساليبها وصناعة الانشاء ونظمها مما يسوق اليه تحضر الامم ويدفع به تقدم العمران فانهم ينصرفون بذلك التحديد إلى ما انصرف اليه الناس واذن فلا جدة ولا خلاف وان كان ذلك لا يرضيهم لانهم يأبون في هذا شأنهم في غيره إلا أن يكونوا مجددين وذوى خلاف

# النثر الجاهلي

## أقسامه وأنواعه

إذا تتبعنا مادة المنشور الجاهلي لنرى كيف تتألف الألفاظ وتترابط أجزاءؤها نجد أن منها ما تحرر من كل قيد فأطلق النثر الكلام فيه اطلاقاً وأرسله رسالاً ومنها ما فصله جملاً يزوج بين كل اثنتين أو أكثر منها ومنها ما أضاف فيه إلى هذا الازدواج اتحاد التقفية في الفواصل فهو إذن ثلاثة أقسام قسم خلا من الازدواج والتقفية هو المرسل وآخر كان فيه الازدواج في الفواصل دون التقفية هو المزدوج أو المفصل وثالث ضم إلى الازدواج التقفية هو المسجوع ولا حاجة بنا بعد الذي تقدم في سبق النثر على الشعر أن نقول هنا إن المرسل لا بد وجد قبل المزدوج وهذا تقدم المسجوع فإن ذلك من الضروري المفهوم إنما الحاجة أن نقول إن السجع إحدى الحلى اللفظية ذات التأثير البين إذا جاء عفواً غير مقصود ولذا التزمه السكبان والبرافون وأطالوا فيه لحسن وقعته على الأسماع وشدة تأثيره في الطباع وسيتمضح كل هذا فيما سنسوقه من نماذج لأنواع النثر فله أنواع كما للشعر فنون هي الحكيم والأدب والتمثال والمفاخرات والمنافرات، والخطب والوصايا، وهما هي ذى

## ١ — الحكم والأمثال

الحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به. والمثل قول محكي سائر يقصد منه تشبيه الذي حكى فيه بالذي قيل لأجله وهما صورة للكلام تصل إلى

الغاية المقصوى في البلاغة من حيث إيجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن البيان  
فترتاح اليها الطباع وتندشط لحفظها النفوس وتميل إلى الاحتجاج بها العقول  
لأنها تورث الكلام رواجاً وتكسبه حسناً وقبولاً. وكما تكون الحكم والأمثال  
نراها تقعان شعراً وأكثهما في النثر أو في عددنا وأكثر دورانا ولذلك عدا  
من أنواعه لامن فنون الشعر

ولقد فاضت الحكمة على ألسنة الكثيرين من العرب لما أفاض الله على هذه  
الامة في بداوتها من سلامة الفطرة وربحان الفكر فكثر فيهم العقلاء الذين  
تفجرت ينابيع الحكم على أيديهم نهر فوا بالحكمة وانصاع اليهم السادة والاشراف  
للتقاضى في المنافرة وفض المنازعة في الخصومات فكان قولهم مرضيا وحكهم  
حنما مقضيا نذكر منهم على سبيل التمثيل أكرم بن صيفى التميمى وعامر بن الطرب  
العدوانى

١

فأكرم كان من حكماء تميم وحكامها ذا فصاحة وبيان وعلم بالانساب  
والاخبار ومن حكمه. ويل للشجى من الخلى ، ويل لعالم أمر من جاهله ، مقتل  
الرجل بين فكيه ، إن قول الحق لم يدع لى صديقا ، فى طلب المعالى يكون  
العناء ، لم يذهب من مالك ما وعظك ، يشابه الامر إذا أقبل فاذا أدبر عرفه  
الكيس والاحق ، نعم هو المرأة المغزل . وقد كان جل كلامه فى المجمع  
مبنيا على الحكمة وضرب المثل كما هى الحال فى خطبته أمام كسرى فى وفود  
العرب وفى وصاته لقومه حين ظهر النبى صلى الله عليه وسلم ولبنيه حين حانت  
وفاته فقد جاءت كلها ملائى بالحكم الناصفة والعظات البالغة

وعامر كان من حكماء قيس وذوي المكانة فيها ومن كلامه. رب أكلة تمنع  
أكلات ، رب زارع لنفسه حاصد سواه ، الرأى نائم والهوى يقظان ،

ويل آملها نصيحة لو كان من يقبلها ، من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعها له وكان الباطل أولى به ، من طلب شيئا وجدده وان لم يجده أوشك أن يقع قريبا منه ، إن مع السفاهة الندامة والعقوبة نكال وفيها ذمامة ، لو كان يميت الناس الداء لأحياءهم الدواء

ويوجد غير هذين حكماء كثيرون وحكميات كغيلان بن سلمة الثقفي وربيعه بن حذار الاسدي وسلمى بن نوفل الكناني وعمرو بن حممة الدوسي وذى الاصبع العدواني وكهند بنت الخس الايدية ، وحذام بنت الريان اليمنية. ومن أقدم حكماء العرب لقمان وينسب اليه من الحكم. رب أخ لك لم تلده أمك ، الصمت حكم وقليل فاعله ، آخر الدواء السكى. ولكن العبرانيين ينازعون العرب فيه ويدعون له لأنفسهم ويروون له حكما في كتبهم وليس لأحد الطرفين دليل حاسم ضد الآخر كما أن كثيرا من الحكم نسبت اليه على سبيل الشهرة لا التحقيق لجيئها غفلا من النسبة إلى ذويها والصعوبة القطع في معظم الحكم بنسبتها إلى قائلها لكثرة تردها على الالسنه وتداول الاستشهاد بها في الكلام

هذا وكما كانت العرب قديرة على قول الحكم كانت كذلك وأقدر في ضرب الامثال فليس بينهما من فرق سوى أن المثل لا بد فيه من أصل واقع ينقل عنه وقد يفرض له ذلك الاصل فرضا إذا صدر عن حيوان أو نبات أو جماد وتعرف أمثال النوع الاول بالحقيقية والثانية بالفرضية . والامثال بنوعها مرعاة ترينا أحوال الامة في كثير من نواحيها وميزان نزن به إلى قدر أدبها ولغتها ورقبها وانحطاطها

ولقد عني السلف عناية كبيرة بتدوين الامثال. ومن خير ما وصلنا في هذا الباب جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ومجمع الامثال لأبي الفضل الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ وهو أنظمها وأوفاهما ففيه أكثر من



ستة آلاف مثل رتب على حروف المعجم وفي آخر كل باب منها ما جاء على  
أنه للعرب ثم للمولدين وهذا بعض من كل نوع

### الامثال الحقيقية

١ — تجوع الحرة ولا تأكل بمديها . يضرب في صيانة الشخص نفسه  
عن خسيس الكسب وهو للحارث بن سليل الاسدي يقوله لامرأة  
تزوجها على كبر منه وهي شابة فلما بنى بها بكت فقال المثل  
وطبقها .

٢ — الحديث ذو شجون . يضرب للقول يجر بعضه بعضا وقائله  
أد بن طابخة

٣ — سبق السيف العدل . يضرب للفئات يستحيل تداركه وقائله ضبة  
ابن أد بن طابخة

٤ — ما يوم حليلة بسر . يضرب في كل أمر متعارف مشهور وقائلته  
حليلة بنت الحارث بن أبي شمر الغساني وكان أبوها وجه جيشا  
الى المنذر بن ماء السماء الذي فآخرجت للجنود طيبا طيبتهم به وكان يوما  
مشهورا فقالت المثل

٥ — قطعت جبهة قول كل خطيب . يضرب لمن يقطع على الناس ما هم  
فيه بحماسة يأتي بها وسببه أن قوما اجتمعوا يخطبون في صاح بين  
حينين قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ويسألون الرضا بالدية ويبناهم  
في ذلك جاءت أمة يقال لها جبهة قائلة (إن القاتل قد ظفر به بعض  
أولياء المقتول فقتله) فقالوا عند ذلك هذا المثل .

٦ — إن أخاك من وإساك . يضرب في الحث على مراعاة الاخوان وقائله  
خرم بن نوفل الهمداني .

٧ — ان العوان لا تعلم الخمرة . يضرب للعالم بالادر المجرب له والعوان المرأة النصف بين الفارض والبكر والخمرة هيئة الاختار وهو لبس الخمار

٨ — ان خيرا من الخير فاعله وان شرا من الشر فاعله : يضرب في الحث على فعل الخير والبعد عن الشر وقد ورد على لسان واعظ لعمر و ابن هند

٩ — ان غدا لناظره قريب . يضرب في الامر يرجي قرب وقوعه وقائله قراد بن أجدع للنعمان بن المنذر حين قال له ما أراك الا هالك غدا فقال المثل

١٠—١٩ هذا وقد تستتبع الحادثة الواحدة ضرب أمثال عدة ومن أجمع الحوادث في ذلك ما رووه في أصل المثل ( ثكل أرامها ولدا ) من أن رجلا يقال له ييهس كان سابع سبعة إخوة فأغار عليهم ناس بينهم وبينهم حرب في ابل لهم فقتلوهم الا ييهس هذا تركوه لانه كان يحمق وكان أصغرهم ولم يشاءوا أن يحسب عليهم رجلا ثم انهم نحرروا جزورا وكان اليوم قائظا فقالوا ظللوا للحكم لا يفسد فقال ييهس ( اكن بالاثلاث لحم لا يظلل ) فذهبت مثلا ولما أخذوا يشوون ويأكلون قال أحدهم ما أطيب يومنا هذا وأخصبه فقال ييهس ( اكن على بلدح قوم عجفي ) فذهبت مثلا ثم أتى ييهس أمه فأخبرها الخبر فقالت وما أتى بك من بين اخوتك فقال ( لو خبرت لا خبرت ) فأرسلت مثلا ولما أخذت أمه تعطف عليه وترق له قال الناس لقد أحبت أم ييهس ييهسا فقال ( ثكل أرامها ولدا ) فذهبت مثلا ثم ان أمه أخذت تلبسه ثياب اخوته فيلبسها ويقول

( حبذا التراث لولا الذلة ) وهذا مثل أيضا وحدث أنه مر على نسوة يصلحن عروسا لاهدائها إلى بعض قتلة إخوته فرفع ثوبه حتى غطى رأسه فقلن له ويحك ما تصنع يا بهيس فقال ( البس لكل حالة لبوسها إما نعيمها وإما بوسها ) فذهبت مثلاً ثم إنه جلس مرة يأكل وحده ويقول ( حبذا كثرة الأيدي في غير طعام ) فأرسلها مثلاً وقالت أمه لا يطلب هذا بثأراً أبداً فقالت لها امرأة سمعتها ( لا تأمني لاحق وفي يده سكين ) فذهبت مثلاً ثم إنه علم أن أناساً من أشجع ومنها قتلة إخوته في غار فجاء إلى خال له يدعى أبا حنش فقال له ( هل لك في غنيمة بارده ) فأرسلها مثلاً ثم انطلقا حتى إذا كان على باب الغار دفع بخله وقال ضرباً أبا حنش فقال من في الغار إن أبا حنش ليطل فقال أبو حنش ( مكره أخاك لا بطل ) فذهبت مثلاً كان العاشر في هذه الحادثة

#### الامثال الفرضية

١ — كيف أعادوك وهذا أثر فأسك . تزعمه العرب على لسان حية كانت في واد فنهشت رجلاً فقتلته فذهب أخوه ليقبض منها فهاهنته على أن يتركها وتعطيه كل يوم ديناراً ومكثا على ذلك دهرًا ولما أئثر الرجل ذكر أخاه وصمم على قتل الحية واكتمه لما ضربها بفأسه أخطأها وأثرت الفأس في باب جحرها ثم إنها قطعت عنه الدينار فندم فقال لها هل لك في أن نتواثق ونعود إلى ما كننا عليه فقالت ( كيف أعادوك وهذا أثر فأسك ) فذهبت مثلاً يضرب لمن لا يجاب إلى عهد لظهور آثار غدره

٢ — إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض . يروى على لسان ثور من ثلاثة أبيض وأسود وأحمر كن في أجمة ومعهن فيها أسد لا يقدر على أحدهن منهن لا اجتماعهن فقال يوماً للأسود والأحمر لو تركتاني أكل الأبيض لصفت لنا الأجمة لأن لونه مشهور يدل علينا فقالا دونك فكله فأكله

وبعد أيام قال للأحمر لوني لونك قد عني آكل الأسود لتصفو لنا الالجمة  
فقال دونك فكله فأكله حتى إذا كانت أيام أخر قال للأحمر اني آكلك  
لا محالة فقال ولكن دعني أنادي ثلاثا قال افعل فنادى ( إنما أكلت يوم  
أكل الثور الأبيض ) فأرسلها مثلا يضرب لمن يسلم في أعوانه فيكون في  
هذا التسليم هلاكه

١١-٣ هذا ومن الحوادث الفرضية ما يستدعى صدور جملة أمثال كما تقدم في  
الحقيقة ومن ذلك ما تزعمه العرب من أن أربنا التقطت ثمرة فاختلسها  
الشعب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقامت الأربن يا أبا الحسل قال ( سميعا  
دعوت ) قالت أتيناك لنختصم إليك قال ( عادلا حكما ) قالت فاخرج  
الينا قال ( في بيته يؤتى الحكم ) قالت اني وجدت ثمرة قال ( حلوة فكليها )  
قالت فاختلسها الشعب قال ( لنفسه بضى الخير ) قالت فاعطته قال ( بحقك  
أخذت ) قالت فلطمني قال ( حر انتصر ) قالت فاقض بيننا قال ( قد  
قضيت ) ثم قال ( حدث حديثين امرأة فان لم تفهم فأربعة ) فهذه تسعة  
أمثال على اسان الضب يضرب كل منها في مثل ما قيل لاجله وهي  
مروية في مضرب المثل ( في بيته يؤتى الحكم ) وفي هذا القدر من  
الامثال كفايه

## ٢ — المفاخرات والمناقرات

المفاخرة كلام يحرى بين اثنين أو أكثر أو على انفراد تمدحا بالخصال  
ومباهاة بالاصول وكان للعرب بها ولع شديد وافتنان كبير لانهم كانوا قبائل  
وطبونا بينهم من التناحر والتناز ما أجمع فيهم نيران الحروب وجعل كلاً على  
تمام علم بما آثره ومخازى سواه فتناوهم النزوع إلى المفاخرة من التهمة إلى القاع

فما بينهم وبين غيرهم من الأمم كالفرس والروم وبين أنفسهم في يمن  
ونزار ثم في ربيعة ومضر وفي بكر وثقالب من ربيعة وقيس وتميم من مضر  
وكذلك بين قبائل اليمن بعضها وبعض وهكذا لم يزل يتفعل التماخر في بطونهم  
وأفخاذهم حتى تناول ابني العم في العشيرة الواحدة فكان على أشده وفي منتهاه.  
وكانت المفاخرة نوعا متميزا من أنواع المنشور وكالمفاخرة المنافرة وهي مثلها  
وأشد في هذا الباب كان الرجلان إذا تنازعا النخز وادعى كلاهما الفوق على  
صاحبه نفرا إلى حاكم يرضيانه ليقضى بينهما فن فضله على صاحبه كان  
له غم الحكم وعلى صاحبه غم الجمل المفروض من الابل أو غيرها وكلا  
النوعين كثير الأمثلة والوقائع

فمن المفاخرة ما روى من أن كسرى قال للنعمان بن المنذر يوما هل في العرب  
قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال فبأي شيء قال من كانت له ثلاثة آباء متواليه  
رؤساء ثم اتصل بكمال الرابع فالبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه قال فاطاب ذلك فطلبه فلم  
يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وآل حاجب بن زرارة التميمي وآل بسطام  
ابن قيس الشيباني وآل الأشعث بن قيس الكندي فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من  
عشائرهم عند كسرى وقال ليتكلم كل رجل منكم بما أثر قومه وليصدق فكان  
حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم وكان ألسن القوم فقال قد علمت العرب  
أن فينا الشرف الأقدم والعز الأعظم وما أثر للصنيع الأكرم فقال من حوله  
ولم ذلك يا أخا فزارة قال ألسنا الدعائم التي لا ترام والعز الذي لا يضم قيل له  
صدقت ثم قام الأشعث بن قيس قبل ربيعة وتميم لقرايته من النعمان فقال قد علمت  
العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر وزحفها الأكبر وأنا غياث الكربات ومعدن  
المكرمات فقالوا ولم يا أخا كندة قال لا نا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه

وتقلدنا منكبه الاعظم وتوسطنا بجوحه الاكرم. ثم قام بسطام بن قيس فقال  
قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول ودغرس عزها الذي لا يسول قالوا  
ولم يا أخا شيبان قال لا أنا أدركهم للشار وأضربهم للملك الجبار وأقومهم للحكم  
وألدهم للخصم. ثم قام حاجب بن زرارة فقال قد علمت العرب أنا فرع دعامتها  
وقادة زحفها قالوا ولم يا أخا تميم قال لا أنا أكثر الناس عديدا وأنجبهم طراوليدا  
وأنا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقل وبعدئذ قام قيس بن عاصم السعدي فقال لقد  
علم هؤلاء أنا أرفعهم في المسكرات دعائم وأثبتهم في النائبات مقادير قالوا ولم  
يا أخا سعد قال لا أنا أدركهم للشار وأمنعهم للجبار وأنا لا ننكل إذا حملنا ولا  
نرام إذا حملنا. فقال كسرى حينئذ : - ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه وأسى  
حباءهم وأكرم ما بهم

ومن المنافرة ما كان بين خالد بن مالك النهشلي والقعقاع بن معبد بن زرارة  
التميمي فقد تنافرا إلى أكرم بن صيفي أيهما أكرم وجعل بينهما مائة من الابل  
تكون على المفضل فطلب اليهما أكرم أن يرجعا عما جاءا إليه فأبيا فكره أن  
يحكم بينهما ولاكنه حبس الابل وبعث بهما إلى ربيعة بن حذار الاسدي  
ليقضى بينهما فلما قدما عليه وأخبراه بما جاءا من أجله قال هاتيا مكارمكما  
فقال خالد أعطيت من سأل وأطعمت من أكل ونصبت قدوري حين وضعت  
الساك ذيوها وطعنت يوم شوا حط فارسا فجلالت فيخذه بفرسه فقال وما عندك  
ياقعقاع فأخرج قوس حاجب بن زرارة وقال هذه قوس عمي حاجب رهنها  
عن العرب ووفى بها وهاتان نعلا جدى زرارة قسم فيهما أربعين مرباطا وهذا  
زربيه لم ير ناره خائف إلا أمن ولم يمك بطنه فسطاطه أسير الافك فنادى  
ربيعة بن حذار إن السماحة واللهى والمرباع والشرف الاسبع للقعقاع ألا انى  
نفرت من كان ابوه معبدا وعمه حاجبا وجده زرارة

هذا وكثير ما كان يعمد الحكم الى الصالح بين المتنافرين تفاديا للشر وحسما  
للخلاف فيقع كلامه فيهما من أروع الخطب في الدعوة الى السلام والاعتصام  
بجبل المودة والوئام ومن ذلك ما كان من هاشم بن عبد مناف في خزاعة  
وقريش حين نفرتا اليه فقد خطبهم بما أذعن له الفريقان بالطاعة قال :-

أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسماعيل وبنو النضر بن كنانة وبنو  
قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم . لنا ذروة الحسب والنسب ومعدن  
المجد ولكل في كل حلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته الا مادعا الى عقوق  
عشيرة وقطع رحم <sup>كفصن</sup> يابني قصي أنتم كفصن شجرة أيهما كسر أوحش صاحبه والسيوف  
لا يصان إلا بعمده وراعى العشيرة يصيبه سهمه ومن أمحكه اللجاج أخرجه  
إلى البغى .

أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سؤدد والجهل  
سفه والايام دول والدهر غير والمرء منسوب إلى فعله ومأخوذ بعمله فاصطنعوا  
المعروف تكسبوا الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء واكرموا المجلس يعمر  
ناديكم وحابوا الخليط يرغب في جواركم وأنصفوا من أنفسم يوثق بكم .  
وعليكم بمكارم الاخلاق فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنية فانها تضع الشرف  
وتهدم المجد وإن نهمة الجاهل أهون من حزيرته ورأس العشيرة يحمل أثقالها  
ومقام الخليم عظة لمن انتفع به

فقالوا رضيينا بك أبا نضلة وكانت كنيته وتصالها

ومما يذكر عن هاشم بن عبد مناف في المنافرة أن أمية بن عبد شمس لما  
حسده مكانته في قريش طلب منافرته فكره ذلك ولكن قريشا أكرهته  
عليها فتنافرا إلى أحد كهان خزاعة على خمسين ناقة سوداء تنجر بمكة وعلى  
الجللاء منها عشر سنين فلما نزلوا على الكاهن ابتدرها بقوله . والقمر الباهر

والكوكب الزاهر والغيام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بهلم مسافر  
من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر فقال أمية من انتكاث الزمان  
أن جعلناك حكما فقال له تنافر رجلا هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة  
وأحسن منك وسامة وأقل منك لآمة وأكثر منك ولدا وأجزل منك صفدا  
ونقرها شما فأخذ هاشم الابل فنهحرها وأطعمهم وخرج أمية إلى الشام فمضى  
بها الاجل المضروب. ويذكر المؤرخون أن هذه المنافرة كانت بمثابة التسجيل  
لما كان من عداوة راسخة بين أمية وهاشم ورثها عنهما بعد الابناء والاحفاد

### ٣ - الخطب والوصايا

منشأ الخطابة . أغراضها . تأثيرها . منزلتها

تفرقت العرب في باديتها المترامية الاطراف الواسعة الاكناف قبائل متشعبة  
تتمسك كل منها بعصبيتها ونعرتها وتحرص على عزتها وكرامتها وتنقاد إلى  
رئيس هو ملاك أمرها وقوام شأنها ترى فيه رمزا لفتها وعنوان مجدها وتختاره  
من أكرم العناصر فيها وأقدرهم على التفاهم معها حتى يكون قلبها النابض ولسانها  
الناطق يهيب بهم في كل حادث ويجمعهم لكل خطب فيكون له كلام ومنهم  
استماع . ومن ثم كان من ألزم سمات الرئيس وأظهر الصفات فيه مقدرته على  
القول وتعلل كما زمام البيان فنشأت الخطابة سليقة في الرؤساء ونبع فيهم من  
مصانع الخطباء الجرم الغفير حتى كان لكل قبيلة خطيب

فالخطابة اذن وليدة حاجة العرب الطبيعية ونظام عيشهم الاجتماعي ولقد  
رفع من شأنها فوق ذلك كثرة الدواعي اليها وانتشار الامية بينهم حتى كانت  
وحدها مفزعهم واليها إذ لا كتابة مرجعهم



فبها كانوا يحرمون على القتال وشن الفارات والأخذ بالتأرب وبت الحية  
فى النفوس وتحبىب الموت إلى الجبان فى بيثة تتطلب منهم ذلك كل وقت وأن.  
وبها كانوا يدعون إلى السلم كلما اكتوبروا بشار الحرب فلا يزال خطيبهم يفيض  
فى أضرار القتال ومنافع السلام حتى ينزع ما فى صدورهم من غل ويستل ما  
بنفوسهم من حقد فاذا هم قد أخذوا إلى السكون وعادوا أخوانا وادعين ولو  
إلى حين

وبها كانوا يتآمرون بالمعروف إذا نصب معينه ويتناهون عن المنكر إذا  
زخر تياره فيحببون فى الخير ويبغضون فى الشر ويوصون باقتناء المحامد والتخاق  
بالمكارم . وكثير من خطبائهم كان دأبه العظة والاعتبار وحمد التذكير والالاباة  
ليخلص النفوس من أرجاسها ويظهر القلوب من أدرانها

وبها كان تفاخرهم بالاحساب والانساب وتكاثرهم بالاموال والأولاد  
وتباهيهم بالمقدرة على الكلام لمجرد الكلام والدلالة على فوقهم فى الفصاحة والبيان  
فى كثير من المجامع والاسواق

وبها كانوا يؤدون واجب السفارات بين بعضهم وبعض أو بينهم وبين  
مجاورهم فى الاشياء العامة من تأمين سبيل أو إجارة تجارة أو تهنة أو تعزية  
فلا يزالون يختارون للسفارة أغنائهم بيانا وأوضيحهم برهانا وأحضرهم بديهة  
وأقواهم ارتجالا مسوقين فى ذلك بحكم أميتهم وتعذر طرق الوصلة ببلادهم  
مما لم يدع للكتابة مجالا عندهم

على أن من أغراض الخطابة فوق ما تقدم ما كان فى الاملاك من خطيب  
يلقى لربط أواصر المصاهرة بين العشائر وتحبىب المخطوب اليهم فى المخطوب لهم  
بذكر فضائل الآخرين وأنهم للاولين أهل وأكفاء

ولما كانت أغراض الخطابة على ماسلف ذات اتصال وثيق بحياة العرب  
وفي المكاة السامية من نفوسهم كان الخطباء يحفلون بخطبهم ويقبلون عليها من  
كل نفوسهم فيتخيرون لها من المعاني أشرفها ومن الالفاظ أفصحها لتكون  
أشد وقعاً على النفوس وأبعد تأثيراً في القلوب وأيقظ للهمم وأحث على العمل  
فان الاذن للكلام البليغ أصغى والطبع إلى المعنى الشريف أميل والكلام إذا  
صب في قالب من البلاغة محكم الصوغ جذاب الشكل عظم اقبال السامعين على  
ما يرغب فيه الخطيب ان كان يحب واشتد تفارهم عما يرغب عنه ان كان  
يحذر ولو كانوا قبل استماعه على غير ما يريد وليس ذلك بالمبالغ فيه فان من  
البيان لسحرا

ثم لم يفت الخطباء أن يتعودوا في خطبهم كل ما يفتح من هذا التأثير ويزيد  
في شدته كأن يقف الخطيب على شرف من الارض حسن الزى مخصوص  
العمامة معتمداً على قوسه ييساره وفي يمينه عصاه وأن يكون جهر الصوت حسن  
الايقاع صائب الاشارة تام الوقار إلى غير ذلك مما يباغ بالخطابة غايتها من  
نفوس السامعين وبالقول نهايته في قلوب الشاهدين

وإذا كان للخطابة على حاجة العرب اليها وقصرها على السادة الأشراف  
منهم تلك الأغراض في نبليها وهذا التأثير في قوته فلا غرو أن كانت منزلتها  
أشرف منزلة ومكانتها أسمى مكانة وأن كان الخطيب في كل قبيلة المرجع الذي  
اليه يرجعون وعنه يصدرن لما أمده به رياسته وهداه اليه بيانه وهل لدى  
رياسة ما غنى عن قول ونزوع عن بيان فما بالنا إذا كان في بداوة ليس فيها ما قد  
يغنى الحضري عن الكلام وفيها ما يدعو به إلى أن يقول ويطيل وهل لغير  
ذلك كان الرسل عليهم السلام مقاول خطباء ولا مرما غير هذا قال جل شأنه  
عن لسان موسى عليه السلام « وأخى هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي

ردءا يصدقنى إني أخاف أن يكذبون »

وكان لخطب الوصايا إلا أن الخطب أوسع دائرة وأبعد مدى فهي للمشاهد والمجامع والايام والمواسم والتفاخر والتنافر ومن الوفود في كل مهم لدي الملوك والامراء والسادة والكبراء بينما الوصايا لاتعدو قوما مخصوصين في أمر مخصوص كأن تصدر من سيد لعشيرته أو أب لبنية أو امرأة لابنتها أو أكثر ما نكون عند الاحساس بدنو أجل أو توقع فرقه . وهذى نماذج للنوعين في كل ما ذكر من أغراض

فمن خطب التحريض على القتال والثبات في الميدان خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني في قومه بكر يوم ذى قار وقد تقدمت في الايام

ومن خطب الدعوة إلى الصلاح والجنوح للسلام خطبة هاشم بن عبد مناف في خزاعة وقريش حين تنافرتا إليه وقد تقدمت في المنافرات وهي بعينها شاهد على خطب التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر

ومن خطب العظة والاعتبار خطبة المأمون الحارثي في نادى قومه وهي كما رواها صاحب الامالى عن جماعة آخرهم أبو عبيدة قال :

قعد المأمون الحارثي في نادى قومه فنظر إلى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا ثم قال :

أرعوني أسماكم وأصفوا إلى قلوبكم يبلغ الوعظ منكم حيث أريد طمح بالاهواء الاشر وران على القلوب الكدر وطخطخ الجمل النظر إن فيما نرى لمعتبرا لمن اعتبر . أرض موضوعة وسمااء مرفوعة . وشمس تطلع وتغرب ونجوم تسرى فتعزب . وقمر تطلع والنجوم وتمحقه أديار الشهور . وعاجز مثر وحول مكدر وشاب مختضر ويفن قد غبره وراحلون لا يؤوبون وموقوفون

لا يفرطون . ومطر يرسل بتقدير فيجيح البشر ويورق الشجر ويطلع الثمر وينبت  
 الزهر . وماء يتعجر من الصخر الأير فيجسدع المدر عن أفنان الخضر فيجيح  
 الأنعام ويشبع السوام وينمي الأنعام . إن في ذلك لاوضحح الدلائل على  
 المدبر المقدر البارئ المصور . يأبى العقول النافرة والقلوب النائرة أني توفكون وعن  
 أي سبيل تعمهون وفي أي حيرة تهيمون وإلى أي غاية توفضون . لو كشفت  
 الاغشية عن القلوب وتبطلت الغشاوة عن العيون لصرح الشك عن اليقين وأفاق  
 من نشوة الجهالة من استولت عليه الضلالة

ومن خطب التماخر ما تقدم في المتأخرات لبيوتات العرب ومن طواها  
 خطبة النعمان بن المنذر عند كسرى وعنده وفود الأمم الاخرى وقد فضلهم  
 على العرب ومثلها خطب الوفد الذي بعث اليه عقب ذلك وكلها بالعدد الفريد  
 لابن عبدربه

### خطبة المطلب

ومن خطب السفارات خطبة عبد الملك بن هاشم في وفد قريش إلى سيف  
 ابن ذى يزن باليمن حين ظفر بالحبشة وأنت اليه وفود العرب لتهنئته ومدحه قال : —  
 ان الله أحلك أيها الملك محمدا رفيعا صعبا منيعا شامخا باذخا وأنتك منبتا  
 طابت أرومته وعزت جرثومته وثبت أصله وبسق فرعته في أكرم موطن  
 وأطيب معدن . وأنت أبيت اللعن ذلك العرب وربيعها الذي ينحصب به وأنت  
 أيها الملك رأس العرب الذي اليه تنقاد وعمودها الذي عليه العباد ومعقلها الذي  
 تلجأ اليه العباد . سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خليف فلن نخجل ذكر  
 من أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه . ونحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة  
 بيته أشخصنا اليك الذي أبهجتنا لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهنئة  
 لا وفد المزرئة

ومن خطب الاملاك خطبة أبي طالب بن عبد المطالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها وهي من أقصدها خطب الجاهلية قال : —

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكم على الناس . ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجداً ونبلا . وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعاريه مسترجعة . وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتهم من الصداق فعلى ومن وصايا السادة لعشائريهم وصاة اكتم بن صيفي التميمي لقومه قال : —

يا بني تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي . ان بين حيزومي وصادري لكلاما لا أجد له مواقع إلا اسماعكم ولا مقار إلا قلوبكم فتلقوه بأسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا مغيبته . الهوى يقظان والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزال ومن سمع سمع به ومصارع الرجال تحت بروق الطمع ولواعتبرت مواقع المحن ما وجدت إلا مقائل الكرام وعلى الاعتبار طريق الرشاد ومن سلك الجدد أمن العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويؤثر غيظه ولا يتجاوز مضرته نفسه . يا بني تميم الصبر على جرع الحلم أعذب من جناء ثمر الندامة ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان أنكى من كالم السنان والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم فاذا نجمت فهي أسد محرب أو نار تلهب ورأى الناصح اللبيب دليل لا يجوز . ونفاذ الرأي في الحرب أجدى من الطعن والضرب

ومنها أيضا وصاة عامر بن الظرب العدواني الذي تقدمت الإشارة اليه مع  
أكرم إذ قال له يومه وقد خشوا موته . إنك سيدا وقائنا وشريفنا فأجبهنا لنا شريفا  
وسيدا وقائلا فقال .

يا معشر عدوان كلتموني بغيا ان كنتم شرفتموني فاني أريتكم ذلك من  
نفسى فاني اكم مثلى . افهموا ما أقول لكم .

إن من جمع بين الحق والباطل لم يجتمع له وكان الباطل أولى به وإن الحق  
لم يزل ينفر من الباطل ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشر عدوان — لا تشمتوا بالذلة ولا تنرحوا بالعزة فبكل عيش يعيش  
الغني مع الغنى . ومن يُرّ يوما يُرّ به . وأعدوا لكل أمر جوابه . إن مع السفاهة  
الندامة والعقوبة نكال وفيها ذمامة . ولليد العليا العاقبة . والنقود راحة لا عليك  
ولانك . واذا شئت وجدت ذلك . إن عليك كما أن لك . ولاكثر الرعب وللصبر الغلبة .  
ومن طلب شيئا وجده وان لم يجده يوشك أن يقع قريبا منه .

ومن وصايا الآباء للابناء وصاة ذى الاصبع العدواني حين احتضر لابنه  
أسيد قال :-

يا بني إن أباك قد فنى وهو حى وعاش حى سُم العيش واني موصيك بما  
إن حفظته بلغت فى قودك ما بلغت فاحفظ عني . ألن جانبك لقودك يحبوك  
وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيء .  
يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم بكرمك كبارهم ويكبر على هودك  
صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك وأنزرجارك وأعن من استعان بك  
وأكرم ضيفك وأسرع النهضة فى الصريح فان لك أجلا لا يعدوك وصن  
وجهك عن مسألة أحد شبتا فبذلك يتم سؤدوك

ومن وصايا النساء لبناتهن ما ذكره الميداني عن المفضل الضبي في المثل  
«ما ورائك يا عصام» ولن نروي منه إلا محل الاستشهاد قال :

لما أرادوا أن يحملوا ابنة عوف بن محم الشيباني الى زوجها الحارث بن عمرو  
ملك كندة قالت لها أمها توصيها : —

أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ولا تكنها  
تذكرة للغافل ومعونة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها  
وشدة حاجتهما اليها كنت أغني الناس عنه ولا تكن النساء للرجال خالقن ولهن  
خلق الرجال. أى بنية إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلقت العن  
الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فأصبح بما لك عليك رقيقا  
ومليكا فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا . يا بنية احملى عني عشر خصا  
تكن لك ذخرا وذكر الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة . والتعهد  
لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا  
أطيب ريح والكحل أحسن الحسن والماء أطيب الطيب المفقود . والتعهد  
لوقت طعامه والهدوء عنه عند منامه فان حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم  
مغضبة . والاحتفاظ ببنيته وماله والارعاء على نفسه وحشمه وعياله فان الاحتفاظ  
بالمال حسن التدبير والارعاء على الحشم والعيال جميل حسن التقدير . ولا تنفسي  
له سرا ولا تعصى له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت  
أمره أو غرت صدره . ثم اتقى مع ذلك الفرح ان كان ترحا والا كتمتاب عنده  
ان كان فرحا فان الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير . وكوني  
أشد ماتكونين له اعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما وأشد ماتكونين له

موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة . واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين  
حتى تؤثرى رضا على رضاك وهواه على هواءك فيما أحببت وكردت والله  
مستبصر لك

هذا وكتب الادب، ملائي بأخبار الخطباء والحكام والموصين وضارب  
الأمثال وذوى الاسجاع من السكينة والعرافين ولا محل هنا للمزيد عما سبقنا  
ففيه الغناء لما أردنا من نماذج على سبيل التمثيل لأنواع النثر وأقسامه فى آن.



## الشعر الجاهلى

### ١ — أولية الشعر عامة ولدى العرب خاصة

ليس للشعر باعتبارِه تلك المعانى المؤثرة التى تشتمل بالشعور وتعبر عن خليجات النفوس وتنساق لهوى الغرائز والميول أولية تعرف فانه بهذا المعنى يكاد يكون مخلوقا مع الانسان منذ أن هبط الى هذا الوجود مجموعة غرائز فطرية يخضع لها فى كل أعماله خضوعا لا يحد منه عقل ولا يقف فى سبيله فكر لان التعقل والتفكر لم يوجد إلا بعد حقبة طال أمدها اكتسب الانسان خلالها من التجارب ما أوجد له عقلا بجوار الغريزة فصارت إرادته مرتكزة عليه بعد أن كانت مسخرة دون تفكير للغرائز الخافزة والميول الدافعة . ولكن ليس مما يسيغه عقل ولا تسمح به سنة أن تكون تلك المعانى قد ظهرت أول ما ظهرت فيما نسميه شعرا بالمعنى الاصطلاحي أى فى قوالب محدودة من الأوزان والقوافى فان هذه القوالب فى كل اللغات أثر من آثار حضارتها والحضارة لا يمكن أن تكون إلا بعد قرون طويلة تقطعها اللغة منذ نشأتها الى حيث تظهر بها أمثال هذه الآثار .

فالمعانى الشعرية وجدت حيث وجدت مطلقة الاسلوب من كل قيد وأخذت فى التدوج الى أن بلغت الغاية التى نرى من قيود ثم جهلت هذه الخطوات الاولى كما جهلت سائر أوائل الاشياء . على أن العقل يكاد يجزم فى لغتنا العربية أن أول خطوة خطاها شعرها كانت متمثلة فى الاسجاع وبعدها كان تساوى الفواصل فيها ثم خضوع هذا التساوى شيئا فشيئا لآلية التفاعيل وبذلك

تحقق الوزن في البيت الواحد مع اتحاد الحرف الاخير في الشطرين كما نراه في منظومات العلوم والفنون وهذا أهون أنواع الشعر . ونلا هذه الحالة التقيد بحرف القافية في الاعجاز مع التحال منه في الصدور وفي خلال ذلك وعلى توالى القرون تنوعت الاوزان وطالت القوافي وبلغ الاقتدار على التقيد مداه حتى وصل الى الارجيز وهى أصعب أنواع الشعر . ومن هذا يفهم أن الشعر العربى لا بد له فى معناه من التأثير المعتمد على الشعور وفى لفظه من التقيد بالوزن والقافية . واذا ما خلا من هذين معاً أو من أحدهما سمى نثراً فحسب أو نثراً شعرياً أو نظماً لا شعراً . فالشعر على اطلاقه هو ما عنيينا وعلى هذا القصد ذكرنا ما ذكرنا آنفاً من أن النثر أسبق منه الى الوجود .

ولما كان المعنى الشعري فطرياً تهدي اليه الطبيعة البشرية إذ لا بد منه للانسان فى التسرى عن نفسه وقت الشدة والتسلى به حين الوحدة ظهر الشعر على ألسنة الامم جمعاء ولم تختص به أمة دون أخرى ولكنها لم تكن فيه سواء فكانت أكثرهن فيه قولاً أصليها له بيئة وأوفقها له لغة . ومن ثم كانت العرب فى جاهليتها من أقدر الشعوب عليه إن لم تكن أقدرها جميعاً فقد قالته رجالاً ونساء شبانا وشيباً سادة وسواداً ولم يعدم أقلهم فيه شأننا الابيات يقدمها فى حاجته أو يعبر بها عن معنى فى نفسه وان لم يك من الملقبين بالشعراء لأن طبيعة العيش البدوي تهدي الى الشعر وتدعو الى الفناء به .

فمن حياة بسيطة ساذجة لا شىء فيها يطفى على الفطرة أو يميث الوجدان بل كل ما فيها ينميها ويزيد من قوتها . فالسماء صافية الرقعة متألقة الكواكب والارض منبسطة الأديم لامعة الرمال متصلة بالعائش فيها تمام الاتصال متجلية له بكل ما عليها من حيوان ونبات . الى رحلة طويلة دائماً لا يفارق العربى فيها راحلته فلا يزال يسوقها وهى تقطع المفاوز والقفار بتلك الحركة

المرقصة كارجوحة الطفل لا تكاد اليد تهزها حتى ينطلق اللسان فيغنيها . كذلك هو انطلق لسانه لراحلته فلم يزل يحدوها بألحان الشعر ويرفع من ورائها عقيرته بأهازيج . ولقد قالوا إن أول ما نشأ من الاوزان الرجز وما الرجز إلا قياس رسمه في مخيلة العرب سير الابل في الصحراء ففاض الشعر على ألسنتهم أول ما فاض بالفاظ هي وتفاعيل الرجز في الوقع سواء .

تهيات للعرب إذن منذ كانت العرب دواعي الشعر بما تهياً لهم من سلامة فطرة وملاءمة بيئة ثم كنف عيشهم ما كنفه من ضنك ومشقة وتفرّد وعزلة فهرعوا اليه يتخذونه لدى الشدائد عوناً وفي الوحدة أنيساً حتى كان لحنهم وهجيراهم شأن ذوى الاعمال المتعبة والخلوة الموحشة لا غنى لهم عن الغناء به ولا محيص . ولقد ذال من مطاوعته لهم حتى صار سلسبيلاً جارياً تلك اللغة الذلول ذات الغنى الكبير في مفرداتها ومرادفاتها والتصرف الاكبر في أساليبها وتراكيبها فنبغوا فيه نبوغاً عدد من أوزانه وأطال في قوافيه وجعله في هذين الامرين ذا منزلة لم يدانه فيها سواه ، وأنى اغيره تلك المداناة دون أن تهياً لغته في مفرداتها وأساليبها لما تهيات له لغة الضاد في التصرف البعيد البديع الذى ممكن لذوى الصنعة اللفظية من الاتيان بأشياء لولاه كانت من المعجزات . وفي مقامات الحريرى من هذا الضرب فنون وألوان ، فمن مقامة تتضمن رسالة إحدى كلماتها معجمة والاخرى مهملة الى مقامة تتضمن أخرى كل كلمة فيها أحد حروفها معجم والاخر مهمل الى مقامة تتضمن رسالة تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه الى مقامة تتضمن عبارات تقرأ طرداً ورداً فلا يغيرها عكس حروفها الى غير هذا مما ليس له نظير ولا شبيه في أية لغة أخرى . وكما كانت العرب فى جاهليتها ذات قدرة على الشعر فائقة وشاملة معاً كذلك كانت من أقدم الأمم المعروفة به . فأولية الشعر عندها تكاد ترجع الى

أوليئتها وهى أمة قديمة العهد ذات صلة بفجر التاريخ . غير أن بدواتها وأميتها حالنا بينها وبين تدوينه بنقش على أثر أو كتب فى كتاب ، فلم يك لها حياله إلا تلميحه بالحفظ والادكار فأخذ يطوى بطي الحقب ويذهب بذهاب الحفظة وهيئات للحفظ وحده أن يبقى معه مآثور على تلك القرون الطوال . لذلك كان الضياع حليف الشعر الجاهلى فلم يسلم لنا منه وراء قرنين قبل الهجرة شىء كما لم يسلم منه فى هذين القرنين بالنسبة لما ضاع إلا القليل .

وأول مآثور عرف كان فى قبائل ربيعة بنجد والعراق وبخاصة تغلب وبكر أيام حرب البسوس ومن أقدم شعرائها ويقال إنه أول من قصد القصيد والصواب أول من عرف له القصيد المهلل وهو عدي بن ربيعة التغلبى أخو كليب الذى هاجت بمقتله بين القبيلتين السالفتين الحرب السابقة فكان لها فى إذكاء الشعر بربيعة الأثر الكبير . ثم تحول الى قيس عيلان وكانت شعوبها تملأ نجدا وأعالى الحجاز . ومن قبائلها عيس وذبيان وبينهما بدأت حرب داحس والغبراء وتناولات معهما الكثير فكان لها من إذكاء الشعر فى قيس ما كان فى ربيعة لحرب البسوس . ومن قيس انتقل الى تميم وتميم مسعر الحروب فاستقر فيها وكانت أول نشوئها فى تهامة ثم نزحت الى شرقى نجد وبادية العراق . ولم يظهر فى مدركة إلا فى بطون سكنت البادية منها كهذيل وأسد وبعض كنانة وقريش وبهذا غلب الشعر على أكثر أهل البادية من مضر وربيعة كما غلب على من ساكنهم بها من نازحى قبائل اليمن القدماء كطيء وكندة وغيرهما مما تقدم بيانه فى القبائل والبطون ، أما الخواضر فكانت قليلة فى ذاتها وكذلك كانت قليلة الشعراء .

وإذا قلنا إن الشعر كان أقدم مما أثر منه بكثير فانا نستند فى قولنا هذا الى العقل والى المآثور ، فأما الى العقل فلا نه يأبى على الشعر الالباء كله أن يظهر

طفرة بذلك المظهر الذى كان عليه أيام حرب البسوس ، وما قصائد مهمل في وصف تلك الحرب وفي رثاء كليب أخيه إلا نتيجة حقب طويلة درج فيها الشعر حتى تم صقاله وتعددت أوزانه واستطالت قوافيه ولا بد أن تكون تلك القصائد مسبوقة بأمثالها في العهد القريب وبشبهات لها في البعيد ، وهكذا القمقرى الى عهد سحيفة كان الشعر فيها في صور المقطعات الصغار . وأما الى المأثور فلا نرى في أقدم الشعراء المروى عنهم من يقول وهو امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل اعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وابن حذام أقدم من امرئ القيس ولم يصل اليها من شعره شيء ولا بد أن يكون قد وقف على الاطلال وبكى الديار كما يريد أن يقف وبكى امرؤ القيس ثم لا بد أن تكون له قصائد افتتحتها بالوقوف والبكاء وصرف يقول فيها بعد الى غير ذلك من الاغراض بهذا كان يدين الشعراء كما مرى القيس للقدماء ألا ترى الى عنزة يفتتح معلقته فيقول :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرف الدار بعد توهم

فنحن اذا انحننا في دراسة الشعر الجاهلى الى القرنين السابقين للاسلام نفعل ذلك مضطرين لا نقطاع الرواية الصحيحة عما قبل هذا التاريخ لان ماروى منه أقرب الى الوضع والاختلاق ، ومن العبث التعرض له بكلام فقد أفرط القصاصون في التوغل بالشعر الى القديم حتى أوصلوه الى العرب البائدة فذهبوا اليها منه الكثير فيما ذكروه عنها من أساطير ناسين أنهم رووه بلغة مضر قبيل الاسلام ومحال أن تتحد ولغة عاد ، على أن ذلك ليس بالغريب عليهم وقد نسبوا الشعر الى آدم وأولاده والى الجن والملائكة والشياطين .

تلك نبعة الشعر عامة ولدى العرب خاصة وإنا لسائقو القول بعدها على الشعر الجاهلى من حيث طبيعته وفنونه ، تسجيله كثيرا من أحوال العرب ، تأثيره ومنزلة رجاله ، طبقات الشعراء ومنزلة اصحاب المعلقات فيهم مع السبب في تسميتها بهذا الاسم ثم منزلة المعلقات نفسها منه إن شاء الله .

## ٢ — طبيعة الشعر الجاهلي وفنونه

نرانا مضطرين قبل التكلم في طبيعة الشعر الجاهلي أن نسوق القول عاما في طبائع الشعر القديم كلة حتى يمكن أن نرجع الشعر المذكور الى الطبيعة التي تلاءمه والتي اليها ينتمى

فان من الشعر ما هو قصصى ينصرف الى القصص فيذكر الحروب والابطال واكمنه لا يقتصر في ذكرها عليهما بل يمزج بهما مناداة الآلهة واستيحاءها فهو شعر اجتماعى تفنى فيه شخصية الشاعر الى حيث لا يراها الانسان ثم هو في لفظه طويل بالغ في الطول تصل القصيدة الواحدة منه الآلاف من الابيات دون أن تتقيد بلون واحد من الوزن والتقفية ، وكثيرا ما تعتمد في انشادها على الموسيقى . وهذا النوع من الشعر يلائم كل أمة في فطرتها الاولى اذا تضامت برابطة اجتماعية تصل بين أفرادها في الدفاع والاغارة وأخرى دينية توحد بينهم في العقيدة ، ولكنها تعدد من آلهتهم ومعبوداتهم كأمة اليونان في القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد .

ومنه ما هو تمثيلى يعتمد على الحوار المصحوب بالحركة والعمل الصادر عن كثير من الاشخاص دون اشتغال على أمثال سأل وأجاب أو قال وقلت فترى المتحاورين فيه يتحدثون وهم يغدون ويروحون يأتون من الاعمال ما يستلزمه هذا الحوار متمدن في أقوالهم على ما هنالك من غناء وموسيقى ورقص وهو في موضوعه أوسع دائرة من القصصى لانه يتناول القصة وغيرها ثم القصة فيه غير قاصرة على الابطال والحروب ولا مقيدة باستيحاء الآلهة وخطابها ولذلك لم يظهر في أمة قديمة إلا نتيجة لرقى عقلى كبير وحياة ديمقراطية صحيحة كأمة اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

وهنه باهو غنائى يخرج عن الدائرة الاجتماعية للقصص والتمثيل الى شخصية الفرد أولا وقبل كل شىء فلا يزال يصور نفسية الشخص وما يتصل بها من وجدان وميل ولا يفتأ صاحبه يعنى نفسه بحبه وبغضه ولذته وألمه . وهو نتيجة ارقى الشخصية الفردية وتحورها من قيود الاجتماع المسيطرة من غير رأى ومن شوائب العقيدة المشتركة والآلهة فى كل عمل . ولذلك كان الرحلة الوسطى لآخويه فى الامم التى وجدت بها المراحل الثلاث كأمة اليونان أيضا فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد .

فطبائع الشعر ثلاثة ونحن اذا عرضنا لاسبابها ومميزاتها نطبقها على العرب فى جاهليتها لا نجد لها تهيات إلا للشعر الغنائى فحسب . نعم كان لها ذكر قوى لا بطلانها ووصف دعرف بحروبها ولكنه لم ينهض أن يسمى شعرا قصصيا لانها قالته غير مطيلة فيه دون أن تنسى شخصيتها أو تستوحى آلهتها . كما كان لها حوار يظهر فى القصيدة بين عاشقين أو متخاصمين ولكنه لم ينهض كذلك أن يسمى تمثيلا ، لان الحوار فيه على ضيق دائرته وقلته لم يتجرد من أمثال قلت وقال ولم يصحب من المتحاورين بالحركة والعمل كما لم يعتمد على ما اعتمد عليه التمثيل من رقص وموسيقى وغناء .

واذن الشعر العربى غناء كله ولكنه فى جاهليته عن طبيعة وبيئة وفى إسلامه عن محاكاة وتقليد وليس يضير العرب من ذلك ضير لان شاعرية الامة لا تقاس بأنواع الشعر بل بالدرجة التى بلغت إنتاجا وقدرة فى النوع الذى تهيات له والامة العربية قد بلغت من الشعر الغنائى مبلغا لم تشاركها فيه أمة أخرى فقد قالته فى كل عصورها فجاء فى عمومها معبرا عن الجمال الفنى المطلق الذى تنشده الانسانية جميعا ليكون صلة بين شعوبها وأجناسها على اختلاف بيئها وعصورها كما جاء فى خصوصه مرعاة تمثل أصدق تمثيل لشخصية الشعراء

وحالة البيئات وحياة الافراد والجماعات حتى انه ليعد من أصدق مصادر التاريخ على اختلاف الامكنة والعصور وحسبه أن أدى رسالته بقوة في هاتين الناحيتين وليس بعد ذلك منال .

هذه طبيعة الشعر الجاهلي فاذا قلنا طبيعته وفنونه فانما نقصد الى الفنون الداخلة في هذه الطبيعة الفنية من نسيب وفخر ورتاء ومدح وهجاء ووصف لا الى أى نوع من النوعين الآخرين وهما القصصى والتمثيلي على أن له أبواباً أخرى ولكن هذه الأبواب الستة أهم فنونه إذ هي الاصلية فيه واليها يكاد يرجع غيرها من وعيد وانذار، استعطاف واعتذار، اقتضاء واستنجاز، ملامة وعتاب الى غير هذه مما يهده الادباء . أما الحكم والامثال فلم تكن بالكثيرة في الشعر الجاهلي كما لم تكن تأتي وحدها قصدا بل غفوا وفي ثنايا غيرها . وهذه كلمة عن كل فن من الفنون الستة متبوعة بنماذج له .

## ١ - النسيب

ويرادفه التشبيب والتغزل وكلها راجعة الى المرأة في وصفها حساً ومعنى واظهار الميل اليها والكلف بحبها مع ما يتبع هذا من التألم لفراقها والتشوق الى اللقاءها الى غير ذلك مما يدل على شدة الصبابة وفرط الوجد وتصورها في كل ذي صلة بها أو مشابهة لها من الديار والاكثار والنبات والحيوان والرياح والبروق . وقد شغل النسيب في الجاهلية مكاناً عظيماً من الشعر ولا يبعد أن يكون أقدم فنونه لقدم علاقة الرجل بالمرأة ولأن حياة البداوة تجعل مشاركتها له مجسمة بارزة ، وهذا الى ما للجل والارتحال الدائبين بتقلب الفصول والايام من خلق أسباب الهوي والهيام لما فيهما من قرب وفراق وتواصل وبعاد . ولذا كثر في العرب العشاق المتيمون أمثال المرقش الاكبر من بكر وائل



واسمه عوف بن سعد وعبد الله بن العجلان من نهد من قضاعة ومالك بن الصمصامة من بني جعدة ومسافر بن أبي عمرو من قريش ثم عروة بن حزام العذري وقد أدرك الاسلام فهو لاء ولهم أمثال وأشباه عاشوا للمرأة وفي المرأة ماتوا وخلص لها شعرهم كما خالص لها حبيهم ثم لم تعد من غيرهم الكثير من الاشعار ان لم يكن قصدا وبالذات ففي مطالع القهائد وكثيرا ما كانت تراجع الغرض منها أو تزيد ويحسن أن نختص تلك المطالع باسم التشبيب وهذا فرق ما بينه وبين التغزل والنسب أما الفرق بين هذين فعلى تعذر حده يمكن أن يقال إن التغزل ما عمد فيه الشاعر الى وصف المرأة مدفوعا الى ذلك بعقيدة أو مسوقا فيه بصناعة والنسب ما توجه فيه الى ذكر الصباقة والوجد وألم الهوى والفراق صادرا في ذلك عن وجدان وشعور لا يكونان الا في المحبين المغرمين ومن هنا كانت كلمة النسب أنسب الكلمات الثلاث لاطلاقها على هذا الفن من الشعر كما اختارناه .

#### نماذجه

قال المرقش الاكبر وهو من الشعراء المتيمين

سرى ليلا خيال من سليمى فأرقنى وأصحباني هجود  
فبت أدير أمرى كل حال واذكر أهلها وهم بعيد  
على أن قد سما طرفى لنار يشب لها بذي الارطى وقود (١)  
حواليها منها بيض التراقي وآرام وغزلان رقة ود  
نواعم لا تعالج بؤس عيش أو انس لا تروح ولا ترود

(١) ذو الارطى مكان والارطى شجر

يرحن معا بطاء المشى بدءا عليهم المجاسد والبرود (١)  
 سكن ببلدة وسكنت أخرى وقطعت الموائق والعهود  
 فما بالى أفى ويخان عهدي وما بالى أصاد ولا أصيد  
 وقال فى ابنة عمه أسماء وهى التى مات بحبها  
 أغالبك القلب اللجوج صباية وشوقا إلى أسماء أم أنت غالبه  
 بهم ولا يعيا بأسماء قلبه كذاك الهوى أمراره وعواقبه (٢)  
 أيلحى امرؤ فى حب أسماء قد نأى بغم من الواشين وازور جانبه  
 وأسماء هم النفس إن كنت عالما وبأدى أحاديث الفؤاد وغائبه  
 إذا ذكرتها النفس ظلت كأنى يززعنى قفقاف ورد وصالبه (٣)  
 . وقال عروة بن حزام العذرى وهو من المخضرمين من قصيدة طويلة فى ابنة  
 عمه عفراء

على كبدي من حب عفراء قرحة وعيناي من وجد بها تكفان  
 فعفراء أرجى الناس عندي مودة وعفراء عنى المعرض المتواني  
 فياليت كل اثنين بينهما هوى من الناس والانعام يلتقيان  
 فيقضى حبيب من حبيب لباية ويرعاها ربي فلا يريان  
 هوى ناقتى خلقى وقداى الهوى واني واياها لختلفان  
 يقول لى الاصحاب إذ يعدلونى أشوق عراقى وأنت يمانى  
 تحمات من عفراء ما ليس لى به ولا للجبال الراسيات يدان

(١) جمع مجسد كمبرد الثوب إلى الجسد وجمع برد كقفل كساء مخطط أو  
 كسبة يلتحف بها واحدتها بهاء (٢) جمع مرضد الحلو (٣) الورد بكسر الواو والحمى  
 أو قفقافها ذو الرعدة منها يذهب ويجىء فاذا استمر فهو الصالب

كان قطاة علقت بجناحها على كبدى من شدة الخفقان  
 جعلت اعراف اليمامة حكمة وعراف نجدان هما شفياني (١)  
 فقالا نعم نشفى من الداء كله وقاما مع العواد يبتدران  
 فما تركا من رقية يعلمانها ولا سلوة الا وقد سقياني  
 وما شفي الداء الذى بي كله ولا ذخرا نصحا ولا ألوانى (٢)  
 فقالا شفاك الله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

٢ — الفخر

هو تمدح الشاعر بنفسه وقومه وذكر ما أثرهم وبنواخهم وأكثر ما تناول  
 الفخر تناول الشجاعة والنجدة والبأس والقوة وإجارة الجار ومنع الحريم واکرام  
 الضيف وإيواء الطارقين وهى خير ما كانت تقدر العرب من صفات وأكثر  
 ما كان يظهر فى حياتهم ويتطلبه عيشهم. وأنسب ما كان يقع الفخر كان يقع من  
 السادة الاشراف والابطال الفرسان ومن جرى مجراهم من الصعاليك المغيرين  
 فمن السادة زهير بن جناب الكلبي من قضاة والحصين بن الحزام من قيس والمهميل  
 بن ربيعة وعمرو بن كلثوم من تغلب والافوه الاودى من مذحج وعبد يغوث  
 من كهلان وعامر بن الطفيل من قيس وأبو قيس بن الاسلت من الاوس  
 وقيس بن عاصم من تميم وقد أدرك الاسلام ومن الفرسان علقمة الفحل من  
 تميم وعنترة العبسى وحاتم الطائى وسلامة بن جندل التميمى وقيس بن الخطيم  
 الاوسى والاغلب العجلي وعمرو بن معديكرب الزبيدى ثم أبو محجن الثقفى  
 وزيد الخيل الطائى وقد أدرك الاسلام ومن الصعاليك المغاوير عروة بن الورد  
 العبسى وتأبط شرا القيسى والسليك بن السلكة التميمى

(١) الاول رباح بن عجله والثانى الابلق السعدى (٢) الى قصر من باب نصر

نماذجه

قال عمرو بن الاطنابة أحد بني الخزرج يفتخر بقومه وهو ممن ملك  
الحجاز في الجاهلية (١)

اني من القوم الذين اذا انتدوا بدءوا بحق الله ثم النائل (٢)  
المانعين من الخنا جاراتهم والحاشرين على طعام النازل (٣)  
والخالطين فقيرهم بغنيهم والباذلين عطاءهم للسائل  
والضاربين الكهش يبرق بيضه ضرب المهج هج عن حياض الابل (٤)  
والقاتلين لدى الوغى أقرانهم إن المنيّة من وراء الوائل (٥)  
والقائلين فلا يعاب كلامهم يوم المقامة بالقضاء الفاصل  
خزر عيونهم إلى أعدائهم يمشون مشى الأعداء تحت الوائل  
ليسوا بأنكاس ولا ميل إذا ما الحرب شبت أشعلوا بالشاعل (٦)  
وقال حصين بن الحمام المري في الصبر

ولما رأينا الصبر قد حيل دونه وأن كان يوم ذا كواكب مظلماً  
صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافتنا يقطعن كفاً ومعضماً  
نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً  
ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الامر الذي كان أحزماً  
فلست بمبتاع الحياة بذلة ولا مرتق من خشية الموت سلماً  
وقال حاتم الطائي في الكرم وما اتصف به من مكارم الاخلاق  
فاني لا آلو بمالي صنيعة فأوله زاد وآخره ذخر

(١) الاطنابة المظلة وهي أمه (٢) انتدوا اجتمعوا (٣) الخنا الفحش  
(٤) الزاجر الابل بقول هج هج (٥) الوائل طاب النجاة (٦) جمع نكس كقرد  
الضعيف ، جمع أميل الاعزل

يفك به العاني ويؤكل طيبا وما إن تعريه القداح ولا الخمر (١)  
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي شهودا وقد أودى باخوته الدهر  
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى وكلا سقانا به كئاسيهما العصر (٢)  
فما زادنا بأوا على ذى قرابة غنانا ولا أزرى بأحسا بنا الفقر (٣)  
وما ضر جارا يا ابنة العم فاعلمى يجاورني ألا يكون له ستر  
بعينى عن جارات قومي غفلة وفي السمع منى عن حد يشهم وقر

وقال عتيبة بن بجير المازني من بنى الحارث بن كعب فى ايواء الطارق

ومستنجح بات الصدى يستتيمه إلى كل صوت فهو فى الرحل جانح (٤)  
فقلت لاهلى ما بغام مطية وسار أضافته الـ كلاب النوايح (٥)  
فقالوا غريب طارق طوحت به متون الفيافي والخطوب الطوارح  
فقلت ولم أجم مكانى ولم تقم مع النفس عللات البخيل الفواضح  
وناديت شبلا فاستجاب وربما ضمنا قري عشر لمن لانصافح  
فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفـ كاهة مازح  
إلى جذم مال قد نم كنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح  
جعلناه دون الدم حتى كأنه اذا عد مال المسكين المنائح (٦)  
لنا حمد أرباب المئين ولا يرى الى بيتنا مال مع الليل رائح  
ومن أحسن ما قيل فى الصعلكة قول عروة بن الورد العيسى المعروف بعروة الصعاليك  
لما الله صعلوكا اذا جرن ليله مصافى المشاش آلفا كل مجزر (٧)

(١) العاني الاسير (٢) غنينا أقننا (٣) البأو التكبر (٤) الجانح المائل  
(٥) البغام صوت فى حنين (٦) المنايح جمع منيحة وهى الناقة أو الشاة تدفع  
إلى الجار ينتشع بلبنتها مادام بها لبن (٧) المشاش بضم الميم رأس العظم ومصافيه  
آخذه كله

يعد الغنى من نفسه كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر  
 ينـام ثقيلًا ثم يصبح قاعداً يحث الخصى عن جنبه المتعذر (١)  
 يعين نساء الحى ما يستهنه فيضحى طليحاً كالبعير المحسر (٢)  
 ولكن صعلوكا صفيحة وجهه كضوء سراج القابس المتنور  
 مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زحر المنيع المشهر (٣)  
 وان بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوف أهل الغائب المنتظر  
 فذلك إن يلق المنية يلقه — أحمدا وإن يستغن يوما فأجدر  
 يريح على الليل أضـحى — ياف ماجد كريم ومـالى سارحا مال مقتر  
 ٣ — الرثاء

هو بكاء الميت وتعدد محاسنه وصفاته في ثوب من التفتيح والحسرة والتلهف  
 والاسى مع استعظام المصيبة واستشعار الجزع إن كان الميت من ذوى الرياسة  
 والاقدار وقد كان من عادة القدماء فيه أن يضربوا الامثال بمن سلف من الانبياء  
 والملوك والامراء والعظماء وبما هلك من العول المعتصمة بقنن الجبال والاسود  
 الخادرة فى ثنايا الغياض وحر الوحش الضاربة فى مجاهل القفار ثم بالنسور  
 والحيات ذات البأس القوى والعمر المديد وأن يخلوه من التشبيب الذى اعتادوا  
 أن يفتتحوا به القصيد فى سائر القنون ماعداه وهو فى الجاهلية ذو شأن كبير  
 لما كان بها من حروب ذات بال لا تفتأ تغتال الشجعان وتلتهم الابطال وقد  
 شاركت النساء فيه الرجال أكثر مما شاركهم فى سائر الانواع لانهن أشجى  
 قلوبا وأشد جزعا لما ركب فى طباعهن من رقة العاطفة وضعف الاحتمال ولعل  
 أول من أكثر فيه وأطال المهمل فى رثائه الكليب أخيه ومن مشهورات المراثى

(١) يحث بفرك (٢) الطليح المعى والمحسر ساقط الوبر من الاعياء

(٣) المنيع القدح لا نصيب له

من النساء قصائد الخمساء في أخويها دعاوية وصخر ولا سيما الاخير على أن هذا الباب قد عم وفاض حتى لم يختص به شعراء كما هي الحال في غيره من الابواب لان الموت شامل والمصيبة على تحريك النفوس بالبكاء ذات قوة واقتدار .

### نماذجه

من أقدم المراثي وأجودها ما كان من مهلهل في أخيه كليب ومن أدلها على استنفذ المصيبة قوله

كليب لاخير في الدنيا ومن فيها      اذ أنت خلقتها فيمن يخليها  
كليب أي فتي عز ومكرمة      تحت السفاسف إذ يعلوك سافيا (١)  
نعى النعاة كليباً لى فقلت لهم      مالت بنا الارض أوزالت رواسيها  
الحزم والعزم كانا من صنيعته      ما كل آلائه يا قوم أحصيا (٢)  
القائد الخيل تردى في أعنتها      زهو إذا الخيل لجت في تاديبها (٣)  
من خيل تغلب ما تلقى أسنتها      الا وقد عضبوها من أعاديها  
يهزهزون من الخطى مدحجة      كتما أنا يبيها زرقا خواليها  
تروى الرماح بأيدينا فنوردها      بيضا ونصدرها حمرا اعاليها  
ليت السماء على من تحتها وقعت      وانشقت الارض فانجابت بمن فيها  
لا أصلح الله منا من يصالحكم      ما لاحت الشمس في اعلى مجاريها

ومن جيد الرثاء مراثي الخمساء بنت عمرو بن الشريد السلمي في أخويها معاوية وصخر فمن مراثيها في معاوية قولها

(١) السفاسف جمع سفسف وهو التراب تسفيه الرياح (٢) جمع ألو كدلو العطية

(٣) تردى كترى ترجم الارض بحوافرها

أريق من دموعك واستقيمتى وصبرا ان أطقت وان تطيقى  
 وقولى إن خير بنى سليم وفارسهما بصحراء العقيق  
 ألا هل ترجعن لنا الليالى وأيام لنا بلوي الشقيق  
 وإذا نحن الفوارس كل يوم إذا حضروا وفتيان الحقوق  
 وإذا فينا معاوية بن عمرو على أدماء كالجلج الفتيق (٢)  
 فبكيه قـد أودى حميدا أمين الرأى محمود الصديق  
 فلا والله لا تسلاك نفسى لفاحشة أنبت ولا عقوق  
 ولكنى رأيت الصبر خيرا من النعلين والرأس الخليق (٣)  
 ومنها فى صخر قولها

أعيف جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندي  
 ألا تبكيان الجريء الجمل ألا تبكيان الفقى السيدا  
 طويل النجاد رفيع العما دساد عشيرته أمردا  
 إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا  
 فنال الذى فوق أيديهم من المجد ثم مضى مصعدا  
 يكلفه القوم ماعا لهم وان كان أصغرهم مولدا  
 ترى الحمد يهوى إلى بيته يري أفضل الكسب أن يحمدا  
 وإن ذكر المجد ألفتته تآزر بالمجد ثم ارتدى  
 وقال أبو ذؤيب الهذلى وتتابع له بنون قويل ثمانية وقيل عشرة وقيل  
 ملكوا بالطاعون والصواب التتابع

(١) كمت حمر فى قنوء (٢) الفتيق الضيخم (٣) كان من عادة النساء  
 حلق الرأس وتعليق النعلين حزنا .



أمن المنون وريبها تتوجع      والدهر ليس بمعتب من يجزع  
 قالت اميمة ما لجسمك شاحبا      منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع (١)  
 ام ما لجسمك لا يلائم مضجعا      إلا أقض عليك ذاك المضجع  
 فأجبتها اما لجسمي انه      اودى بنى من البلاد فودعوا  
 اودى بنى فأعقبوني حسرة      بعد الرقاد وعبرة ما تطلع  
 سبقوا هوى واعنقوا لهواهم      فتخرموا ولكل جنب مصرع  
 فعبرت بعدهم بهيش ناصب      وإخال أنى لاحق مستتبع (٢)  
 ولقد صرحت بأن ادافع عنهم      وإذا المنية أقبلت لا تدفع  
 وإذا المنية انشبت اظفارها      الفيت كل تيممة لا تنفع  
 فالعين بعدهم كان جفونها      سميت بشوك ففى عور تدمع (٣)  
 وتجلدى للشامتين اريهم      أنى لريب الدهر لا تضضع  
 حتى كائن للحوادث مروة      بصفا المشقر كل يوم تفرع (٤)  
 لا بد من تلف مقيم فانتظر      بأرض قومك أم بأخرى المضجع  
 ولقد أرى أن البكاء سفاهة      ولسوف يولع بالبكا من يفجع  
 وليأتين عليك يوم مرة      يبكى عليك مقنعا لا تسمع  
 والنفس راغبة إذا رغبتها      وإذا ترد إلى قليل تقنع  
 كم من جميعى الشمل ملتئمى الهوى      كانوا بهيش ناعم فتصدعوا

(١) اهملت نفسك ولبست المبتذل من الثياب (٢) غبرت بقيت ومضيت  
 فهو من الاضداد (٣) سميت فقئت (٤) المروة حجير أبيض براق والصفاء  
 واحده صفاء وهى الحجير الصلد الضخم والمشقر الجبل تضرب حجارته إلى  
 الشقرة .

فلئن بهم فجع الزمان وربيته إني بأهل مودتي لنفجع  
وهي طويلة ولا كنه بعد هذا أخذ يضرب الامثال بما لم يترك الموت من أنواع  
الوحوش ذات القوة والاعتصام

#### ٤ - المدح

وطريقه التنويه بفضائل المدوح والتعريف بصفاته اشادة بذكره ورفعها  
لشأنه سيان في ذلك وصفه على سبيل العموم والاجمال بأسماء الفضائل كالشجاعة  
والعفة والعدل والعقل أو تخصيصه على سبيل التفصيل بما هو به أشبه وله أميز  
كلاقدام والرأي في القائد والكرم والمساواة في السيد إلى غير ذلك من الصفات  
النفسية اللائقة التي ليس للمادح أن يتجاوزها إلى غيرها من الجسمية كالجمال  
أو العرضية كالغنى لإلمعها وقاصدا . على هذا كان مدح العرب في جاهليتهم  
ثم إن ما ركب في نفوسهم من عزة وأبهة وإباء وكرامة جعلهم يضيئون دائرة  
المدح فلم يتعدوا فيه لداتهم وذوي الرياسة من عشائهم غير أن السؤال بالمدائح  
وطالب الاستجداد بالشعر لم يلبث أن ظهر فيهم آخر عهدهم فكان منهم من  
تكسب بمدحه في ترفع كزهير أو تنزل كالاعشى أو بين بين كالتابغة ولكن  
ألمة هؤلاء ولو أنهم شهبوا وبعد صيتهم لم تخرج بالمدح في جملة عما رسمنا  
نماذج

قال المسيب بن عاس وهو من معاصري طرفة بمدح مالك بن سلمة الخير القشيري  
ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم ولذي الرقيبة مالك فضل  
كفاه مخلفه وعطائه متخرق جزل (١)  
بهب الجياد كأنها عسب جرد أطار نسيلها البقل (٢)

(١) متخرق نافذ وجزل عظيم (٢) جمع عسيب الجريدة لاخوص فيها  
ونسيل الخيل شعرها والبقل يطيره من الشبع به

والضامرات كأنها" بقر      تقرو دكادك يشها الرمل (١)  
والدهم كالعبدان آزرها      وسط الا شاء مكم جعل (٢)  
وإذا الشمال حدث قلائصها      رتكا فليس لما لك مشل (٣)  
للضيف والجار الغريب ولا      طفل التريك كأنه رأل (٤)  
ولقد تناولني بنائه      فأصابني من ماله سجل (٥)  
متبعج التيار ذو حذب      مغرورب تياره يعلو (٦)  
فلا شكرن فضول نعمته      حق أموت وفضله فضل

ولزهير في هرم بن سنان المرى وبيته مدائح سارت بها الامثال ومن ذلك قوله  
إذا السنة الحمراء بالناس أجهفت      ونال كرام المال في الجحرة الاكل (٧)  
رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم      قطينا لهم حتى إذا نبت البقل (٨)  
هنالك إن يستخبوا المال يخبلوا      وإن يسألوا يعطوا وإن يسروا يفلوا (٩)  
وفيهم مقامات حسان وجوهها      وأندية ينتابها النول والفعل  
وإن جئتهم ألفت حول بيوتهم      مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل  
وإن قام فيهم قائم قال قاعد      رشدت فلا غرم عليك ولا خذل  
على مكثريهم حق من يعزيمهم      وعند المقلين السباحة والبذل

(١) تقرو تتبع والدكادك المرتفعات جمع دكادك (٢) النخل الصغير واحده  
أشاة والمكم ذو الاكام والجعل الكثير (٣) الرتك تقارب الخطا (٤) الرأل  
ولد النعام والتريك المتروك (٥) السجل الدلو العظيمة (٦) متبعج التيار منفرجه  
والحذب الارتفاع ومغرورب مناد لا ينقطع سيله (٧) الجحرة كنبقة السنة  
الشديدة المجدة (٨) جمع قاطن المقيم (٩) إن يستقرضود يقرضود، إن يسروا  
يلعبوا المبسر

فما كان من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل  
 وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (١)  
 وقال الأعشى يمدح الأعشى بن المنذر أخا النعمان من قصيدة طويلة  
 والخطاب للناقة

لا تشكى الى وانتجعي الاس ود أهل الندى وأهل الفعال  
 فرع نبع يهتز في غضن الحج دغزير الندى شديد المحال (٢)  
 عنده البر والتقى وأسا الصد ع وحمل للمعضلات الثقال  
 وصلات الارحام قد علم النا س وفك الاسرى من الاغلال  
 وهوان النفس الكريمة للذك ر إذا ما التقت صدور العوالي  
 أريحى صلت يظل له القو م ركودا قيامهم للهلال  
 ان يعاقب يكن غراما وان يع ط جزىلا فانه لا يبالي

ومن مدائح النابغة للنعمان وفيها اعتذار واستعطاف

أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب  
 فبت كلفى العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراشى ويقشب (٣)  
 حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب  
 لئن كنت قد بلغت عنى وشاية لمبلغك الواشى أغش وأكذب  
 واسكتنى كنت امرأ لى جانب من الارض فيه مستتراد ومذهب  
 ملوك واخوان إذا ما أيتهم أحكم فى أموالهم وأقرب  
 كفعلك فى قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم فى شكر ذلك أذنبوا  
 فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطالى به القار أجرب

(١) الخطى شجر الرماح ووشيجه عرقه (٢) الفضن الثنى (٣) الهراس

الشوك ويقشب يخاط

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتدبذب  
فانك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منها كوكب  
ولست بمستبق أخا لانامه على شعث أى الرجال المهذب  
فان أك مظلوما فعبد ظالمته وان تك ذا عتي فمثلك يعتب  
٥ - الهجاء

ويكون على عكس المدح بتجريد المهجو من الفضائل والصفات المرغبة  
كما يكون بوصمه بالردائل الشائنة والاصناف المنفرة وأشدّه ما وقع بالموازنة  
والتفضيل . ولم يتجاوز هجاء الجاهليين القبائل إلى الافراد ولا العف من القول  
إلى الاذاع إلا حيث صمار الشعر آلة للتكسب عند بعض الشعراء وأصبح من  
الحتم عليهم أن يهجوا ليخيفوا أو ينتقموا وأن يخرجوا في هجوهم من القبائل  
إلى الاشخاص منتهكين بأفوالهم سياج العفة والاعتدال ولعل أول من عرف  
بذلك الاعشى ثم جاء بعده الخطيئة من المخضرمين فأفرط وزاد حتى انه لم يهف  
عن هجو نفسه بما لا يرضى أن يهجو به انسان وكذلك فعل مع أمه وأبيه  
غير أن ذلك لم يندس العصر الجادلى كله لقصره كما تقدم على أحاد  
نماذجه

قال بشر بن أبي خازم الاسدى يهجو أوس بن حارثة بن لام الطائى  
ألا أبلغ بنى لام رسولا فبئس محل راحلة الغريب  
إذا عقدوا الجار أخفروه كما غر الرشاء من الذنوب (١)  
وما أوس ولو سودتموه بمخشى العرام ولا أريب (٢)  
أتوعدني بقوهك يا بسعدى وذلك من ملات الخطوب

(١) الرشاء حبل الذنوب وهى الدلو (٢) العرام كغراب الحدة والشدة

وحول من بنى أسد عديد مبن بين شبان وشيب (١)  
 هم ضربوا قوائس خيل حجر بجانب الرده في يوم عصيب (٢)  
 وهم تركوا عتيبة في مكر بطعنة لألف ولا هيوب (٣)  
 وهم تركوا غداة بنى نمير شريحا بين ضبعان وذيب (٤)  
 وهم وردوا الجمار على تميم بكل سميدع بطل نجيب (٥)  
 وأفلت حاجب تحت العوالى على مثل المولعة الطلوب (٦)  
 وحى بن كلاب قد شجرنا بأرماح كاشطان القايب (٧)  
 إذا ما شمرت حرب سمونا سمواليزل في العطن الرحيب (٨)  
 — وعلى هذا العز الوطيد لبنى أسد يقول عبيد بن الأبرص الأسدي  
 لا مريء القيس بعد قتل قومه لا يبه يهجو في شعر بالغ من الاستخفاف به  
 وتهديده

ياذا الخوفنا بقة - ل أبيه إذلالا وحينا  
 أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا  
 لوما على حجر بن أم م قطام تبكي لاعينا  
 إنا إذا عض الثما ف برأس صعدتنا لوينا (٩)

(١) المبن المقيم (٢) القوائس أعالي الرؤوس وحجر والد امرئ القيس  
 (٣) عتيبة بن الحارث طعنه ذؤاب الأسدى والألف البطيء والهيوب الرديد  
 (٤) شريح يظهر أنه من سادات نمير (٥) الجفار ماء لقيم (٦) حاجب بن زرارة  
 والمولعة العقاب والطلوب الشديدة الطلب للصيد (٧) شجرنا دفعنا وفرقنا  
 والقليب البئر الأشطان حبالها واحدها شطن (٨) جمع بازل وهو من بلع التاسعة  
 من الأبل (٩) الثقاب خشبة تقوم بها الرماح والصعدة القناة

نحمى حقيقتنا وبه ض القوم يسقط بين يميننا  
 فلا سألت جموع كندة إذ توالوا أين أيننا  
 أيام نضرب هامهم بيواتر حتى انحنينا  
 وجموع غسان الملو لأتيتهم وقد انطوينا (١)  
 لحقا أياطين قد عالجنا أسفارا وأيننا (٢)  
 ولقد صلقن هوازنا بنو اهل حتى ارتوينا (٣)  
 نعليهم تحت الضبا ب المشرفي إذا اعترينا  
 نحن الالى فاجمع جموعك ثم وجههم اليها  
 وأعلم بأن جياتنا آين لا يقضين ديننا  
 ولقد أبجنا ما حميت ولا مبيح لما حمينا  
 هذا ولو قدرت عليه يك رماح قومي ما انتهيها  
 حتى تنوشك نوثة عاداتهم إذا انتوينا

وقال الخطيئة وهو من المخضريين يهجو بني بهدلة ورئيسهم الزبرقان بن بدر  
 ويمدح بني عمهم آل شماس وسيدهم بغرض بن عامر على سبيل المناظرة وهو من  
 أوجع الهجاء وبخاصة بين الاقربين وكان نزيبا عند الاولين فأهملوا ذكره  
 فتحول إلى هؤلاء فبالغوا في اكرامه قال :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب فهل حى على خالق سواء  
 عطاردها وبهدلة بن عوف فهل يشفى صدوركم الشفاء  
 ألم أك نائيا قد دعوتهموني فجاء بي المواعيد والدعاء  
 ألم أك جاركم فتركتهموني الكلي في دياركم عواء

(١) الضميران للخيال (٢) الاياطل الخواصر (٣) الصفاق الضرب

وَأَتَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سَبِيلِ أَوَالِ شَعْرَى فِطَالِ بِي الْإِنَاءِ (١)  
 أَلَمْ أَلْكَ جَارَكُمْ وَكَوْنُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ الْمَوَدَّةَ وَالْإِخَاءَ  
 وَلَمَّا أَنْ أَتَيْتُكُمْ أَتَيْتُمْ وَشَرُّ مَوَاطِنِ الْحَسْبِ الْإِبَاءَ  
 وَلَمَّا أَنْ أَتَيْتُكُمْ حَبُونِي وَفِيكُمْ كَانَ لَوْ شِئْتُمْ حَبَاءَ  
 وَلَمَّا أَنْ مَدَحْتُ الْقَوْمَ قَلِمَ هَجَوْتُ وَهَلْ يَحِلُّ لِي الْهَجَاءُ  
 فَلَمْ أَشْتُمْ لَكُمْ حَسْبًا وَلَكِنْ حَدَثْتُ بِحَيْثُ يَسْتَمِعُ الْحَدَاءُ  
 فَلَا وَأَيُّكَ مَا ظَلَمْتُ قَرِيعَ بَأْنٍ يَبْنُو الْكَارِمَ حَيْثُ شَاءُوا  
 وَلَا وَأَيُّكَ مَا ظَلَمْتُ قَرِيعَ وَلَا عَنَفُوا بِذَلِكَ وَلَا أَسَاءُوا  
 فَأَبْتَمُوا إِلَّا أَبَالَكُمْ عَلَيْهِمْ فَانْ مَلَامَةُ الْمَوْلَى شَقَاءُ  
 وَإِنْ أَبَاهُمْ إِلَّا دَنَى أَبُوكُمْ وَإِنْ صَدُورَهُمْ مِنْكُمْ بَرَاءُ

## ٦ — الوصف

معناه الكشف والظهار وأبلغه ما قلب السمع بصرا والشعر إلا أقله راجع  
 إليه فهو باب في عمومته واسع النطاق ولكنه قصر في عرف الأدباء على غير ما  
 اندرج من أوصاف تحت غيره من أبواب. وقد طرقة العرب قديما في كل ما  
 شملته ياديتهم وتناولته حاجاتهم من أرض وسما وأحداث جَوِّ والوان نبات  
 وحيوان يدب على الأرض وطير يصعد في الهواء ولكنهم تفاضلوا فيه كما  
 تفاضل الناس في سائر الأشياء فمنهم من أجاد في كثير من الأوصاف وإن غلبت  
 عليه الإجابة في بعضها كما مرى القيس ومنهم من قصرت إجابته على وصف  
 شيء دون غيره كما بنى داود الأيادي وطفيل الغنوى والنابعة الجعدي في نعت  
 الخيل وكطرفة بن العبد وأوس بن حجر في نعت الأبل وإن كان أكثر العرب



يجيد وصفها وكالشماح في وصف الحجر الوحشية والقسي وكالاعشى في وصف  
الحجر وهكذا ومن ثم عرف فريق من الشعراء باسم الشعراء الوصافين كهؤلاء .

نماذج -

قال التمر بن تواب يصف أبدال الشيب

أعمرى لقد أنكرت نفسي ورأيتي مع الشيب أبدالى التى أتبدل ( ١ )  
فضول أراها فى أديمى بعد ما يكون كفاف اللحم أو هو أفضل ( ٢ )  
كأن محطا فى يدى حارثية صناع علت منى به الجلد من عل ( ٣ )  
وقولى إذا ما غاب يوما بعيرهم يلاقونه حتى يؤب المنخل ( ٤ )  
وأضحى ولم يذهب بعيرى غربة وأشوى الذى أشوى ولا أتحمل ( ٥ )  
وظلمى ولم أكسر وأن ظميتى تلف بنىها فى البجاد وأعزل ( ٦ )  
ودهرى فيكفينى القليل وأننى أؤوب إذا ما أبت لا أتعلم  
وكنت صفى النفس لا شىء دونه فقد صرت من إفصا حبيبى أذهل  
بطيء عن الداعى فليست بأخذ إليه سلاحى مثل ما كنت أفعل  
تدارك ما قبل الشباب وبعده حوادث أيام تضر وأغفل  
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوء إذا رام القيام ويحمل ( ٧ )  
يود الفتى طول السلامة والبقاء فكيف ترى طول السلامة يفعل  
دعاني الغواني عمهن وخلتنى لى اسم فلا أدعى به وهو أول

---

( ١ ) جمع بدل وهى التغيرات ( ٢ ) كفاف اللحم أى مثله وهو أى اللحم  
( ٣ ) حط الجلد صقله بالمحط وهو حديدة لذلك ( ٤ ) يقصد المنخل الشاعر ويضرب  
المثل بعدم أوبته ( ٥ ) أضحى أبقى مقيما فى الضحاه ( ٦ ) الظلع العرج والبلاد  
اللحاف ( ٧ ) ينوء يقوم فى ثقل

وقال المرقش الأء كبر يصف فرسا

غدونا بضاف كالعسب مجلل طويناه حتى عاد وهو ملوح (١)  
أسيل نبيل ليس فيه معابة كيت كلون الصرف أرجل أقرح (٢)  
على مثله تأتي الندى مخايلا وتعب سرأ أى أمريك أفلح  
وتسبق مطروداً وتلحق طاردا وتخرج من غم المضيق وتخرج  
تراه بشكات المدجج بعدما يقطع أقران المغيرة يجمع (٣)  
يجم جموم الحسى جاش مضيقه ويردى به من تحت غيل وأبطح (٤)  
شهدت به فى غارة مسيطرة يطاعن أولاها سواء ويطرح (٥)

وقال الشماخ بن ضرار يصف قوسا

تخيرها القواس من فرع ضالة لها شذب من دونها وحزائز (٦)  
نمت فى مكان كنها فاستوت به وما دونها من غيلها متلاحز (٧)  
فما زال ينجو كل رطب ويابس وينغل حتى نالها وهو بارز (٨)  
فأنحي عليها ذات حد غرابها عدو لاً وسطا العضاه مشاوز (٩)

(١) الضافى الطويل الذيل والمجلل ذو الجمل والعسب الجريدة لا خوص  
فيها وملوح مغبر من الشمس (٢) الاسيل الطويل والنبيل الغليظ والصرف الخمر  
خالصة غير ممزوجة والارجل المحجل والاقرح الاغر (٣) الشكات جمع شكة  
وهى السلاح والمدجج المستور فى سلاحه والمغيرة الخيل (٤) الحسى البئر ويجم  
يفيض وجاش فار ويردى يسير الرديان والغيل الماء الجاري والاً بطح المسيل  
فيه دقاق الحصا (٥) المسيطرة الممتدة (٦) الضالة السدرة البرية والشذب العيدان  
والخزائز قطع الشجر (٧) من غيلها فى منبتها ومتلاحز متضايق داخل  
(٨) ينجو يقطع وينغل يدخل (٩) ذات الحد الفاس وغرابها حدها  
والعضاه جمع عضاهة شجر والمشاوز المشاكس

فلما اطمأنت في يديه رأى غنى أحاط به وازور عن يحاوز ( )  
فأمسكها عامين يطلب درأها وينظر منها ما الذي هو غامز (٢)  
أقام الثقاف والطريدة منها كما أخرجت ضغن الشموس المهامز (٣)  
فوافي بها أهل المواسم فانبري لها بيع يغلى بها السوم رانز (٤)  
فقال له بايع أخاك ولا يكن لك اليوم عن ربح من البيع لاهز (٥)  
فظل يناجى نفسه وأميرها أيأبى الذى يعطى بها أو يحاوز (٦)  
فلما شراها قاضت العين عبرة وفي الصدر حزاز من الوجد حامز (٧)  
فذاق فأعطته من اللين جانبا كفى ولها أن يغرق السهم حاجز (٨)  
إذا أنبض الرامون فيها ترنمت ترنم تكلى أوجعتها الجنائز (٩)  
هتوف إذا ما خالط الظبي سهمها وإن ريع منها أسلمتة النوافز (١٠)  
كان عليها زعفراناً تميره خوازن عطار يمان كوانز (١١)  
إذا سقط الانداء صينت وأشعرت حبيراً ولم تدرج عليها المعاوز (١٢)  
وقال النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جؤذراً

فأمسى عليه أطلس اللون شاحيا شحيحاً تسميه النباطى نهسراً ( ٣ )  
طويل القرا عارى الاشاجع مارد كشق العصا فوه إذا ما تضورا (١٤)

(١) ازور مال ويحاوز يجمع ويضم (٢) درأها دفعها (٣) الثقاف خشبة  
التقويم والطريدة قهبة التعديل والمهامز جمع مهاز (٤) الرانز المجرب الخبير  
(٥) لاهز صاد (٦) يحاوز يقبل (٧) شراها باعها وحامز ممض محرق (٨) ولها  
أن يغرق السهم حاجز أي لها حاجز من أن يغرق السهم (٩) أنبض فى القوس  
أصاتها أو حرك وترها لرن (١٠) النوافز القوائم (١١) تميره تسميله  
(١٢) أشعرت ألبست والمعاوز جمع معوز وهو الثوب الخلق (١٣) شاحبا  
فاتحاً فاه (١٤) القرا الظهر والاشاجع السيقان

فبات يذكيه بغير حديدة أخو قنص يمس ويصبح مقفرا (١)  
إذا ما رأى منه كراما تحركت أصاب مكان القلب منه وفر فرا (٢)  
هذا وباب الوصف حافل لا تنفيه النماذج حقه مما طال إيرادها فلنتركه على  
هذا القدر على أن نستكمل بعض نقصه من الملاحظات بعد ولذا جعلنا المختار منه  
هنا من غير الأنماط الواردة فيها إلا ما كان من وصف الفرس ومع ذلك نحا  
المرقش فيه غير ما نحا عنتره وامرؤ القيس  
هذا وقد حدثنا عن الاختيار من الملاحظات لأن لها دراسة بعد

### ٣ - تسجيلة كثيرا من أحوال العرب

لم تدع فنون الشعر الجاهلي ما ذكرنا منها وما لم نذكر خلقا من أخلاق  
العرب في ذلك العهد إلا صورته ولا وجدانا من وجدانهم إلا أظهرته كما  
لم تدع في بيئتهم كائنات محسودون وصف ولا في عرفهم شيئا من عادة أو عقيدة  
دون ذكر وحسبنا ما تقدم من نماذج في الخلق والوجدان والوصف  
أما ألا وابدوهي ماجرى عليها العرف العربي عن عقيدة أو عادة فانا عاطفون عليها  
هنا بذكر الشواهد الشعرية على الكثير منها دون أن تفصل الكلام في العادة  
عن العقيدة لأن معظم العادات كان منشؤه الاعتقاد حقاً كان أم باطلا  
١ - قال رجل في الاستقسام بالأزلام وكان ذو الخلصة من الأصنام التي  
يستقسم بأزلامها بين مكة والمدينة فقتل أبوه فاراد الطلب بثأره فذهب إليه  
فاستقسم عنده فخرج السهم بنهييه فقال

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبورا لم تنه عن قتل العداة زورا

---

(١) يذكيه يذبحه ومقفرا جائعا (٢) الكراع بضم الكاف الساق أو

مستدقه وفرفر كسر وقطع وحرك ونفض

٢ — وقال ابن مقبل يفتخر بالايثار والنجر لها

يا بنت آل هشام هل علمت إذا أمسى المراضيع في أعناقها خضع  
أنى أتم أيسارى بذى أود من فرع شوحط ضاح ليظه فرع  
يحدو قتائله بيض غطارفة شم الانوف مغاليق الضحى ضلع  
أولو الوفاء ولو أدوا قداحهم ولا يزال لهم من لجمها قنع

٣ — وقال جريبة بن الاشيم الفقعسى لابنه يوصيه بالعقر على قبره إذا مات

إذا مت فادفنى بحراء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب  
فان أنت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب  
ولا تدفنى فى صوى وادفنى بديمومة تنزو عليها الجنادب

٤ — وجريبة هذا هو الذى يقول لابنه أيضا فى البلية

ياسعد إما أهـاـ كن فانى أوصيك إن أخا الوصاة الاقرب  
لا أعرفن أباك يحشر خلفكم تعباً يخر على اليدين وينكب  
فاحمل أباك على بعير صالح وتقى الخطيئة انه هو أصوب  
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

٥ — ومن أشعارهم فى ضرب الثور لتشرب البقر قول نهشل

كذلك الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء

ومثل ذلك أشعارهم فى كى السليم ليبراً الاجرب قال النابغة

لكلفتني ذنب امرىء وتركته كذى العر يكوي غيره وهو رافع

وقد استخدم الشعراء هذين المعنيين كثيراً فى الرجل يعاقب وغيره الجانى

قال الشاعر

فلا تجعلوها كالبقير وفحلها يكسر ضرباً وهو للورد طائع

وما ذنبه إن لم ترد بقراته وقد فاجأتها عند ذاك الشرائع

وقال آخر

فألزمتني ذنباً وغيرى جره حنانيك لا أتكو الصحيح بأجرها  
٦ — وفي مذهبهم في تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ ويسمونه سليماً  
تفاؤلاً ليبراً يقول شاعرهم

كاني سليم ناله كلم حية تري حوله حلى النساء موضعاً

ويقول آخر

فبت معنى بالهموم كأننى سليم نفي عنه الرقاد الجلاجل  
٧ — وقالت امرأة في زوال حلاً الشفة بوضع المنخل على رأس المصاب بها  
ألا حلاً في شفة مشقوقة فقد قضى منخلنا حقوقه  
٨ — ويروون أن جنية أرادت صى قوم بسوء فلم تدر عليه فلامها  
قومها فقالت تعتذر اليهم

كان عليه نقره ثعالب وهرره والحیض حیض السمرة  
وهذا على بعده من الحقيقة يوضح عقيدة بعض العرب في أن تعليق سن الثعلب  
والهرة وصبغ السمرة على الصبي يقيه شر الجنة وكذلك كانوا يعتقدون في  
تعليق كعب الارنب وأشياء أخرى

٩ — وقال طرفة في تبديل الشمس أستان الاثغار بخير منها إذا قذفت في عينه  
بادن نجلو إذا ما ابتسمت عن شتيت كاقاحى الرمل غر  
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاشر  
١٠ — ومن عقائدهم التي يكاد يجمع عليها الهامة وهي طائر يزعمون  
خروجه من رأس كل ميت فاذا كان قتيلاً لا تزال تقول اسقوني اسقوني فاذا  
صدية حتى يؤخذ بشأره وفي ذلك يقول بعضهم يوحى ابنه

ولا نزقون لى هامة فوق مرقب فان زقاء الهام للمرء عائب  
تنادى ألا اسقوني وكل صدي به وتلك التي تبيض منها الذوائب

وقال آخر يهجو ويعير

وان أخاكم قد علمت مكانه بسفح قبا تسقى عليه الأعاصير  
له هامة تدعو إذا الليل جنبها بنى عامر هل للهلالى نائر  
١١ — وقال بعضهم فى رثاء شريف تتخطاه المقاتل « اللاتى لا تعيش

لهن أولاد »

بنفسى الذى تمشى المقاتل حوله يطأن له كسحاح هضبا مهشما  
١٢ — وقريب من هذا ما كانوا يعتقدونه من أن دم الشريف يشفى من  
الكب قال عبد الله بن الزبير الأسدى

من خير بيت علمناه وأكرمه كانت دماؤهم تشفى من الكب  
١٣ — ومن أشعارهم فى كى أليتى العاشق لينذهب عشقه ويشفى منه

قول الشاعر

شكوت إلى رفيقى اشتياقى فجاءانى وقد جمعا دواء  
وجاءا بالطبيب ليكويانى ولا أبغى عدمتكما اكتواء  
ولو أتيا بسلمى حين جاءا لعاضتني من السقم الشفاء  
١٤ — أما شق الرجل برقع المرأة وشق المرأة رداءه ليدوم حبهما فمما ورد  
فيه قول سحيم عبد بنى الحسحاس

إذا شق برد شق بالبرد برقع دوايك حتى كلنا غير لابس  
نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى والى الهوى يغرى بهذى الوسواس  
١٥ — ومن أشعارهم فى إذهاب خدر الرجل بذكر محبوب قول الشاعر  
صب محب إذا ما رجله خدرت نادى كيشة حتى يذهب الخدر

١٦ — وما يقرب من هذا أن الرجل منهم كان إذا خلجت عينه توقع  
رؤية من يحب غائبا أو بعيداً وفى ذلك يقول بعضهم

إذا اختلجت عيني تيقنت أني أراك وان كان المزار بعيداً  
 ١٧ وأشعارهم في النيران المتنوعة التي اعتادوا إيقادها لما تقدم كثيرة  
 متنوعة أيضاً نذكر منها هنا الشواهد على نارين غريبتين أحدهما نار البقر أو  
 الاستمطار وذلك أنهم كانوا إذا حبس عنهم الحيا عمدوا إلى حزم من السلع  
 والعشر وها نوعان من النبات شديداً الا التهاب فعقدوها في أذنان البقر  
 وأصعدوها في جبل وعمر ثم أوقدوا فيها وساقوها قبل المغرب قال أعرابي وقد  
 فعلوا ذلك فلم يمتطروا ثم أمطرهم الله بعد

شفعنا ببيقور الى هاتل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدياً  
 فعدنا الى رب الحيا - فأجارنا وصير جدي الارض من عنده خصباً  
 والثانية نار السعالى والسعالى أخبث الغيلان وهى نار يقولون انها كانت تقع  
 للمتغرب المتقفر فيأنس ويمتدى وفي ذلك يقول عبيد بن أيوب :  
 والله در الغول أى رفيقة لصاحب دو خائف متقفر  
 أرنت بلحن بعدلحن وأوقدت حوالى نيرانا تبوخ وتزهر

١٨ - وعلى ذكر الغيلان وهى السحرة من الجن والشياطين كما كانت  
 العرب تعتقد نقول إنها كانت تعتقد أيضاً أن الجن والشياطين تسكنهم في  
 بلادهم ولذلك كانوا يعوذون بهم يؤيد ذلك قوله تعالى « وانه كان رجال  
 من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » وقد سجل الشعر ذلك  
 بإفاضة قال بعضهم :

قد بت ضيفا لعظيم الوادي المانع من سطوة الاعادى راحلتى في جاره وزادى  
 وقال آخر :

أعوذ من شر البلاد البعيد بسيد معظم مجيد  
 اصبح ياوى بلوى زرود ذى عزة وكاهل شديد



وقال غيرهما

ياجن أجزاء اللوى من عاج عاذ بكم ساري الظلام الدالج  
لا ترهقوه بغوى هائج

وقال رابع

هيا صاحب الشجر اهل أنت مانعى فانى ضيف نازل بفنائكا  
وانك للجنان فى الأرض سيد ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا

واستعاذ رجل ومعه ولد بعظيم واد فأكل ابنه الاسد فقال

قد استعدنا بعظيم الوادى من شر ما فيه من الاعادى فلم يجرنا من هز برعاد  
١٩ — ولقد تمادى العرب فى هذه العقيدة حتى ادعى بعضهم مخالطة الجن  
ومكالتهم واستضافتهم بل والنزوح منهم وتناسلهم ولهم فى ذلك أشعار وأقاصيص  
فهذا جذع بن سنان يقول

أتوا نارى فقلت منون أتم فقالوا الجن قلت عموا صباحا

وسمير بن الحارث الضبي يقول

أتوا نارى فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاما

وهذا عمرو بن يربوع يزعم أنه تزوج من غول وولد له بنون عرفوا ببني  
السعلاة وفى ذلك يقول شاعر يهجوهم

يا قبح الله بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا بأبطال ولا اكيات  
وتأبط شرا يدعى أنه قابل غولا اعترضته فقتلها فقال

لهان على جهينة ما ألقى من الروعات يوم رحنى بطن

لقيت الغول تسرى فى ظلام بسهب كالعباءة صحصحان

م - ١٨ أدب

فقلت لها كلانا نضو أرض أخو سفر فيخلى لى مكاني  
فشدت شدة نحوي فأهوى لها كفى بمصقول يمان  
٢٠ - ومن هذه الناحية من الاتصال ما كان يزعمه العرب وشعراؤهم من أن  
لكل شاعر شيطانا يلقي اليه بالشعر وكانوا يعتقدون بوجه عام أن للشعر شيطانين  
الهوبر مجيد والهوجل مفسد روى أن رجلا من تميم أتى الفرزدق فقال إني قد  
قلت شعرا فانظره قال أنشدني فقال

ومنهم عمر الحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ثم قال يا ابن أخي ان للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر  
والآخر الهوجل فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه ومن انفرد به  
الهوجل فسد شعره وانهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوبر في  
أوله فأجدت وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت ومن هنا كانوا يسمون  
الشعر رقى الشياطين قال جرير

رأيت رقى الشيطان لا تستغفره وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ولهذه العقيدة كانوا يسمون لكل مجيد من الشعراء شيطانا خاصا وكانوا  
يتحاضرون إلى الجنة إذا ظفروا بهم في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض ولهم  
في ذلك حكايات وأقاصيص نسوق بعضها على سبيل التمثيل

١ - ذكر مطرف الكنتاني عن ابن دأب عن رجل من أهل زرود عن أبيه  
عن جده أنه خرج على فحل له في طلب لقاح ضالة حتى دفع إلى خيمة بنفائها  
شيخ كبير فدارت بينهما مكاملة انتهت بطلبه من هذا الشيخ أن ينشده من  
أشعاره فأنشده

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلما فرغ قال له لو أن امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام فقال له أنا والله  
منجته ما أعجبك منه قال فقلت له ما اسمك قال لافظ بن لاحظ قلت اسمان  
منكران قال أجل فعلمت أنه من الجن فقلت له من أشعر العرب فأنشأ يقول  
ذهب ابن حجر بالقريض وقوله ولقد أجاد فما يعاب زياد  
لله هاذر إذ يجود بقوله ان ابن ماهر بعدها لجواد  
قلت من هاذر بن ماهر قال صاحب زياد الدياني وهو أشعر الجن وأضنهم  
بشعره فالعجب منه كيف سلسل لآخى ذبيان به ولقد علم بنية لى قصيدة له  
له من فيه إلى أذنها ثم صرخ بها اخرجى فدى لك من ولدت حواء فخرجت  
فأنشدتني .

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها حزين  
حتى أتت على قوله منها

فألفت الامانة لم تخنها ذلك كان نوح لا يخون  
فقال والله لو كان رأى قوم نوح فيه كراى هاذر ما أصابهم الغرق قال الرجل  
حففت البيتين ثم نهض بي الفحل فعدت إلى لقاحى

ب — وحدث مطعون بن مطعون الاعرابى عن أبيه أنه خرج على بعيره حتى  
إذا كان فى سفح جبل رأى على قنته رجلا عليه أطمار بالية ونجمت بينهما  
محاورة انتهت بقوله للرجل أتروى من أشعار العرب شيئا قال نعم أروى  
وأقول قولاً فأنما مبرزا قال فقلت أرنى من قولك ما أحببت فأنشأ يقول

طاف الخيال علينا ليلة الوادى لآل أسماء لم يلم لميعاد  
حتى فرع منها فقلت لهذا الشعر أشهر فى معد بن عدنان من ولد الفرس الا باق  
فى الدم العرب هذا لعبيد بن الابرص الاسدي فقال ومن عبيد لولا هيب فقلت  
ومن هيب فأنشأ يقول

أنا ابن الصلادم أدعى الهبي مدحوت القوافي قرى أسد  
 عبيدا حبوت بماثوره وأنطقت بشرا على غير كد  
 ولاقي مدرك رهط الكمي ت ملاذا عزيزا ومجدا وجد  
 منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد  
 فقلت أما عن نفسك فقد أخبرني فأخبرني عن مدرك فقال هو مدرك بن واغم  
 صاحب الكيت وهو ابن عمي

ج - وذكر شيخ من أهل البصرة أنه خرج في ليلة مقمرة على جمل له إلى  
 الصحراء فأبصر شبحا كهيئة إنسان على ظهر ظليم قد خطمه وهو يقول  
 هل يبلغنيهم إلى الصباح هقل كأن رأسه جماح

فعلم أنه جنى قال فقلت له من أشعر الناس قال الذي يقول  
 وما ذرفت عيناك الا لتضربي سهميك في أعشار قلب مقتل  
 فعلمت أنه يريد امرأ القيس قلت ثم من قال الذي يقول

وتبرد برد رداء العروس في الصيف رقرقت فيه العبير  
 وتسخن ليلة لا يستطيع مع نباحها الكلب إلا هريرا

فعلمت أنه يريد الاعشى قلت ثم من قال الذي يقول  
 تطرد القر بحر صادق وعيك الصيف ان جاء بقر  
 فعلمت أنه يريد طرفة وانقطع الحديث

د - وحدث الاعشى أنه خرج يريد قيس بن معد يكرب بحضرموت فضل  
 حتى وقعت عينه على خباء بيابه شيخ فانتسب له وأفهمه أنه يقصد قيسا فقال  
 له حياك الله أظنك امتدحتك بشعر قال نعم قال فأشدينه فأشدته  
 حات سمية غدوة أجمالها غضبا عليك فما تقول بدا لها

فقال حسبك هذا البيت أهذه القصيدة لك قلت نعم قال من سميت قلت لا أعرفها  
 إنما هو اسم القى فى روعى فنادى باسمية اخرجنى أنشدنى عمك قصيدتى التى  
 مدحت بها قيس بن معد يكرب فاندفعت تنشد حتى أتت على آخرها لم تخرم  
 فيها حرفاً ثم قال هل قلت شيئاً غير ذلك قلت نعم كان بينى وبين ابن عم لى  
 يقال له يزيد بن مسهر ما يكون بين بنى العم فهيجانى فهجوته فأنتخته قال ماذا  
 قلت فيه قلت قلت

ودع هريرة ان الـركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أبها الرجل  
 فقال حسبك من هريرة قلت لا أعرفها وسبيلها سبيل التى قبلها فنادى يا هريرة  
 أنشدنى عمك قصيدتى التى هجوت بها يزيد بن مسهر فأنشدتها كسابقتها فسقط  
 فى يدى وتحيرت وتغشيتنى رعدة فلما رأى ما نزل بى قال ليفرخ روعك يا أبا  
 بصير أنا هاجسك مسحل بن أثاثه الذى التى على لسانك الشعر قال فسكنت نفسى

ثم دلى على الطريق وأراني سميت مقصدي . وفى مسحل هذا يقول الاعشى  
 وما كنت شاحوذا ولكن حسبتى اذا مسحل يسدى لى القول أعلق  
 شريكاً فيما بيننا من هوادة صفيان انسى وجن موفق  
 يقول فلا أعيأ بقول يقوله كفاني لاعى ولا هو أخرق

ويقول فيه وفى جهنم شيطان فرو بن قطن

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنم جدعا للهجين المذمم  
 وهذا مذهب شائع قال حسان بن ثابت

ولى صاحب من بنى الشيصبا ن فطوراً أقول وطوراً هو  
 وقال أبو النجم

انى وكل شاعر من البشر شيطانه أنى وشيطاني ذكر

وقال آخر .

اني - ان كنت صغير السن وكان في العين نبو عنى

فان شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن

والرأى في هذا وأمثاله أن الجن مع وجودها لا يقع منها للإنسى ما تدعى العرب

وإنما هذه تخيلات صوروها ليرفعوا من قيمة الشعر وأنه كالسحر لا ينبغي

صدوره إلا عن الجن الذين هم في اعتقادهم مصدر العبقرية في كل شئ ولذلك

يقولون عن كل معجب عبقرى نسبة إلى عبقر وما عبقر عندهم إلا واد للجن

وليس هذا الخيال قاصرا على العرب وحدهم إذ تشاركتهم فيه الأمم القديمة

جميعا بل كان معظمها يعبد هذه القوى الخفية من خيرة طمعا في خيرها وشريرة

خوفا من شرها . أما تلك الأقاصيص فهي أساطير حاكوها كما حاكوا مضارب

الأمثال الفرضية وكما وضعت سائر الأمم أساطيرها وليس عليهم في ذلك

ما يعاب في الناحية الادبية ينبغي أن يطلق من عنان الخيال ما شاء الخيال

#### ٤ - تأثيره و منزلة رجاله

لقد كان للشعر في العرب تأثير ما أبلغه من تأثير ولرجالهم بينهم مكانة

ما أرفعها من مكانة ذلك انهم كانوا ذوي فطر سليمة ونفوس حساسة وكان

الشعر طبيعة فيهم يمتزج منهم بالدم واللحم لا يزالون يقولونه ويستوحون سماءه

فينقادون لخياله ويخضعون لأحكامه . وكان للشعراء عليهم نفوذ وسلطان

لا يقل شأننا عن نفوذ الصحف السيارة الآن على الافراد والجماعات فكانت

كل قبيلة تغتبط بكثرة شعرائها وتتخير من بينهم اقوام حجة وبلغهم قولاً

ليكون المشيد بحسانتها ومفاخرها الذاب عن اجسادها واعراضها أثر فيما اثر

أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى لتمنيته ف صنعت  
الاطعمة ومدت الموائد وتباشر الرجال والولدان واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر  
كما يصنعن في الاعراس . واشدة ما كان للشعر من تأثير جاوز فيه المنطق وتعدى  
المعقول نسبة العرب إلى الجن وسمو الشعراء بالساحرين قال رؤبة

لقد خشيت أن تكون ساحرا راوية مرا ومرا شاعرا  
وكان ذلك عاما في كل باب من أبوابه كان يبلغ الشاعر ما لا يبلغ غيره إذا  
نسب رقق القلوب القاسية واستنزل العصم العاصية وإذا وصف أراك ما لم تق  
كأنه المرئي وقد يكون تمثيلا لا يستند إلا إلى الخيال والتصوير وإذا رثي آثار  
الشجون وحرك مكان الذكريات فإذا ما فخر بالحماسة والاستبسال حبيب إلى  
الجبنة القتال وأرخص الموت على مفلى الحياة قال معاوية بن أبي سفيان اجعلوا  
الشعرا أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيت ليلة الحرير بصفين وقد أتيت بفرس  
أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب من شدة البلوى فما حملني  
على الإقامة إلا نبيات عمرو بن الاطنابة

أبت لي همي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح  
وإقحامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح  
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريح  
لا أدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

وابن الاطنابة كما تقدم من شعراء الخزرج الجاهليين  
أما شعراء المدح والهجاء فقد كانوا شفاء أقوامهم وسموم أعدائهم لا يزالون  
لقبائهم يحمون سلطانها ويرفعون بنيانها كما يذبون عن حياضها ويدافعون عن  
وردها وأمر احتفاء القبائل بشعرائها كثير الخواصث مروي الأ شعراء وإن يكن

الذي نريده أقوى حجة في الاستدلال على تأثير الشعر أن الشاعر كان إذا تعرض لقبيلة بهجاء وفيها من الشعراء من يخشى لسانه ويتقى هجوه لم يك أمام قبيلته في دفع ما تحذر الا حمله الى من هجأهم متبرئة منه ومسالمة فيه وهذا ما حدث حين هجا عبد الله بن الزبير السهمي بنى قصي فقد رفعه السهميون الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعرا شديدا العارضة قدع الهجاء فلما وصل عبد الله اليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال عبد الله غير مستنكر ما فعلت عشيرته

لعمرك ما جاءت بنكر عشيرتي وان صالحت اخوانها لألومها  
فان قصيا أهل مجد وعزة وأهل فعال لا يرام قديمها  
وكان الزبير غائبا بالطائف فلما وصل الى مكة وعلم الخبر قال

فلولا نحن لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا  
ثيابهم سمال أو طمار بها ودك كما دسم الحميت  
ولكننا خلقنا إذ خلقنا لنا الحبرات والمسك الفتيت

وكان الشاعر اذا رضى لنفسه أن يتجاوز بمدحه وهجائه قبيلته وأعداءها تطلعت اليه القبائل الاخرى فأخذت تقر به رجاء مدحه فيها وهجائه لمناظرها كما كان من الخطيئة فقد استضافه الزبرقان بن بدر من بنى بهدلة وقصرت امرأته في اكرامه وهو غائب فأخذ بهغيض بن عامر من آل لاعي بن شماس وبائع في اكرامه فكان خير ما قاله من شعر هجاء ومدح في هذين الحين وقد دلف شئ منه في النماذج

على أن التماسد على الشعراء لم يك قاصرا على القبائل بل تعداها الى الملوك فهذا النعمان بن المنذر ملك الحيرة تبصر كيف كان اجتذابه للنابغة



مدحهم ويمدح آل بيته وكيف حسده عليه الغساسنة ملوك الشام فأعظموا في  
حباؤه حتى مدحهم ثم كيف غضب النعمان عليه لذلك غضبها سارت باعتذارات  
النابعة عنه الامثال ومع ذلك لم ينل من النعمان رضا لآءن الشركة في هذا الباب  
بين متناظرين ليست مما يطاق

ومن غريب تأثير الشعر أن الشاعر كان اذا وعى سيدا لم يجد من يفصل  
عنه ذلك الا هذا الشاعر نفسه ذكرى أن بشر بن أبي خازم الاسدي لما  
حمل على هجاء أوس بن حارثة بن لام الطائي فهجاه بما تقدم بهضه ووقع  
بشر أسيرا عند بني نهمان من طيء اشتراه أوس بمائتي بهير ولما أخذه قال له  
هجو تنى ظالما فاختر بين قطع لسانك وحبسك في سرب حتى تموت وبين قطع  
يديك ورجليك وتخليه سبيلك هكذا ذكر الرواة ورأى أن سياق القول يقتضى  
قرن التخليه بقطع اللسان والحبس بتقطيع اليدين والرجلين وأن هذا تحريف  
قالوا فسمعت أمه وهى سعدى بنت حنظل من سادات طيء فقالت لا أوس يا بني  
لقد مات أبوك فرجوتك لقومك عامة فأصبحت والله لا أرجوك لنفسك خاصة  
أزعمت أنك قاطع رجلا هجالك فمن يمجو اذن ما قال فيك قال فما أصنع به قالت  
تكسوه حلتك وتحمله على راحلتك وتأمر له بمائة ناقة حتى يغسل مديحه هجاءه  
ففعل فامتدحه فأكثر قال أبو محمد الاخفش مدح بشر أوسا وأهل بيته مكان  
كل قصيدة هجاءهم بها قصيدة وكان هجاءهم بخمس فمدحهم بخمس

ومن مدائح فيه قوله من قصيدة والخطاب للناقة

الى أوس بن حارثة بن لام لربك فاعمل ان لم تخاف

فما صدع بخبة أو بشرج على زاق زواق ذى كهاف

نزل اللقوة الشفواء عنها      مخالبا كأطراف الأشافي  
 بأحرز مؤثلا من جار أوس      إذا ما ضيم جيران الضعاف  
 وماليت بعثر في غريف      تفنيه البعوض على النطاف  
 مغب ما يزال على أكيل      يناغي الشمس ليس بذى عطف  
 بأأس سورة بالقرن منه      إذا دعيت نزال لدى النطاف  
 وما أوس بن حارثة بن لأم      بغمر في الأمور ولا تضاف  
 ومن ذلك ما كان من حسان بن ثابت في بني عبد المطلب هجاءهم ببسطة  
 أجسامهم وكانوا يفخرون بها فقال  
 لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ      جسم البغال واحلام العصفير  
 فلم يزالوا يخرجون منها حتى محاذ ذلك عنهم بقوله  
 وقد كنا نقول إذا التقينا      لدى جسم يهد وذي بيان  
 كأنك أيها المهطلي لسانا      وجسما من بني عبد المطلب  
 وأغرب مما تقدم في تأثيره أنه كان إذا تعرض لنا به أنزله من ذروته فإذا أعان  
 خاملا رفعه من وهدته فمن قضى على مكانتهم الربيع بن زياد وكان من خواص  
 النعمان لم يزل ينادمه ويؤاكله حتى سمع فيه وهما يأكلان أرجوزة لبيد القى يقول  
 فيها « مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه » وفيها إقذاع فرقع يده عن الطعام فقال  
 الربيع أبيت اللعن كذب الغلام وأراد الاعتذار فقال النعمان  
 قد قيل ما قيل إن صدقا وان كذبا      فما اعتذارك من قول إذا قيل  
 ثم حجبه بعد ذلك فسقطت منزلته : ومن رفعهم بعد خمول الحاق الكلابى وكان  
 مملقا كثير البنات قد رغب عن مصايرته إلا زواج فأشارت عليه امرأته أن  
 يضيف الأعمشى وهو قادم إلى الموسم فيكرمه بكل ما يملك ليقول فيه قولا تزوج

به بناته وتحسن حاله ففعل وعرف الاعشى ذلك فلما أصبح بهكاظ أنشد قافيته  
المشهورة التي يقول فيها فيما نحن بصدد

نفي الذم عن رهط المخاق جفنة      كجناية الشيخ العراقي تفهق  
ترى القوم فيها شارعين ويمتهم      مع القوم ولدان من النسل دردق  
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة      الى ضوء نار باليفاع تحرق  
تشب لمقرورين يصطليانها      وبات على النار الندى والمحاق  
رضيعي لبان ثدى أم تحالفا      بأستحم داج عوض لا تفرق  
ترى الجرد يجري ظاهرا فوق وجهه      كما زان متن الهندواني رونق

فما أنتم القصيدة الا والناس يتسألون إلى المخاق يهنئونه ويخطبون بناته فلم تمس  
واحدة منهم الا في عصمة رجل بين الفضل على ايها .

بل لقد بلغ من تأثير الشعر أنه كان بيت واحد يحمل مفخرة القبيلة مسبة ومسيبة  
مفخره كان بنو العجلان ينخرون بهذا الاسم لا يبيهم لما روى من أنه لقب به  
لتعجيله قري الاضياف فلما هجاهم النجاشي بأبيات منها

وما سمي العجلان الا لتوالم      خذ الذهب واحلب أيها العبد واعجل  
صاروا يستحيون منه وكان بنوا أنف الناقة ينجاون من هذا الاسم ويتجاوزونه  
في نسبهم حتى قال الخطيئة

قوم هم الانف والاذناب غيرهم      ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا  
فصاروا يتطاولون به ويمدون فيه أصواتهم بجهارة .

بل بلغ من تأثيره أيضا أنه كان كما قيل

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة      ويقضى بما يقضى به وهو ظالم

وتدبما نفر عامر بن الطفيل نلي شامة بن دلانة مع تسوية الحكم وهو

هرم بن قطية بينهما بقول الاعشى

علقم ما أنت الى عامر بالناتض الاوتار والواتر

إن تسد الخوص فلم تهدم وعامر ساد بني عامر

لى آخر ما قال

من ذلك كاء وغيره كان الشعراء ذرى منزلة ترجى وترغب كما يخاف  
ونزهب لا يزالون يستخدمون للوعيد والاعزاء ويستعان بهم في الاستعطاف  
والاستشفاع ففي الجاهلية أغرى أوس بن حجر النعمان بن المنذر على بني حنيفة  
فأنكل بهم واستشفع علقمة الفحل الحارث النعماني في أخيه شاس وتسعين أسيرا  
معه من تبهم فأطافهم له جميعا وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان ما كان  
للمسلمين والمشركون على ألسنة الشعراء من الفريقين وأمر رسول الله في ذلك  
وفي قبول الشفاعات من الشعراء ثابت معروف وما بعده في سائر العصور  
كثير مشهور ولا يكن لاداعي ونحن في العصر الجاهلي أن نبجازه الى ما خلفه  
من عصور فيما كان للشعر من أثر وللشعراء من مكان

ه — طبقات الشعراء ومنزلة أصحاب المعلقات فيهم

ثم سبب تسميتها بهذا الاسم

ليس في طبقات الشعراء من حيث عصور التاريخ خلاف فالكل مجمعون  
على أنهم أربع طبقات جاهليون لم يدر كوا الاسلام كأمري القيس أو أدركوه  
ولم يقولوا فيه شعرا ككبيد ومخضرمون أدركوه وقالوا فيه شعرا كحسان  
والخطيئة واسلاميون وهم من لم يدر كوا الجاهلية وإنما يتهم آخر العصر الاموي

كالهرزدق وجريز والاخلال ثم مولدون وهم الذين اختلطوا بشعوب الامم  
الاجرى من الفرس والروم والمصريين وغيرهم منذ الدولة العباسية إلى  
ما شاء الله

ولكن الخلاف كبير في تقسيمهم من حيث الشعر والشهرة في كل عصر  
من هذه العصور والذي يعيننا الآن العصر الجاهلي وأقصد القول فيه ما كان  
لابن عبيدة معمر بن المثنى فقد جمعه ثلاث طبقات وضع في أولها امرؤ القيس وزهيرا  
والنابعة وفي ثانیها الاعشى وليليدا وطرفة في ثالثها عنزة وعمرو بن كلثوم  
وعروة بن الورد ودريد بن الصمة والمرقش الأكبر وحاتم الطائي وكأناه  
سكت عن طبقة رابعة يوضح فيها الحارث بن حلزة وسائر الشعراء وبذلك  
تفهم طبقة كل واحد من رجال المملكات . واصل أطول تقسيم للطبقات ما فعل  
ابن سلام فقد أوصلها إلى عشر غير شعراء المرائي وشعراء القري العربية الخمس  
وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وغير شعراء اليهود في المدينة  
وأكنافها ووضع في كل طبقة أربعة شعراء على ما في اتحاد العدد من تحکم لا يتفق  
وطبيعة التقسيم فكان امرؤ القيس وزهير في الأولى ودهمها النابعة والاعشى  
وكان ليبيد في الثالثة ودهمها نابعة بنى جعدة وأبو ذؤيب الهذلي والشماخ بن  
ضرار وكان طرفة في الرابعة ودهمها عبيد بن الأبرص وعالممة بن عبدة النحل  
وعدي بن زيد وكان عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنزة في السادسة  
ومعهم سويد بن أبي كاهل وليس فيما لم نذكر من باقي الطبقات وهي الثانية  
والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشره أحد من رجال المملكات

فإن سلام على طول تقسيمه يتفق مع أبي عبيدة في أن المتقدمين على جميع  
الشعراء أربعة هم امرؤ القيس وزهير والنابعة والاعشى وهذا الذي يكاد ينفرد

عليه الاجماع غير أن الخلاف في أيهم المتقدم بالغ أشده فاعلماء البصرة يقدمون امرأ القيس وأهل الكوفة يقدمون الاعمش والحجازيون يقدمون زهيرا والناطقة والذي يجدر بالباحث اتبعه عدم الاعتداد بهذا الخلاف لأنه لفظي أكثر منه في الصميم إذ لكل وجهة نظر تخالف وجهة الآخر. فمن احتج لامرئ القيس نظر الى سبقه في ابتداع أشياء استحسنها العرب واتبعه فيها الشعراء كاستيقاف الاصحاب وبكاء الاطلال والاكثر من التفضل وتشبيه النساء بالبيض والظباء والخيل بالعقبان والوحوش وأنها قيد الاوابد وغير هذا ومن احتج ازهير نظر الى أنه أحكمهم شعرا وأبدعهم من السخف وأجمعهم الكثير من المعاني في قليل من الالفاظ وأنه كان لا يعاقل بين الكلام ولا يتبع حوشيه وأنه مع بلوغه في المدح لم يمدح أحدا بغير ما هو فيه . ومن احتج للناطقة قال إنه أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا وكان شعره منتور لا تكلف فيه . أما أصحاب الاعمش فقالوا إنه أكثرهم عروضا وأذهيهم في الشعر فنونا وأكثرهم طويلة جيدة ومدحا وهجاء ونظرا وصفة هكذا قال ابن سلام وذكر أنه شهد خلفا وقد قيل له من أشعر الناس فقال ما ينتهي هذا الى واحد يجتمع عليه كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس

والذي عليه أكثر الرواة في المعلقة أنها كما جمعها حماد وأوردها الزوزني سبع وهي بالترتيب قفانك لامرئ القيس ، نخولة اطلال لطرفة ، أمن أم أوفى ازهير ، عفت الديار للبيد ، ألاهي لعمرو بن كلثوم ، هل غادر الشعراء لعمتر ، آذنتا يمينها للبحارث بن حلزة وقد جعلها صاحب الجهرة ثمانيا باسقاط ابن حلزة وزيادة الناطقة فالاعمش بعد زهير ومعلقة الاول « عوجوا فحيوا لنعم

دعنة الدار» وعلقته الثاني «ما بكاء الكبير بالاعطال» وهدمهم لبيد فعمرو فظارفة  
فعمتره. أما التبريزي فجعلها عشرة زيادة ثلاث على السبع اثنتين للنافعة والاعشى  
كما فعل صاحب الجهرة والكنهيا «يادار مية بالعلياء فاسند» للنافعة، «ودع هريرة  
ان الركب مرتحل» للاعشى ثم واحدة لعبيدهى «أقفر من أدله ما حوب» وقد  
أحق بها قصيدة ثمانية للاعشى هى «ألم تفتمض عينك ليلة أرندا»

وفى سبب تسميتها بالمعلقات خلاف. فابن عبد ربه يقول إنه تعليقها على  
الكعبة وهذا كلامه (وقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتقضيلها له أن عدت  
سبع قصائد تحيرتها من الشعر القديم فكتبتهما بماء الذهب فى القباطى المدرجة  
وعلقتهما بأستار الكعبة فمنه يقال مذهب امرئ القيس ومذهب زهير والمذاهب  
سبع يقال لها المعلقات) وقد وافقه على ذلك ابن رشيق وابن خلدون إلا أن  
الآخر لم يقيد التعاق بالاستار ولا الكتابة بماء الذهب ولا فى القباطى وقال  
بقوله صاحب الخزنة

وأبو جعفر النحاس وكان معاصرا لابن عبد ربه ينكر التعليق على الكعبة  
ويقول إنه لا يعرفه أحد من الرواة مستندا فى ذلك على أن حمادا حين جمعها  
قال هذه هى المشهورات فسميت القصائد المشهورة ولو كانت علفت على  
الكعبة لأعطاهما هذا الاسم. وقد أخذ المستشرقون بهذا رأى على زعم أنه  
لم يوجد للتعليق أثر ولا ذكر حين تهدمت الكعبة وجددت على عهد رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وعلى زعم أن العرب لا تدنس الكعبة بتعليق أمثال شعر  
امرئ القيس عليها ولكن هذين الزعمين ليسا بالدليلين القاطعين فان التبريزي  
ليس بما تراه العرب فى الشعر لما له عندهم من عظيم المكانة وهذا عبد الله بن عباس  
على منزلته كان يجلس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع شعر

ابن أبي ربيعة فلا ينكر عليه ذلك وأما عدم وجود أثر أو ذكر فسببه أن التعليق لم يك دائما بل في فترات غير طويلة لا تعدو الموسم الذي قيلت فيه المتعلقة وقد ذهب كل ذلك قبل الاسلام هذا على أن تعليق الاشياء الهامة على الكعبة كان من دأب العرب جاهلية واسلاما فقد علق قريش الصحيفة التي تآمرت فيها على قطيعة بنى هاشم وعلق الرشيد عهده بالخلافة للمؤمن والمؤمنين والذين ينكرون هذا التعليق يتناسون لهذه التسمية سببا غيره فمنهم من يقول ان الاشعار حينما كانت تزد بهكاظ وتستحسن ببلغ ذلك ملك الخيرة فيقول علقوا لنا هذه بمعنى أثبتوها في خزائنا وقد روي أنه كان عند ملوك الخيرة ديوان مكتوب جمع فيه شعر الفحول على ما رواه ابن سلام. ومنهم من يقول إن العرب كانت في الجاهلية اذا كتبت شيئا في الرقاع المستطيلة من الحرير أو الجلد أو نحوها خففت عليه قرص فارة أو تأكل عثة طوته على عود أو خشبة وعلقت في جدار البيت أو الخيمة بهيدا عن الارض ولحرصهم على المعلقات فعلوا بها ذلك فأخذت هذا الاسم

ذاك نجم ما قيل في أسباب التسمية بالمعلقات وعندى أن أنتجها هو القول تعليقها على الكعبة والمكن كما قال ابن خلدون والبغدادي لأن غيره لا ينهض بتلك التسمية على أية حال

#### ٤ — منزلة المعلقات من الشعر الجاهلي

أما منزلتها من الشعر الجاهلي ففي الذروة من منازلها لما امتازت به من طول التغاية وتنوع الاغراض وكثرة ما ابتكر فيها من ضروب المعاني والتشبيهات على ما لا سلوبها من القوة والمتانة وهذه نبذة من مشتملات كل معلقة وبعض النماذج لهذه المشتملات تبين ما ذكرنا من ميزات



# ١ - معلقة امرئ القيس

سلك امرؤ القيس في معلقته مسلكا صورا فيه حياته فأرانا كيف كان يعيش لا هيا لآعبا قد أرخى لنفسه العنان الى غير حد فلم يتصنع في احساس ولم يتستر وراء تعبير بل ترك بيانه طوع شعوره لاسلطان لعقله على هواه ولا فكاه للسانه عما يريد وكل ذلك في أغراض متجانسة وأساليب يأخذ بعضها بحجز بعض

بدأها بخير مطلع عرف على غير مثال سابق هو الوقوف على الأطلال للبكاء من ذكرى أحبابها الراحلين وقد تصور مرارة البين والفراق فوقف أصحابه يؤسونه وهو لا يرى من شفاء في غير سفح العبرات قل قفانبك من ذكرى حبيب ومزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل وقال

كأنى غداة البين يوم تحملوا لدى سمرة الحى ناقف حنظل (١)  
وقوفا بها صبحي على مطيمهم يقولون لا تهلك أسي وتجعل  
وان شفاءى عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول  
بهذا بدأ ثم انسل الى أن ذلك دأبه من أمى الخويرث والرباب وأخذ يصفهما  
ويذكر أياما له معهما ومن ذلك خاص الى يوم الدارة مع فاطمة ابنة عمه  
فأطال ماشاء وكان ختام محاورته معها ذلك العتاب

أفطم مهلا بعض هذا التذلل وان كنت قد أزمعت صرعى فأجلى  
وان تك قد ساءت منى مخليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل (٢)

(١) السمر شجر ونقف الحنظل شقه عن حبه (٢) قيل ان المراد بالثياب هنا القلب

أغررك منى أن حبك قاتلى وانك مهما تأمرى القلب يفعل  
وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل (١)  
وكأنه عز على نفسه أن يكون الدليل أمامها فأخذ يريها عزته مع غيرها وكان  
من ذلك ديبه الى ربة خدر هو ذو منزلة منها على ما أوتيت من منعة وجمال أخذ  
يصف آياته ويعدد محاسنه الى أن قال

تضىء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل  
الى مثلها يرنو الحليم صبيابة اذا ما اسبكرت بين درع ومجول (٢)  
تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هواها بمنسل  
وقد دفع به الديب الذى كان ليلا حيث يقول

إذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل (٣)  
إلى ذكر الليل وطوله على ذوى الهموم فبلغ فى ذلك مبلغا كان آية الإعجاز  
اسمع اليه يقول

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليهتلى  
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكاكل (٤)  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الا صباح منك بأمثل  
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت يذبل (٥)  
كأن الثريا علقت فى مصامها بأمراس كتان الى صم جندل (٦)

- 
- (١) السهمان هما المعلى بسبعة والرقيب بثلاثة وأخذها لا يبق من أقسام البعير  
شيئا لانها عشرة (٢) اسبكرت استظالت والدرع ثوب الكبيرة والمجول ثوب  
الجارية (٣) الاثناء الاوساط والمفصل الذى فصل بين خزره (٤) الصلب  
الظهر والعجز المؤخر والكامل الصدر (٥) مغار الفتل شديده ويذبل جبيل  
(٦) مصامها سكونها والامراس الحبال

وهذا ليل قد أحياء ساهرا غير ليل الديب (والحديث ذو شجون) بقطع الأودية  
سماعا لعواء الذئاب مشبها نفسه بها الى أن ولى فغدا الى الصيد بفرس أنى في  
وصفه بما لم يسبقه اليه سابق ولا أدركه فيه لاحق قال

وقد أغتدى والطير في وكناتها بمنجرد قيـد الاوابد هيـكل  
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل  
درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل (١)  
له أيطـلا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقریب تنقل (٢)  
وما إن عن له سرب حتى حمل عليه بفرسه الذى يقول فيه بعد أن أجاد نعته  
فعدى عـداء بين ثور ونعجة درا كاد ولم ينضح ماء فيغسل  
فطل طهارة اللحم من بين منضج صفيق شواء أو قدیر معجل (٣)  
وهكذا قضى يومه مع صحبه ثم راحوا وكانت العشية عشية برق ينذر بمطر  
وابل لم يلبث أن هطل

فأضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الاذقان دوح الكنهبل (٤)  
ومر على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل (٥)  
ثم لم يترك جذع نخلة الا قعره ولا أطما الا جدله فغدا ثبير ورأس المجيمروها  
جبلان كما قال

كان ثبرا في عرانيں وبله كبير أناس في بجاد مزمل (٦)

---

(١) الدرير الدار والخذروف نخلة الصبي (٢) أيطلا الظبي خاصر تاه والسرحان  
الذئب والتفتل الثعالب (٣) القدير ما يطبخ في القدر (٤) كتيفة موضع والكنهبل  
شجر ودوحه عظيمه (٥) القنان جبل ونفيان المطر ما يتطير منه ومن زائده  
(٦) ثبير جبل وعرانيں الوبل أوائلة ومزمل صفة لبجاد تجوزا

كأن ذرا رأس المجيمر غدوة من اليل والغشاء فلاكة مغزل<sup>(١)</sup>  
وما أجمل موازنته بين حالى المكأكى والسباع غب هذا السيل حيث يقول وبه  
ختم المعلقة

كأن مكأكى الجواء غدية صبيحن سلافا من رحيق مفلفل<sup>(٢)</sup>  
كأن السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنايش عنصل<sup>(٣)</sup>

## ٢ — معلقة طرفة

بدأ طرفة معلقته كما بدأ امرؤ القيس بالوقوف على الدمن وتذكر أهلها  
الظاعنين واتفق معه لولا القافية فى البيت  
وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لانهلك أسى وتجلد  
واسكنه خالف فى ذكر الهوادج وفى تشبيهها بالسفن وتشبيه حيازيم السفن  
بيد المقاييل قال

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دد<sup>(٤)</sup>  
عدولية أو من سفين ابن يامن يجور بها الملاح طوراً ويمتدى<sup>(٥)</sup>  
يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المقاييل باليد<sup>(٦)</sup>  
ومنها انتقل الى التشبيب بفتاة تشبها لم يطل فيه واسكنه أجاد وكان فيما قال  
فى المنفر والوجه

---

(١) المجيمر جبل والغشاء النبات وفلاكة المغزل رأسه (٢) المكأكى نوع  
من الطيور والسلاف الخمر والمفلفل الخلوط بالفلفل (٣) الانبوش الاصل  
والعنصل البصل البرى (٤) جمع حدج وهو مركب النساء والخلايا العظام والنواصف  
المتسعات ودد واد عظيم (٥) نسبة الى عدول قبيلة بالبحرين وابن يامن رجل  
(٦) الحباب الامواج والحيزوم المصدر والمقاييل لاعب الفيال

وتبسم عن ألمى كأن منورا      تخال حرا الرمل دمع له ندى (١)  
سقطه أياة الشمس الا لثائه      أسف ولم يحكم عليه بأمد (٢)  
ووجه كأن الشمس ألقتر داءها      عليه نقى اللون لم يتخذ (٣)  
وكل ذلك لم يكن له بالمقصود فقد مر عليه مرا قضاء لحق المطالع عند العرب  
ثم انتقل الى ما يريد وأوله وصف الناقة فساخ فيه أربعة وثلاثين بيتا لم يترك  
شيئا من أوصافها الحسية الا وفاه بدقة وحسن أداء ولا من ضروب سيرها  
نوعا الا أجراه في لباقة ورصف كلام وكان آخر ما أفرغ عليها من صفة  
جعلها اياها أداة نجدته المستصرخين ولو لم يقصدوه قال

على مثلها أمضى اذا قال صاحبي      ألا ليتنى أفديك منها وأفقدى  
وجاشت اليه النفس خوفا وخاله      مصابا ولو أمسى على غير مرصد  
اذا القوم قالوا من فى خلت أنى      عنيت فلم أكسل ولم أتبلد  
ثم ذكر سيرها وشبهها متبخره فيه بالوليدة ترى رجا أذيال ثوبها الطويل فكان  
التشبيه الثالث والعشرين فى الناقة مما انفرد به دون سائر الشعراء ومن ثم عد  
من وصافى الابل المبرزين وقد وصل هذه المنهجرة الى انتهى اليها فى هذا  
الوصف بمفاخر تنبىء عن صفاته وأحواله فذكر أنه فوق نجدته وطيب أرومته  
تلقاه فى حلقة السادة إذ تكون المقامة كما تصطاده فى حوانيت اللاهين حين  
اللهو قد توسط مداماه ومعه قيمة تغنيهم وأن عشيرته لذلك قد تحامته والكن  
ذلك التحامى لم يطعن فى بقائه معروفا للجميع قال

---

(١) الالمى الضارب الى السواد والمنور الاقحوان والدعص الكشيب  
(٢) أياة الشمس شعاعها والكدم العنض والاسفاف الخلط (٣) يتخذ  
التشقق.

فان تبغنى في حلقة النجوم تلقى وان تلمسنى في الحوانيت تصطد  
نداءى بيض كالنجوم وقيمة تروح اليه ا بين برد ومجسد (١)  
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بحس الندامى بضمة المتجرد (٢)  
اذا نحن قلنا أسمعنا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدد (٣)  
اذا رجعت في صوتها خلت صوتها تجاوب أظآر على ربع ردى (٤)  
وما زال تشرابى الخمر ولذتى ويمنى وإنفاقى طربى ومتمدى  
الى أن تحامتنى العشيرة كلها وأفردت أفراد البعر المعبد (٥)  
رأيت بنى غبراء لا ينكرونى ولا أهل هذالك الطراف الممدد (٦)  
فهذه نفسية طرفة اللاهى حللها لنا فى هذه الأبيات وأخذ بعدها يلوم من  
يزجره أن يحضر الوغى ويشهد اللذات مادام لا يستطيع عنده دفع المنون ويدكر  
أن العيش لثلاث الخمر والنجدة والنساء ومن حرمها كان بخيلا لا يلبث أن  
يتروك ماله ويموت فلا يكون لقبره فضل على قبر الكرماء وهذا بعض ما قال  
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (٧)  
أرى الموت يعتام الكبار ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد  
أرى العيش كنز ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد  
لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى كالأطول المرخى وثنياء فى اليد (٨)  
منى مايشأ يوما يقده لحنقه ومن يك فى حبل المنية ينقد

(١) الجسد ما إلى الجسد أو ما صبع بالجسد وهو الزعفران (٢) أقطاب  
الجيب مخرج الرأس منه (٣) المطروقة الضعيفة (٤) الأظآر زخوات الولد والربع  
ابن الربيع (٥) المعبد المطلى بالقطران (٦) الغبراء الارض وبنوها الفقراء  
والطراف البيت (٧) النحام السعال سمي به البخيل لانه يكثر سعاله اذا طلب منه  
شيء (٨) الطول الحبل الذي يطال للدابة لترعى

ومن هنا خرج الى دالك ابن عمه يعاتبه على لوده اياه في طابعه حمولة أخيه  
معبد واستعانته به في الطالب مع أنه فعل ذلك تقريبا للقربى مع قدرته على مقابلة  
الجميل بجميل وفي هذا فاضت عاطفته بما نترك التعبير له حيث يقول

فلو كان مولاي امراً هو غيره لفرج كربي أو لا نظرنى غدى  
والكن مولاي امرؤ هو خانقى على الشكر والتسأل أو انا مفتدى  
وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند  
فذرني وخلقى لئننى لك شاكر ولو حل بتي نائياً عند ضرغد (١)  
فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد  
فأصبحت ذا مال كثير وزارنى بنون كرام سادة لمسود  
على أنه لم يلبث أن سرى عن نفسه فاحرا بقوته وشجاعته وفتكه واغارته  
بأبيات يقول فى أولها

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد (٢)  
وفى آخرها على لسان من يقصد ابله فيغتصب منها ما شاء فيدعه خوفاً منه وفرقا  
وقال ذروه انما تنعمها له والا تكفوا قاصى البرك يزد (٣)  
ذاك نحره بنفسه ومن كان هذا شأنه كان جديراً اذا مات أن يبكى ولذلك  
ساق القول بعد الى ابنة عمه طالبا منها أن تنعاه بما هو أهله قال

فان مت فانهينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد  
ولا تجعلينى كامرى ليس همه كهمى ولا يغنى غنائى ومشهدى  
ثم أخذ يجمال لها صفاته الى أن اختتم المعلقة بهذه الايات الثلاثة الخالدة

(١) ضرغد اسم جبل ناه (٢) الضرب الخفيف الجسم والخشاش الدخال (٣) البرك  
الابل .

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا ما أقرب اليوم من غد  
 ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالآخبار من لم تزود  
 ويأتيك بالآخبار من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له كف موعدا  
 هذه معلقة طرفة وهى على دارأيت منها شديدة الأسر قوية المعنى جيدة  
 التشبيه ذات أمثال سائرة وحكم بالغة ولذلك اعتبرت أجود المعلقات ولو كان  
 لطرفة من الشعر ما يقارب فى الكثرة شعر الأربعة المقدمين امرئ القيس وزهير  
 والنابغة والاعشى لوضع معهم كما قال أبو عبيدة أو لفضلهم جميعا كما قال  
 الكثيرون من الشعراء والرواة والأدباء

### ٣ - معلقة زهير

لم يسق زهير معلقته كما ساق زميلاه السابقان معلقتهما لغير ما سبب ظاهر  
 سوى حفرة الشعر القاهرة تعبيرا عما فى النفس من ضروب الأحاسيس  
 والوجدانات بل قالها فى غرض معين هو مدح هرم بن سنان والحارث بن  
 عوف على تداركهما عيسا وذيانا بالصالح بينهما فى حرب داحس والغبراء  
 وتحملهما فى ذلك على غير جناية منهم الكثير من الديات وتلك يد تقاس عظمتها  
 بما كان لتلك الحرب من شيوع ذكر وطول زمان ولكنه لم يجردها فى ابتدائها  
 من ذكر الدمن والاطلال ووصف الظعائن اذا تحملن للأسفار فقد وقف على  
 الدمن وأطال هذا الوصف فأجاد ووقع له من خيار التشبيهات تشبيها  
 حيث يقول

بكرن بكورا واستحرن بسحرة فبن ووادى الرس كاليد للقم  
 فامسا وردن المساء زرقا جسمام وضعن عصى الحاضر المتخيم  
 كأن نبات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم (١)



ثم تركهم مقيمين الى ما أراد من تسجيل يد هرم وعوف فقال

سعى ساعيا غيظ بنى مرة بعد ما تنزل ما بين العشيرة بالدم (١)

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحهم

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم (٢)

تداركتما عسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٣)

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من القول نسلم

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظمين فى عليا معد هديتما ومن يستبح كنزا من المجد يعظم

وبعد أن أفاض فيما احتمله هذان السيدان من مغارم أصبحت مغارم لذوى

الديات انتقل الى المتحالفين يسألهم الاخلاص للصالح ويحذرهم مغبة الحرب

واصفا سوء عواقبها وهو خير ما قيل فيها قال

ألا أبلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر يوم الحساب أو يهمل فينقم

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنى بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضرى اذا ضريتموها فتضرم

فتعركم عرك الرحى بشفاها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتشم (٤)

(١) تنزل اشتد واختلط (٢) السحيل المقتول على قوة واحدة والمبرم المقتول على

اثنين (٣) منشم امرأة تباع عطر التحالف أو رجل يبيع حنوط الميعة (٤) ثقال

الرحى ما يبسط تحتها ليقع عليه الطحين وتلقح كشافا تحمل مرتين فى

السنة والاثام ولادة توأمين

فتنتج لكم غلمان أشام كلهم كأحر عاد ثم ترضع فتفطم (١)

فتفعل لكم مالا تغل لا هلهما قرى بالعراق من قفيز ودرهم (٢)

ولم يفته في هذا المقام أن يعيب على حصين بن ضمضم تخلفه عن الصالح على  
نية الاخذ بثأر أخيه وأن يحمده لمن ثار فيهم على بعد الوتر منهم قبو لهم الدية  
احتراما للصالح دون أن يجاروه القتال كما لم يفته أن يذكر قصد حصين على  
قوته وشدة بطشه وذلك قوله

لعمرى لنعم الحى جر عليهم بما لا يواتيهم حصين بن ضمضم  
وكان طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم  
وقال سأقضى حاجتى ثم أتى عدوى بألف من ورأى ملجم  
فشدوا لم يفزع بيوتا كثيرة لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم (٣)  
لدى أسد شاكى السلاح مقذف له ليد أظفاره لم تقلم  
جرى متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا والا يبد بالظلم يظلم  
وكان زهيرا صفت نفسه وقد مالج هذا كله فأمدته روحانيته بتلك الحكم الفذة  
الكثيرة التى ختم بها معلقته فكانت فى بابها أبلغ دلائل على أن الفطرة إذا  
صفت أدركت ما يقف العقل أمامه حائرا لا يدري كيف كان لها اليه السبيل  
وهاهى ذى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش ثمانين حولا لا أبالك يسأم  
وأعلم علم اليوم والامس قبله واكفى عن علم ما فى غدعم

---

(١) المراد بأحر عاد أحر ثمود لا أنه العاقر (٢) يقصد بقوله من قفيز

ودرهم أن الدراهم تكال بالففيز (٣) أم قشعم المنية والقشعم النسر يأتي  
وراءها ليأكل من القتلى

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهم  
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه وان يرق أسباب السماء بسلم  
ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنهم  
ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطبع العوالى ركبت كل لهدم (١)  
ومن لم يندعن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم  
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويندم  
ومن يوف لا يندم ومن يهد قايه الى مطمئن البر لا يتجمع (٢)  
ومن يجعل المعروف في غير أهله يكن حمده ذما عليه ويندم  
ومن بغرب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم  
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم  
وكائن تري من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم  
اسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

٤ - معلقة لبيد

جاءت معلقة لبيد قطعة صادقة في تصوير البادية أصدق تصوير من النواحي  
التي قصد اليها فانه بدأها بذكر الدم في عفائها وكيف تحولت الى مراعى  
عشب ونبات ومراتع ظباء ونعام وانكبتها مع هذا قد جلت أطلالها السيول  
فوقف يسألها وبقيت هى صما خوالد لا تبين فجاوزها الى تذكر أهلها الراحلين

(١) الزجاج جمع زج وهى الحديد فى أسفل الرمح واللهدم السنان فى عاليته

(٢) التجمعم الترحزح

وأخذ يصف الظعن ويتذكر نوار والـ مكنه عاد يقول لنفسه وما تتذكر من

نوار وقد نأت الى ديار لا أمل مع بعدها في لقاء

ومن جميل التشبيه في بعض ما تقدم قوله :

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها (١)

أو رجع واشمة أسف نؤورها كنفها تعرض فوقهن وشامها (٢)

وقد أخذ على نوار ايغالها في رحلتها وأعلن عزمه على قطع لبايتها بأبياته التي يقول فيها

فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل بالجزيل وصرمه باق اذا ظلت وزاغ قوامها (٣)

بطليح أسفار تركن بقية منها فأحرق صليها وسنامها (٤)

ثم اندفع يصف النافة ويطيل ولكنه حاد عن جعل الوصف في جسمها فجعله

في سيرها وأخذ يشبهها في سرعتها تارة بالسحابة الجاهم تطردها ريح الجنوب

وأخرى بأتان ملهع حملت من أحقب غيور وامتنعت عليه فرا به أمرها

وعلا بها حذب الآكام حتى اذا سلخا الشتاء بعيدين عن الماء وهبت ريح

الصيف اشتد بهما الظمأ ففرعا الى الورود وانحدرا الى النهر انحدارا كان له

غبار كدخان نار أوقدت اليابس والرطب من النبات . وثالثة ببقرة وحشية

أكل السبع فريرها فأخذت تبحث عنه سبعا كاملة الايام حتى اذا يئست وجف

---

(١) جمع زبور وهو الكتاب والمتون السطور (٢) الثور النفوس المتخذ من

دخان السراج والنار والنفوس المداد (٣) الكفف بكسر الكاف جمع كفة بالكسر

وهي الدارة وكل مستدير وبالضم جمع كفة مضمومة لكل مستطيل وأسف

ذر وتعرض ظهر (٤) ظلت عرجت يقصد الصحبة والطليح المعني وأحرق ضمير

ضرعها أحست صوت رماة أرسلوا خلفها الكلاب فكان لها عدو للنجاة شديد  
فذلك حيث يتول

وإذا تغالى لحمها وتحسرت وتقطت بعد الكلال خدامها (١)  
فلها هباب فى الزمام كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها (٢)  
أو ملمع حملت لأحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدامها (٣)  
يعلو بها حذب الآكام مسحج قد رابه عصيانها ووحامها (٤)  
إلى آخر ما قال فى الآتان ثم أعقبه بقوله فى البقرة

أفتلك أم وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوارقوامها (٥)  
خنساء ضيغت الفرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها (٦)  
علمت تردد فى نهاء صمائد سبعا تؤاما كاملا أيامها (٧)  
حتى إذا يئست وأسحق حالق لم يبيله ارضاعها وفطامها (٨)  
وتوجست رز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها (٩)  
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها (١٠)  
وبعد هذه الاطالة فى وصف الناقة وسيرها أخذ يفتخر على النوار بأنه قضاء

---

(١) تغالى ارتفع والخدام جمع خدمة وهى السير (٢) الهباب النشاط  
والصهباء السحابة الحمراء (٣) الملمع الآتان المشرقة أطباؤها بالبن ووسقت  
حملت والاحقب العير فى وركيه بياض ولاحه غيره (٤) المسحج المخدش من  
العض (٥) المسبوعة التى أكل السبع ولدها الذى خذلت به بتركه واتباع مقدم  
الصوار وهو القطيع (٦) الفرير الولد ولم يرم لم يبرح والبغام الصوت (٧) علمت  
انهمكت وصمائد موضع ونهاؤه غدراؤه واحدها نهي (٨) الخالق الضرع  
وأسحق ذهب لبنه بجفافه (٩) الرز الصوت (١٠) مولى المخافة موضعها

لبانات وصال قطاع يعاف ما لا يرضى من الديار وأنه سمار ليال غلاء سباء  
وزاع اغدوات الشمال وأنه بحمى الحى فيرتقى بفرسه المرتفعات في منباج الصباح  
فاذا ما أمسى أسهل وفرسه لا يزال منتصباً للحراسة في البيات وأنه مع هذا  
حلال مشكلات في المجامع والمقامات نحر بالقдах لجزر الايسار يدعو بهن  
لذوى الحاجات والضيغان ممن يأوون الى أطنا به فيجدون الخصب والثراء وهذا  
بعض ما قال

فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب أكامها (١)  
أقضى اللبانة لأفرط ربية أو أن يلوم بحاجة لوامها  
أو لم تكن تدرى نوار بأنى وصال عقد حبال جدامها  
تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يعتلق بعض النفوس حمامها  
أغلى السباء بكل أدكن عاتق أوجونة قدحت وفض ختامها (٢)  
وغداة ربح قد وزعت وقرة قد أصبحت بيد الشمال زمامها (٣)  
ولقد حميت الحى تحمل شكى فرط وشاحى إذا غدت لجامها (٤)  
وكثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها (٥)  
أنكرت باطلها وبؤت بحقها عندي ولم يفخر على كرامها  
وجزور أيسار دعوت لحنها بمغلق متشابه أجسامها (٦)

(١) يقصد لوامع السراب واجتاب الآكام أرديته لبسها أى احتدمت  
الهواجر (٢) السباء شراء الخمر والادكن العاتق وصفان للزق والوجونة الخابية  
السوداء وقدحت ملئت منها القдах (٣) وزعت نفعت بالبحر (٤) الفرط الفرس  
المتقدمة السريعة (٥) يقصد الدار تقوم فيها المقامة (٦) الايسار أصحاب الميسر  
واحد هم يسر والمغلق السهام واحد ما مغلق

أدعوهن لعافر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها  
فالضيف والجار الجنب كأما هبطا تبالة مخصبا أهضامها  
ذلك نخره بنفسه وقد أعقبه فتخره بقومه ينسبهم الى سيادة المحافل وحسن  
سياسة العشيرة وأن تلك سجايا فيهم يجدر بالحاسد ألا يطمع فيها لانها حياء  
لهم من المليك لما جبلوا عليه من معالى الامور قال

إنا اذا التقت المجامع لم يزل منا لزار عظيمة جشامها (١)

ومقسم يعطى العشيرة حقها ومخذ مر لحقروها هضامها (٢)

فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سنت لهم أبأؤهم ولا كل قوم سنة وامامها

لا يطبعون ولا يبور فعالمهم إذ لا يميل مع الهوى أحلامها

ثم التفت بنخاطب الطامع في مثل مكانتهم بقوله

فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الاخلاق بيننا علامها

ولذا الامانة قسمت في معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

فبنى لنا بيتا رفيعا سمكه فسما اليه كهلها وغلامها

إلى أن ختم المعلقة بأبيات أخر يحمل فيها ما عرفوا به من مكارم الاخلاق

د — معلقة عمرو بن كلثوم

خالف عمرو رجال المعلقة فلم يبدأ معلقته بذكر الدهن والديار وتعرف

الآثار والاطلال إنما بدأها بوصف الخمر وتأثيرها والدعوة الى الاستصباح

بها وانتهاها ولكن لم ينس أن يستوقف الطعينة قبل التفرق لتخبره هل أحدث

(١) لزار العظيمة قرينها (٢) المغذ مر الغضوب لاجل حقوق العشيرة

الهضام لحقوق نفسه

صرما وقطعا ويخبرها بما له أيام السكرية من بلاء يقر العيون ثم أخذ يصف وجوه محاسنها ووجدته يقرأها في أبيات طويلة أنهي بها تشبيب قصيدته قال في مبدئها

ألا هي بصبحتك فاصبحينا ولا تبقى خمور الاندرينا (١)

مشعشة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا (٢)

وقال

قفي قبل التفرق يا ظعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك هل أحدث صرما لو شك البين أم خنت الامينا

وقال

تريك اذا دخلت على خلاء وقد أمنت عيون السكاشينا

ذراعى عيطل أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا (٣)

إلى آخر ما وصف ثم قال

فما وجدت كوجدى أم سقب أضلته فرجعت الحنينا (٤)

ولا شطاء لم يترك شقاها لها من تسعة الا جنينا

وبعدئذ خرج الى الغرض الذى من أجله قرض المعلقة وهو التفاخر بقتله

عمرو بن هند فى حادث يذكر له الرواة قصصا وحكايات ولا يعدو عندى أن

يكون هذا القتل وقع باتفاق بينه وبين البيت المالك لما كان من طول الحكم لعمرو

(١) الاندرون قري بالاسام (٢) المشعشة المعزوجة والحص نبت أحمر

النور (٣) العيطل الطويلة العنق من النوق والادمة فى الابل البياض و هذا

الهجنة ولم تقرأ لم تحمل (٣) السقب ولاء النافة قبل فصاله



وشدة عسفه بأهله ولذلك أسدلوا الستار عليه فلم يشنوا حرباً ولم يطلبوا بثأر  
وانما اختير ابن كاثوم لأنه رئيس تغلب وكثيراً ما غاضبها ابن هند وظاهر  
بكرها عليها كما حدث بعد سماعه بعلاقة ابن حنظلة إلى ما سيأتى فى بعض ما كان  
بينهما من خلاف على أنى إذا لم أجزم بهذا الاتفاق فلا أقل من أن أقول لقد  
وقع القتل على قلوب المناذرة برداً وسلاماً وبخاصة صاحب التاج من بعده وهو  
أخوه النعمان هذا وقد بدأ ابن كاثوم نغره بمخاطبة الملك القليل سيخرية وتمكها  
خطاباً يذكره فيه بأيام لهم غر طوال وبقدمهم منذ القدم فى الحروب وعركهم  
من يتعرض لهم وحمايتهم من يستجير بهم وأنهم لم يهادلوه بغير ما عادلوا به انلوك  
من عصيان وخروج منذ أيام خزازى الى حيث قتلوه وكان ذلك منه فى أكثر  
من خمسين بيتاً هذا بعضها

أبا هند فلا تفعل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا

بأننا نورد الرايات بيضاً ونصمدرهن حمراً قد رويننا

وأيام لنا غر طوال عصميننا الملك فيها أن ندينا

الى أن قال

مضى ننقل الى قوم رحانا يكونوا فى اللقاء لها طحيننا

يكون ثفالها شرقى نجد ولطوتها قضاة أجمعينا (١)

والى أن قال

ألا لا يعلم الاقوام أنا تضعضعنا وأنا قدونينا

ألا لا يحبان أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليننا

(١) ثفال الرحى ما يسطر تحتها ولطوتها النبضة من الحب تلقى فيها

بأى مشيئة عمرو بن هند      نكون لقييلكم فيها قطينا (١)  
بأى مشيئة عمرو بن هند      تطيع بنا الوشاة وزدرينا  
تمددنا وتوعدنا رويدا      متى كنا لأمك مقتوينا (٢)  
فان قناتنا يا عمرو أعيت      على الاعداء قبلك أن تلينا  
إذا عض الثفاف بها اشمأرت      وولته عشوزنة زبونا (٣)  
عشوزنة إذا انقلبت أرنت      تشج قمنا المشقف والجبينا  
ثم أخذ يفخر برجالهم الاقدمين ويعدد ما آثرهم وأيامهم مشركا معهم بنى عمهم  
بكر والكنه لم يرض أن يكونوا مثاهم فى هذه الفاخر قال  
ونحن غداة أوقد فى خزازى      رفدنا فوق رفد الراندينا (٤)  
وكنا الايمىين اذا التقينا      وكان الايسرين بنو أينا  
فصالوا صولة فيمن يليهم      وصلنا صولة فيمن يلينا  
فآبوا بالنهاج وبالسيابا      وأبنا بالملوك مصفدينا  
ومن هنا أخذ يفخر على بكر ويندكرهم بما كان لهم عليهم من غلاب وقد أجاد  
حيث يعالج ذلك وصف الدروع والنساء وراء الخيل يوم الروع قال  
علينا كل سابعة دلاص      ترى فوق النطاق لها غضونا (٥)  
إذا وضعت عن الابطال يوما      رأيت لها جلود القوم جونا  
كان غضونهم متون غدر      تصفقها الرياح اذا جرينا

---

(١) القطين الخدم (٢) المقترون جمع مقتوى بطرح ياء النسبة نسبة الى  
المقتى وهو المصدر الميمى لثما يقتدى اذا خدم الملوك (٣) العشوزنة الصلبة الشديدة  
والزبون الدفوع (٤) خزازى جبل ويقصد يوما كان عنده بين نزار ويمن  
(٥) السابعة الدرع التامة والدلاص البراقة والفضون التشجعات جمع غضن

وتحملنا غداة الروح جرد  
على آثارنا بيض حسان  
أخذن على بعولتهن شهدا  
إذا لاقوا كتاب ملامينا  
ليستلبن أفراسا ويضما  
وأسرى في الحديد مقريننا  
إذا مارحن يمشين الهوينى  
كما اضطربت متون الشاريننا  
يقتن جياننا ويقان لستم  
ببولتنا إذا لم تمنعونا  
إذا لم نحمهن فلا بقيتنا  
لشيء يهدن ولا حييننا

ذالك نخره وقد رأى أن يدعمه بأنه معروف لقبائل معد فكلمها تعترف لهم يوم  
الفخار بكرمهم وفتكهم وعزتهم وإياهم ودينهم عاد الى مثل ما بدأ به مع ابن هند  
فكان ختام المعلقة قال

وقد علم القبائل من معد  
إذا قيب بأبطحهم -ا- بنينا  
بأنا المطعمون إذا قدرنا  
وأنا المملكون إذا ابتلينا  
وأنا المانعون لما أردنا  
وأنا النازلون بحيث شينا  
وأنا التاركون إذا سخطنا  
وأنا الآخذون إذا رضينا  
وأنا العاصمون إذا أطعنا  
وأنا العارمون إذا عصينا (٢)  
ونشرب ان وردنا الماء صفوا  
ويشرب غيرنا كدرا وطينا

ثم قال

إذا ما الملك سام الناس خسفا  
أبيننا أن نقر الذل فينا  
لنا الدنيا ومن أمسى عليها  
ونبطش حين نبطش قادرينا  
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما  
نخر له الجبابر ساجديننا

(١) النقائذ ما أنقذت من أيدي الأعداء وانزلوها لإلادها (٢) العارمون

ذوو العرام وهو الحدة

٦ — معلقة عنتره

جاءت معلقة عنتره لغير غرض خاص كما جاءت معلقات امرئ القيس  
وطرفة وليد وقد بدأها بما بدعوا به فوقف على الاطلال وخاطب الديار كما  
هى سنة الشعراء ثم أبان أنه يخاطب دار عبلة وأخذ يستوحيها الجواب ويصف  
صاحبتهما قال

يادار عبلة بالجواء تكلمى وعمى صبا حادار عبلة واسلمى (١)  
دار لآيسة غمض طرفها طوع العناق لذينة المتبسم  
وعاد ثانية يستوقف الناقة على طال عبلة ويحييه ويستبعد الديار التى حلت بها  
ويعجب كيف يكون المزار ثم خلاص من هذا الى وصف ما لعبلة من حسن ثمر  
وطيب مقبل فأجاد قال

إن تستبيك بذى غروب واضح عذب مقبله لذينة المطعم (٢)  
وكان فأرة تاجر بقسيمة سبقت عوارضها اليك من القم (٣)  
أو روضة أنفا تضمن نبتها غيث قليل الدمن ليس بمعلم (٤)  
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم  
سحا وتسكبا فكل عشية يجرى عليها الماء لم يتصرم  
وخلا الذباب بها فليس يبارح غردا كفعل الشارب المترنم  
هزجا يحك ذراعه بذراع، قدح المكب على الزناد الا جذم (٥)  
وبعد هذا التشبيه الطويل عاد الى عبلة يذكر تنعمها على الوثير من الفراش

---

(١) الجواء موضع بهينة (٢) الغروب جمع غرب وهو الحد (٣) فأرة المسك  
أنثته لانه يفور منها والقسيمة الحسنة التقاسيم (٤) الانف التى لم ترع وتضمن  
سقى (٥) هزجا مصوتا والاجذم الناقص اليد

بينما هو على سرج فرسه وأخذ يتمنى أن تبارفه أياها شذنية غير ولود وانساق  
يصف هذه الناقة ويشبهها بالظلم تأوى له قلص النعام كأنه العبد الاصلم  
ذوالقرو الطويل وما أبين قوله إذ يذكر اندفاعها في سيرها

وكأنما تنأى بجانب دفها ال وحشى من هزج العشى مؤوم (١)

هر جنيب كلما عرضت له غضبي اتقاها باليدين وبالفم  
وما انتهى من صفة الناقة حتى أوغل فيما هو قصده في معانيته من ذكر فروسيته  
وبطولته وبدأه بقوله لعبلة لا تغد في دوى القناع فان من يأخذ الفارس  
المستأنم مثلى جدير أن يجوزك وينال منك الثناء بما هو أهله فاني سمح المخالطة  
من المذاقة شراب مدام لا يمنع الصبحو كرمي ولا تنال النشوة عرضى  
فاذا شربت فاني مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم  
واذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي  
وهذا معنى لم يحار فيه وقد أخذ بعده بعد مواقف بطولته فيقول كم من حليل  
غانية ولا يحل لها الا البطل قد جندلته ومدجج كره الكماة نزاله قد طعنته وحامى  
حقيقة معلم بهندى قد علوته ولم ينس في هذه المواقف الثلاثة من حماسه أن  
يخطأ بذسيبه في عبلة كما هو دأبه. قال في أولها

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

ينبرك من شهد الواقعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغم

ويقول في نهايتها

ياشاة ماقتنص لمن حلت له حرمت على وليتها لم تحرم

(١) الدف الجنب والوحشى الايمن لانه لا يركب منه. والمؤوم القبيح الرأس

فبعثت جاريتي فقلات لها اذهبي وتجسسي أخبارها لي واعلمي  
 قالت رأيت من الاعادى شجرة والشاة ممكنة لمن هو مرتضى  
 وكأنها التفتت بجيد جدابة رشاً من الغزلان حر أرشم (١)  
 وعاد من هذا الى ذكر مواقفه ناعيا على من لا يشكر نعمته بجحود فضله  
 وذاكرا أنه حريص على وصاة عمه بالثبات في أخرج المضايق فكان منه في الكلام  
 عن فرسه منا ابداع ليس بعده مثال قال

لما رأيت القوم أقبل جمهم يتنامرون كررت غير مذمم (٢)  
 يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بر في لبان الادم (٣)  
 مازلت أرميهم بشجرة شعره ولبانه حتى تسربل بالدم  
 فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعيرة وتحمحم (٤)  
 لو كان يدري ما المحاربة اشتكى والكان لو علم الكلام مكلمى  
 وزاد ذلك منه نبلا وكرما أن جعل في نداء الفوارس له بالاقدام في الشدائد  
 ما يشفى نفسه ويبرىء سقمه قال

ولقد شفى النفس وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدمى  
 ثم ختم المعالجة بخشيته الموت قبل أن ينال من ابني ضمضم لتوعدهما اياه بعد قتله  
 أباهما قال

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائر على ابني ضمضم (٥)  
 الشامي عرضي ولم أشتهمهما والناذرين اذا لم ألقهما دمي  
 إن يفعلوا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسرقشعم (٦)

(١) الجدابة ولد الظبية والرشا القوى والأرشم الذي في شفته العليا وأنفه  
 بياض (٢) يتنامرون يتحاضون على القتال (٣) أشطان البر حباله واللبان الصدر  
 (٤) ازور مال وتحمحم الفرس صهيله بخنين (٥) هما حصين وهرم (٦) القشعم المسن

٧ — معلقة الحارث ابن حلزة

قيات هذه المعلقة لغرض خاص هو استمالة عمرو بن هند الى بكر والحارث  
منها في مقاضاة كانت عنده بينها وبين تغلب قوم عمرو بن كانوا قاتل ابن هند  
كما سبق وقد احتذى حذو الشعراء في بدئها فأبرى تحرقه على بين أسماء وأخذ  
بذكر عهدا السالف ومكانها النائي فيبكي وما يحير البكاء قال

آذنتنا ببينها أسماء رب ثار يمل منه الثواء

بعد عهد لنا ببرقة شما ه فآذنى ديارها الخلاء (١)

لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم دلهما وما يحير البكاء (٢)

وأردف ذلك بذكر النافذة يستعين بها على الهم ويصفها وقد بلغ في ذلك ما أراد  
في ايجاز وحسبك قوله

غير أنى قد أستمع على الهمم م اذا خف بالثوى النجاء (٣)

بزفوف كأنها هقلة أم م رائل دوية سقفاء (٤)

آذنت نبأة وأفزعا الثناء ناص عصرا وقد دنا الامساء

فترى خلفها من الرجوع والوفاء مع منينا كأنه أهباء (٥)

ومن هنا انتقل الى موضوع المعلقة فبدأ يصف ظلم بني عمهم لإيائهم وتبذيرهم لهم  
المهر وقد أجاد في وصف التميؤ للحرث ما شاءت له الابداعة حيث يقول

(١) العهد اللقاء (٢) الداه ذهاب العقل وما يحير ما يرجع (٣) الهم ما يهم به

(٤) الزفوف السريعة والهقلة النعامة والدوية نسبة الى الدو وهو الصحراء

والسقفاء الطويلة مع الخناء (٥) المنين النبار الرقيق والأهباء جمع هباء وهو ما تطاير

وأنا من الحوادث والآن جاء خطاب نعي به ونساء  
 أن اخواننا الاراقم يغلو ن علينا في قياهم إحناء (١)  
 يخلطون البرى منا بذى الذب ولا ينفع انالى الخلاء  
 زعموا أن كل من ضرب الله ير موال لنا وأا الولاء (٢)  
 أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء  
 من مناد ومن عجيب ومن تصه هال خيل خلال ذاك رغاء  
 ثم أخذ يخاطب من وشى بهم الى عمرو بن هند بأنهم واثقون من عدل الملك  
 على أنهم غير خائنين وقد بما وشى بهم فكانت مانعتهم حصونهم وهذا إذ يقول  
 أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذلك بقاء (٣)  
 ملك مقسط وأفضل من شى ومن دون مالدیه النناء (٤)  
 لا نخلنا على غراتك إنا قبل ماقد وشى بنا الاعداء (٥)  
 فبقينا على الشنائة تله مينا حصون وعزة قعساء (٦)  
 وأتبع هذا بأنهم مع قدرتهم ذوو أهبة لقبول أية خطة فى الصالح تراد وأنهم  
 أكفاء لمقابلة ما يطلب منهم بمثله وأخذ يذكر ماضيهم تأييداً لما يقول قال  
 أيما مخطئة أردتم فأدو ها أينما تمشى بها الاملاء (٧)  
 وبعد أن بين أنواع الخطط فى أبيات له أعقبها بقوله  
 هل علمتم أيام ينتهب الناس غوارا لكل حى عواء (٨)

---

(١) الاراقم لقب لبطون من تغلب والاحنفاء الاحاح (٢) العبر هذا السيد والمراد  
 كليب وضربه الرضا بقتله وقوله وأنا الولاء أى أصحاب الولاء (٣) المرقش  
 المريب المشكك (٤) المقسط العادل والقاسط الجائر (٥) الغراة الاغراء  
 (٦) تنمينا ترفعنا (٧) الاملاء جماعات الاشراف جمع ملاء (٨) الغوار المغاورة



إذ ركبنا الجبال من سفوف البحار رين سيرا حتى نراها الحساء  
ثم ملنا على تميم فاحرمنا وفيينا بنات من إماء (١)  
لا يقيم العزير بالبلد السبي لولا ينفع الذليل النجاء  
ثم عاد الى المبلغ عنهم ثانية يذكره بأن طعم على عمرو بن هند ثلاث آيات  
ردهم قيس بن معد يكرب الحميري عنه وقد غزا الحيرة في معد كلاما وكذا حجير بن  
أم قطام وقد غزاها أيضا في فارسية خضراء . وآية فكهم غل امرئ القيس  
اللاخمي من الغساسنة وإقادتهم بأبيه المنذر إذ قتلوه من ربههم والثالثة أنكم  
اختتمهم فأمة منهم وهم قد ولدوه وفي ذلك يقول

أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو وهل لذك انتهاء  
من لنا عنده من الخير آيات ثلاث في كلهن القضاء  
آية شارق الشقيقة إذا جاوا جميعا لكل حتى لواء (٢)  
حول قيس مستلثمين بكبش قرظي كأنه عبلاء (٣)  
فرددناهم بطعن كما ينحرج من خرتة المزد الماء (٤)  
ثم حجرا أعنى ابن أم قطام وله فارسية خضراء (٥)  
وفككنا غل امرئ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء (٦)

(١) أحر منادخلنا في الأشهر الحرم (٢) الشقيقة أرض صلبة بين رملتين  
وشارق مضى وهى من إضافة الصفة الى الموصوف والمراد اسم مكان كانت  
به الموقعة (٣) يريد قيس بن معد يكرب الملك الحميري والكبش السيد والقرظي  
كنية عن أنه شديد الوطأة لان القرظ شجر يدبغ الاديم والعبلاء الهضبة  
البيضاء (٤) المزد الزقاق وخرتها ثقبها (٥) هو والد امرئ القيس (٦) يقصد  
أحد اللخمين لا امرأ القيس بن حجر

وأقدناه رب غسان بالمئة نذر كرها لذل تكال الدماء (١)  
 وولدنا عمرو بن أم أياس من قريب لما أتانا الحباء (٢)  
 ثم نادى الى تغلب يطلب اليهم أن يتركوا التكبر والتعالي ويذكروا حلف ذي المجاز  
 وما قدم فيه من عهدود وكفلاء حذر الجور والتعدي مثل ما يذكرون هم قال  
 فأتوا الطيخ والتعالي وإما تتعاشوا ففي التعالي الداء (٣)  
 واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم دم فيه العهد والاكفلاء (٤)  
 حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الا هواء (٥)  
 واعلموا أننا وإياكم في ما اشترطنا يوم اختلافنا سواء  
 وبعدئذ أخذ يعيرهم بجنايات غيرهم عليهم وأنه لا يحمل بهم أن يحملوهم جرمهم  
 فيقول

أعلينا جناح كندة أن يغدوهم غزيرهم ومنا الجزاء  
 وهكذا أكثر التعداد حتى ختم المعلقة بتغلبهم عليهم يوم الحيارين كيلا  
 يظنوا فيهم ضعفا أو أنهم ليسوا كهؤلاء مستشهدا على ذلك اليوم بالرب وهو  
 الملك حيث يقول

وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء (٦)

---

(١) رب غسان لما مكها (٢) الحباء المهر (٣) الطيخ التكبر والتعالي التعالي  
 (٤) ذو المجاز موضع أصلاح فيه عمرو بن هند بن بكر وتغلب (٥) جمع مهرق  
 وهو خرقة تطلى وتصقل ليكتب عليها (٦) كان لبكر على تغلب ويقصد بالرب  
 عمرو بن هند

## مميزات الكلام الجاهلي

إن الكلام الجاهليين سمات عامة تتناول النثر والشعر معا وأخرى خاصة بكل منهما

### أولا - المميزات العامة

فالعامية يراها المطالع عليه في عباراته ومعانيه والفرض العام الذي يرمى اليه وهامى ذى

#### ١ - في العبارات

أول ما يلاحظ على عباراته خلوها من اللحن لتكن السليقة فيهم وقلة اختلاطهم بغيرهم وليس معنى هذا أنه لم يك من أحدهم خروج على المصطلح العام بل معناه أن ذلك الخروج كان قليلا وعن غير الصميم وهو ما سمى بالشاذ والمسموع بخلاف الخروج في العصور الإسلامية بعد فقد كثرة عارض الاسس ولذلك لم يحجم واضعو أصول العربية عن تسميته لحنا وخطأ مفرقين في التسميه بين النوعين

ثانيا - خلوها من الدخيل وسببه سبب عدم اللحن غير أن اختلاطهم بمن جاورهم من الأمم بعض الاختلاط بحكم الجوار جعلهم يأخذون من لغاتها وبخاصة الفارسية كلمات أدخلوها كلامهم وانكسهم أحدثوا فيها صفلا فربها من لغتهم وأعطاهم جرسها فأصبحت كأن لم تك غريبة عنها ولذلك لم يطلق عليها اسم المعرب كما اطلق على ما اقتبس بعد

ثالثا - إيجازها فقد كانوا يرون البلاغة في الإيجاز . وإذا كانوا فرسانها الأمثال فقد قدروا على تحقيق ما رأوا دون إخلال بالمعاني ولا بما قصدوا

اليه من أغراض ولهذا كانوا يفضلون من الجمل القصير وإذا خرجوا عنه فالى المتوسط لا الطويل

رابعاً — ارسالها على ما تقتضى البلاغة الفطرية دون تكلف فيها ولا مراعاة لما أتت به الصناعات اللفظية بعد فقها يرى لم تأتى فى انتقاء ألفاظ متناسبة الوزن متشابهة النغم أو صوغ عبارات ذات جناس أو طباق أو غيرها من محسنات البديع الا ما أتى عفواً غير مقصود

خامساً — اشتمالها على كثير من الالفاظ المترادفة على القول بأن هناك ترادفاً حقيقياً جاء من اختلاط القبائل وتعرف بعضها لغات بعض أما على أنه لاترادف فى الواقع وأن لكل مرادف خصوصية كانت تعرفها العرب له على مرادفه وأنا نسبنا ذلك نحن فلا ترادف الا من حيث الظاهر فقط وهى على كلتا الحالتين لا تخرج عن أن تسمى خاصة ومميزاً  
ب — فى المعاني

كانت المعاني فى الجاهلية قاصرة على الحقيقة وإذا جاوزتها الى غيرها فالى المجاز ذى العلافة البارزة التى لم يلبث معها طويلاً حتى صار حقيقة فى كثير من الالفاظ . أو إلى الكناية قليلة الوسائط مع قرب المثال أو كثيرتها مع شدة اللزوم اللهم الا ما كان رمزاً مقصوداً وكثيراً ما كانوا يعمدون فى الكناية الى التعريض اتقاء التصريح بما يستهجن أو غيره لسبب ما فلا يقع فى ذلك خش ولا خفاء . وكانوا اذا تخيلوا لا يخرجون فى ذلك عن الخيال المنتزع الصورة من الحس الظاهر والواقع فى دائرة الامكان العادى أو العقلي الا ما قصدوا فيه الى هذا الخروج كخيالهم فى موارد الامثال الفرضية وبعض الاوابد

ج — فى الغرض العام

أما الغرض العام الذى يرمى اليه فكان يدور حول ما تقتضيه البداوة

والفطرة الخاليتان من تكلف أهل الحضر وتألقهم ويكسده ذلك ينحصر في وصف المعيشة البدوية ومرافقها من سبل وترحال واستدار غيث وانتجاع كلال واستنبات نبت ونتاج حيوان وفي إثارة المنازعات والمشاحنات وما تجر إليه من حرض على ادراك ثأر وقول في نهى ميت وتفاخر بمال وولد وتباه بشجاعة وانتصار وتشرف بكرم محنت وحوز فضيلة ثم في وصف ما يشاهد بجزييرتهم والخبار عما يقع فيها بما يناسب بيئتهم ويتفق وطبعتهم

## ثانيا — المميزات الخاصة

### ١ — في النثر

يمتاز النثر الجاهلي فوق ما تقدم في المميزات العامة بما يأتي  
أولاً مجيء السجع فيما أثر منه أكثر من الازدواج والازدواج أكثر من الترسل وإنما قلنا فيما أثر لأن طبيعة صدور الكلام تأتي إلا أن يكون الواقع العكس وإنما علق المسجوع بالاذهان أكثر من أخويه كما تقدم سهولة حفظه ولأنه كان المقصود في مهام الأمور على أنه قد كانت هناك طائفة لا تتكلم إلا المسجوع هي طائفة الكهنة والعرافين لما للسجع من جمال الوقع على الأسماع وشدة التأثير في القلوب وهذا ما يريدون وقد انقرضت هذه الطائفة بالاسلام وكان أكثر الكلام ترسلاً وولاه الازدواج ثم السجع فكانت الحال معاكسة لما أثر أو موافقة لما كان في الحق هو الواقع

ثانياً — كثرة أمثاله بنوعها ومجىء حكمه كثيرة وعلى مقتضى الفطرة أيضاً فإن الأمثال تكاد تكون قاصرة على العهد الجاهلي وما جاء بعد لا يعدو حد الذلة وأغلبه على صيغة أفعال . والحكم لا تكاد تحوي تعمقاً في فكرة

أو اغرافا في فلسفة لما كانت عليه العرب من حال بدو لا تعمق فيها لعلم ولا زخرف لحضارة وانما ساعدها على الاكثار من هذين النوعين رجحان عقولها وسلامة فطرهما مع تماكهما زمام الفصاحة واعتدالها على الابهاز

ثالثا — تفرد به بالمنافرة على معناها الجاهلي فما عرفت في الاسلام منافرات فرضت فيها الجعول وهرع من أجلها المتنافران الى الحكم وكذا بالمفاخرة فيما نهى عنه الدين بهد وهو أكثر ما كان في هذا الباب فقد صار جل تفاخر المسلمين بالدين والتقوى وما يقدم من صالح الأعمال للأفراد والجماعات الى غير ذلك مما يحض عليه الدين

رابعا — اختلافه في الاغراض العامة لخطبه ووصاياه عما كان بهد فقد بقيت الخطب والوصايا في عهد الاسلام الى وقت طويل وان كان التبديل الكبير للعرب في الدين والسياسة والمعيشة والاجتماع بابت كل المبانية في هذه الاغراض فمات بعضها كشن الغارات والاخذ بالنار وحلت الكتابة محل الخطابة في بعض آخر كالسنارات وتحوير بعض ثالث تحورا كبيرا في بواعثه وما آخذ به كالخض على القتال إذ صار للفتح والجهاد وكالامر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ صارت مما آخذ به من تعاليم الدين وكذا خطب الاملاك وقلما بقي غرض على حاله كالدعوة الى السلم

ب — في الشعر

يمتاز الشعر الجاهلي بهد الذي سبق في المميزات العامة بما يأتي

أولا — اشتغال كثير منه على بعض الالفاظ الغريبة بالنسبة اليها نحن لا الى وسطهم هم فان ذلك جاء نتيجة لما أهمل بهد الجاهلية من أغراض كانت كثيرة القصد فيها كوصف الابل وجر الوحش والقسي ونحوها مما كان من

صميم البادية وهجر فهجرت لذلك الالفاظ التي كانت تؤدي بها معانيه  
وأصبحت ذات غرابة علينا ولو بقيت تلك الاغراض مؤداة لكانت الفاظها  
وما تستعمله الآن سواء

ثانيا — جزالة الالفاظ وضخامة التراكيب ذلك بأنهم كانوا على تمام  
علم ودراية بمفردات لغتهم والمواطن اللائقة باستعمالها ثم كانوا ذوي قدرة ولباقة  
على التصرف في الاساليب بما يكسبها القوة والمتانة وبخاصة في الاغراض المتطلبة  
لها كالحماسة والفخر والوعيد والانذار ونحوها أما غيرها مما يقتضى رقة  
كالنسيب مثلا فقد كانوا غالبا يتخيرون له من الالفاظ ما فيه عذوبة ومن  
التراكيب ما هو ذو سلاسة

ثالثا — اتفاق بدء القصائد في التشبيب الذي لا يعدو الوقوف على الدمن  
ومخاطبة الاطلال ووصف الطعون والتحرق على بعد المزار ونعت النوق التي  
ترحل للحاق بالاحباب ثم وصف هؤلاء الراحلين على خلاف بينهم في اطالة  
بعض هذه الجزئيات أو تقصيرها واستيفائها كلها أو إسقاط بعضها

رابعا — عدم حسن التخلص من غرض الى غرض في القصيدة الواحدة  
فقد كان يحدث الانتقال فجأة دون تمهيد أو بتمهيد ضئيل لا يعدو أن يكون  
لفظة أو اثنتين كدع ذا وعد عن ذا ونحوها وبمثل هذه المفاجأة كان  
ينتهي القصيد

خامسا — اجادة وصف مظاهر البادية في كل ناحية من نواحيها وتسجيل  
كثير من أواد العرب عقائد وعادات. فالشعر الجاهلي وحده يكاد يكون المرجع  
فيما عرف من هذه الاشياء بخلاف الشعر الاسلامي ابعد رجاله عن البادية سكنا  
ولتغير أحوالهم العامة تغيرا كبيرا يجعلهم اذا عالجوا ذلك عاجوه عن تكلف منهم

وتقليد لاسلافهم لا يصدر عن شعور ولا يتزع من وجود

سادسا — تصويره الاشياء على حقائقها من غير ما مبالغة بله الفلو  
والاغراق اللذين كثيرا بعد وانما جعلهم كذلك أن كانوا على فطرة طبيعية  
لا تكلف فيها وعلى جانب من الحرية لا يتحد من فكر ولا يقيد في قول ويتضح  
هذا جلليا في الوصف كما يتضح في سائر فنون الشعر . فالمتفزل لا ينعت محبوبته  
بالمستحيل من الصفات ولا يدعى لنفسه اذا نسب الموت في هواها دون موت .  
والشجاع المتحمس لا يزعم أنه مزلزل الا راضين محرك الراسيات . والفخور  
لا يجاوز ما لنفسه وقبيله من محامد وتراث . والرائي لا يزعم بموت المرئي ظلام  
الوجود واختلال نوااميس الحياة . وكذلك المدح والهجاء كان فيهما الاعتدال  
إلا إسراف في الاول ولا إقذاع في الثاني إلا ما كان آخر العهد لدى بعض  
الشعراء ممن اتخذوها وسيلة للتكسب رغبا ورهبا ومع هذا لم يصلوا الى شيء مما  
بلغاه بعد في سائر العهود

سابعا — شدة تأثيره في ذلك العهد أكثر من غيره كما بيناه آتقا حقا كان  
أم باطلا لان شعور القوم إذ ذاك كان أغلب على عقولهم شأن ذوى الفطرة  
والسذاجة البعيدين عن تشقيف العلم وتقويم الحضارة

وبعد فان فيما سلف من نماذج وغير نماذج لمختارات النثر والشعر لا آيات  
بينات على ما ذكرنا من خصائص ومميزات فليرجع اليها في ضرب المثل  
والاستشهاد وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب